

المكتبة الانكليزية
٥

الانصاف

فِي النَّبِيَّةِ عَلَى الْمَعَانِي وَالْأَسْبَابِ الَّتِي أَوْجَبَتْ اخْتِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَمْرِهِمْ

«إِنَّ اخْتِلَافَ الْمُخْتَلِفِينَ فِي الْحَقِّ
لَا يُوجِبُ اخْتِلَافَ الْحَقِّ فِي نَفْسِهِ»

تحقيق
الدكتور محمد رضوان الداية
أستاذ الأدب العربي في جامعة دمشق

تأليف
الإمام النجاشي للفرق بين محمد بن عبد الله بن محمد
ابن السيد البطلاني
رحمه الله

دار الفكر
دمشق - سورية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْأَنْصَافِ

المكتبة الانكليزية
٥

الانصاف

فِي النَّبِيَّةِ عَلَى الْمَعَانِي وَالْأَسْبَابِ الَّتِي أَوْجَبَتْ اخْتِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَمْرِهِمْ

«إِنَّ اخْتِلَافَ الْمُخْتَلِفِينَ فِي الْحَقِّ
لَا يُوجِبُ اخْتِلَافَ الْحَقِّ فِي نَفْسِهِ»

تحقيق
الدكتور محمد رضوان الداية
أستاذ الأدب العربي في جامعة دمشق

تأليف
الإمام النجاشي للفرق أبي محمد عبد الله بن محمد
ابن السيد البطلاني
رحمه الله

دار الفكر
دمشق - سورية

الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م



-جميع الحقوق محفوظة-

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير ، كما يمنع الاقتباس منه ، والترجمة إلى لغة أخرى ، إلا بإذن خطي من دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر بدمشق

سورية - دمشق - شارع سعد الله الجابري - ص.ب (١٦٢) - برقياً: فكر
س . ت ٢٧٥٤ هاتف ٢١١٠٤١ ، ٢١١١٦٦ - تلكس FKR 411745 Sy

الصف التصويري: دار الفكر بدمشق
الإفشاء (أوفست): المطبعة العلمية بدمشق

الكلمة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

رغب إليّ القارئون على (دار الفكر) الزاهرة بدمشق في إعادة طبع كتاب (الإنصاف) لابن السيد البطليوسي بعد أن نفذت طبعته الأولى ، فتريتمهم لأعيد النظر في الكتاب ، وأضيف ما يمكن إضافته من تحقيق وتعليق ، ولعرض المطبوع على نسخة جديدة من الكتاب مخطوطة وصلت إليّ بعد طلب طويل .

وامتدّ بي الزمن دون تقديم الكتاب إلى المطبعة في ثوبه الجديد ، لاشتغالي بالتدريس أستاذاً زائراً في جامعة الإمارات العربية المتحدة بمدينة العين .

وفي أثناء النظر في طبعتي السابقة ، اطلعت على طبعة من كتاب ابن السيد البطليوسي نفسه صدرت في القاهرة سنة ١٩٧٨ أي بعد صدور كتابنا المطبوع في دار الفكر بست سنوات ، وقد صدر هذا المطبوع القاهري بعنوان : (التنبيه على الأسباب التي أوجب الاختلاف بين المسلمين في آرائهم ومذاهبهم واعتقاداتهم) . وهو عينه كتاب (الإنصاف بذكر أسباب الخلاف) الذي حققته .

وبحسب ما كتب على الغلاف ووراء المقدمة فإن الذي اضطلع بمهمة (التحقيق والتعليق !!) اثنان من المدرّسين المتلقين بالدكترة : الدكتور أحمد حسن كحيل ، والدكتور حمزة عبد الله النشرفي . وقد علمت - كما أخبرني زميل في جامعة الإمارات - أنها مدرّسان في جامعة الأزهر .

والذي يهمني أن أثبتة هنا أن هذين المدرسين الفاضلين سرقا ما صنعته في تحقيق كتاب الإنصاف ، وأخذوا الحواشي والتعليقات كما هي ، أو باختصار مغلّ ، أو بتطويل مملّ .

وأعجب ما في سرقة هذين المدرّسين الجامعيّين أنها لم يشارا إلى طبعة دار الفكر من

بعيد أو قريب علماً بأنها وضعها أمامها ، ونقل كل ما فيها تقريباً . ثم زادا كلمة هنا وكلمة هناك تمويهاً وتضليلاً !

وكلاً أشار المدرسان المذكوران إلى نسخة (ط) فالمقصود هو طبعة دار الفكر التي حققتها ونشرت - كما هو مثبت سنة ١٩٧٢ - وقد زعما أنها يقابلان على النسخة المطبوعة سابقاً في القاهرة سنة ١٢١٩ هـ بمطبعة الموسوعات ، والتي أشرف عليها واعتنى بها : أحمد عمر الحمصاني ، والتي رمزت إليها برمز (ط) .

وقد ثبت لي أنها لم يقابلها على نسخة الحمصاني ، واكتفيا بما قدمته لهما جاهزاً ناضجاً . ويرى متابع صفحات الكتاب بطبعة المدرسين المذكورين إذا قابلها بطبعتنا أنها كانا ينقلان الحواشي والتحقيقات والأرقام كما هي . كما يتنبه إلى :

١ - وقوعهما في الأخطاء المطبعية التي وقعت في طبعتنا (فقد صدرت الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢ وأنا أستاذ زائر في جامعة وهران بالجزائر) .

٢ - نقلها الأرقام ، وإن كانت خطأ ، كما هي !!

٣ - أخذها التخريجات دون تمحيص ، ودون عودة إلى الأصول .

٤ - أنها نقلت الحواشي والإحالات ، وغفلا أن مصادرنا التي اعتمدنا عليها ، غير مذكورة أحياناً في ثبت المصادر والمراجع عندها !!

وهذه نماذج تمتع القارئ الكريم :

- في الصفحة (٢٤) أورد ابن السيّد بيتاً نسبته لجرير . والصواب أنه من شعر لبيد بن ربيعة . فقالا في الحاشية ما نصه : « هكذا نسب البيت لجرير في جميع النسخ ، ولم نعتز عليه في ديوانه . وبالبحث وجد هذا البيت للبيد ... إلخ » .

وقد تنبه الأستاذ الحمصاني - رحمه الله - من قبل إلى أن البيت من شعر لبيد . ثم زدتُ أنا الإحالة على ديوانه . ولو رجعا حقاً إلى طبعة الموسوعات لتنبيهها إلى ذلك !

- في الصفحة (٦٥) رجز غير منسوب . وقد بحثت عنه في كنايات الجرجاني صفحة صفحة لأنه غير مفهرس ، وأثبت نسبته وشرحه . ثم نقل المدرسان المذكوران حاشيتي كاملة .

● وجه الملاحظة في أن كنايات الجرجاني ليس من مصادرها !!

- في الصفحة (٧٣) شعر متنازع النسبة . وقد ذكرت أنا أسماء الشعراء الذين ينسب إليهم الشعر . وزاد المدرّسان : « ويرجح بعض العلماء أن الأبيات لشبل بن عبد الله إلخ .. » . ولو رجعا إلى المصادر حقاً لما زادا هذه العبارة غير الصحيحة . وهي زيادة يقصد بها التويه والتعالم .

- في الصفحة (٩١) نقلت في طبعتي شرحاً لبيت النابغة من شرح عاصم بن أيوب البطليوسي على الديوان ، وأخذ المدرسان المذكوران الشرح نفسه ، وظننا أنه من شرح الأعلام .

● الملاحظة أنها لم يعرفا شرح البطليوسي ، وليس في مصادرها !

- في الصفحة (٩٣) إحالة - منقولة عني - على ديوان النابغة الجعدي . وهو من تخريجي وليس ديوان النابغة - المطبوع في دمشق - من مصادرها !!

- في الصفحة (١٢٧) إحالة على ديوان جميل ص (٦٧٠) هكذا . والصواب (٦٧) ولكن الرقم صحّف في طبعة دار الفكر إلى ٦٧٠ سهواً ، فنقلنا السهو كما هو . وديوان جميل لا يتجاوز مئتي صفحة إلا قليلاً !!

- في طبعتنا عدد من الأخطاء في المقابلة على مطبوعة الأستاذ الحمصاني ، وقد نقلناها عنّي بأخطائها . ومن طريف الخطب وعدم المسؤولية قولها في الصفحة ١٩٢ : إن المثل العربي « خش ذؤالة بالحبالة » قد سقط من المطبوع . وهذا غير صحيح لأنه ثابت في طبعة الحمصاني وطبعتنا ... إلخ !!

وعلى الإجمال فإن ما حقّقته وخرّجته قد أخذه وأثبتاه ، وما تركته وأغفلته أو سهوت عنه تركاه ولم يزيدا عليه شيئاً تقريباً ، والقليل النادر لا يكاد يذكر .

وبعد .

فإنني إنما ذكرت هذا الكلام - وإن طال قليلاً - لسببين :

أحدهما : أن داء السرقة داءٌ تقشّي ، وصار كالمباح حتى في بعض أوساط

(الدكاترة) !! ، والآخذين أماكن بين الباحثين والمحققين . ولا بد من الإشارة إلى هؤلاء ،
والتنبيه عليهم .

والثاني : أن هناك من يظن أننا نتزيد على هؤلاء أو نتجنى عليهم . وقد يكون
البيان مفيداً عندهم ، مقنعاً لهم .

فهذه الكلمة إلى هؤلاء ، وإلى هؤلاء ، على حد سواء .

والحمد لله رب العالمين .

دوما - دمشق شباط ١٩٨٢ م

ربيع الثاني ١٤٠٢ هـ

د. محمد رضوان الداية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين .

وبعد : فهذا كتاب غريب طريف ، على جانب من الأهمية ، بالرغم من صغر حجمه ونسيانه بين مؤلفات الأندلسيين . والمؤلف واحد من كبار علماء الأندلس وأدبائها ، وهو ابن السيد البطليوسي . وهذه نبذة سريعة أقدمها بين يدي الكتاب للتعريف بالمؤلف ، وعصره ، وأثاره ، وللحديث عن كتابه هذا وتحقيقه :

١ - كان عصر ابن السيد البطليوسي من أكثر عصور الأندلس حركةً ونشاطاً ومظاهر تنوع وتغير . فهو أدرك مدة دول الطوائف صدرأً من شبابه ، وعاصر دولة المرابطين في إبانها وتمكنها . وهو على كل حال علامة بارزة من علامات عصره : في تقلب أحوال حياته ، ومعيشته ، ونشوبه في أطراف من السياسة ؛ وهو نموذج فذ للشخصية الثقافية الأندلسية بعد أن بلغت النضج والكمال .

قبل مولد ابن السيد - سنة ٤٤٤ - كانت الدولة الأموية قد أنهت مهمتها ، وصعب على أواخر أمرائها وخلفائها الاحتفاظاً بسلطانها . ومنذ أوائل القرن الخامس نبغت دول ودويلات صغيرة على أشلاء الدولة الأم ، وقام حكام وأمرأء ومتوثبون ممن يصلح للرياسة وممن لا يصلح لها ، وصار أمر الجزيرة الأندلسية إلى فوضى سياسية عارمة ، فتفرقت دولاً ، وتمزقت شيعاً ، وامتدت أيدي الدول الإسبانية المجاورة إليها بالاحتلال والانتساف ، ودفع ملوك الطوائف غائلتها بالمال حيناً والتنازل عن شيء من البلاد حيناً آخر حتى تدارك المرابطون أمر الأندلس ، وقد أفلت الأمر من أيدي أهلها أو كاد .

ومنذ سنة ٤٨٣ بدأ المرابطون يجمع شمل الأندلس تحت رايتهم ، وأسقطوا معظم تلك

الدّويلات . وتوفي ابن السيّد - سنة ٥٢١ - في عهد أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين .

٢ - كانت الحركة الحضارية في الأندلس - لهذا العهد - في عنفوانها : في العلوم والفنون والصنائع والآداب ، وكان الرخاء في المظاهر الاقتصادية والاجتماعية قد بلغ مداه . وتبلورت في هذه المدة الشخصية الأندلسية وتوضّحت خصائصها . لقد عاش أعلام القرن الخامس الهجري في ظلال وارفية كان مَدّها مَنْ سَبَقهم من العلماء والفقهاء والأدباء ، وقطفوا ثمار الحركة العلمية الثقافية ، التي أنجزت في حياة الدولة المروانية العظيمة .

ويُعَدّ ابن السيّد واحداً من أهم أعلام القرن الخامس ، بل إنه ليعدّ في أبرز رجال الأندلس على اختلاف عصورها .

٣ - وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيّد^(٥٦) ولد ونشأ بمدينة بَطْلَيْوُس فنسب إليها ، وصار يُعرف بالبَطْلَيْوُسِيّ . وأصل أسرته من (شِلْب) بغرب الأندلس ، من أسرة مشهورة ، وكانت ولادته - كما سلف - سنة ٤٤٤ .

لا نعرف الكثير عن مراحل حياة ابن السيّد الأولى ، ولكنه - كما يظهر من أسماء شيوخه ومن مؤلفاته ، وقرائن أخرى - بقي في بطليوس إلى أن حصّل علومه ، وبلغ منزلة مشهورة بين أقرانه . وقد أخذ علومه عن أخيه عليّ بن محمد ، وعن أبي بكر عاصم بن أيوب البَطْلَيْوُسِيّ ، - وهو مشهور بشروحه على الأشعار الستّة الجاهليّة - وعن أبي سعيد الوراق ، وأبي عليّ الغساني وغيرهم . ونستطيع أن تقدّر أبعاد ثقافته من خلال ما نعرفه له من

(٥٦) ترجمة ابن السيّد في :

تلائد العقيان لابن خاقان (مصر ١٢٨٤) : ١٩٢ . الصلة لابن بشكوال (مصر ١٩٥٥) : ١ : ٢٨٢ . المطرب لابن دحية (مصر ١٩٥٤) : ٢٢٥ . وفيات الأعيان لابن خلكان (مصر ١٩٤٨) : ٢ : ٢٨٢ . المغرب (الطبعة الأولى) لابن سعيد ١ : ٣٨٥ . أزهار الرياض للمقري ٣ : ١٠١ . البداية والنهاية لابن كثير ١٢ : ١٩٨ . نفح الطيب للمقري (مصر) ٢ : ١٦٧ . الديباج المذهب لابن فرحون (مصر) ١ : ١٤٠ . فهرس الفهارس للكتاني ٢ : ٣٨٢ . بنية الملتنس للضي : ٣٢٤ .

وانظر أيضاً : ظهر الإسلام لأحمد أمين (ط ١٩٦٢) ٣ : ٩٠ . تاريخ الفكر الأندلسي : ٣٢٤ . تاريخ النقد الأدبي في الأندلس : ١٧٩ و Brock 1.547. S.1.758 .

مؤلفات متشعبة الاتجاهات . فهو ضَرَبَ في الآداب من شعر وكتابة وتأليف : وفي علوم اللغة ، وفي الأصول والفقه والحديث . كما اِغْتَنَى بقضايا الفلسفة والمنطق وعلم الكلام . وكان له بَصَرٌ بطرائق التدريس والتعليم ، وقد وصفه ابن بشكوال بأنه كان « حَسَنَ التعليم جيد التلقين »^(١) .

ولم تكن شخصية عظيمة كابن السيد تخفى على أمراء عصره وأصحاب الدول فيها ، لما حازه من براعة في الفنون المختلفة . كما كان هو نفسه طمّاحاً إلى المراتب ، كثير المعارف والصّلات . وتقلّب في خدمة عدد من دول عَصْرِهِ ، وتنقّل في البلاد الأندلسية دون أن يثبت في دولة واحدة ، من تلك الدول . وليس هذا مجال تفصيل وتوسّع في دقائق حياة المؤلف ، ولكنها الملحّة العابرة الدالة . فهو خدم عند بعض ملوك الطوائف ومدح بعضاً منهم . وأبرز من نعرف له بهم علاقات واتصالات : بنو رزين أصحاب السّهلة (شَتَمَرِيَّة الشرق) ، وبنو ذي النّون أصحاب طُلَيْطِلَة ، وبنو هُود أصحاب سَرَقُسْطَة ، وبنو الأَفطس أصحاب بَطْلَيْئُوس .

ويبدو أنّه لزم الكتابة لعبد الملك بن رزين مدّة من الزّمن ، ثم غادره بعد أن خشي بواده - كما يبدو - فلحق بالمستعين : أحمد بن هود صاحب سرقسطة . ونجد في شعره مدحاً للقادر ، والظافر من بني ذي النّون أصحاب طليطلة .

وسمحت له مراكزه (الرسمية) هذه في الرياسة ، والوزارة ، والكتابة أن تكثر صداقاته مع المشهورين من رجال عصره في السياسة ، وفي الآداب والعلوم . وتجد في الباقي من آثاره رسائل مختلفة إلى الوزير أبي عيسى بن لبون ، والوزير أبي عبد الله بن أبي الخصال ، والوزير أبي محمد بن الفرج ، والوزير أبي محمد بن سفيان .. إلخ . كما نجد في ديوان ابن خفاجة ترسلًا بين الشاعر وصديقه ابن السيد .

ومن جهة أخرى فقد كان لابن السيد تلامذة تلقّوا عنه ، ومالوا إلى مناصرته والالتفاف حوله ، ونشروا كتبه في حياته وبعد وفاته^(٢) .

(١) الصلة ١ : ١٩٢ .

(٢) راجع فهرسة ابن خير الإشبيلي (ط بيروت) : ٣٥٧ ، ٣٨٣ ، ٤١٢ .

وقد نفّض ابن السيد يده من مشاغل السياسة بعد سقوط دول الطوائف - على الأرجح عندي - والتفت بكل جهوده إلى التعليم والتأليف ، والرواية ، وما يلحق بذلك . وبقي على حاله مشهوراً ، مقدّماً إلى وفاته سنة ٥٢١ هـ . وكان استقراره في المدّة الأخيرة من حياته في مدينة بلنسية ، في شرقي الأندلس .

٤ - كانت جوانب ابن السيّد البَطْلَيْوسِي كثيرة ، متشعبة ، تتّصل اتساع الثقافة الأندلسية ، وعلى الرغم مما يستهلكه الانشغال بالسياسة من جهة ، والاشتغال بالتعليم من جهة ثانية ، فإن آثار ابن السيّد التي وصلت إلينا تدلّ على علو مقدرته في ضروب المعرفة التي مدّ يده إليها .

ومؤلفاته - التي نعرفها - هي :

١ - شرح سقط الزند للمعرّي ، وشيء من اللزوميات . (طبع في القاهرة) ضمّ شرحه على سقط الزند إلى شرحي التبريزي والخوارزمي في نسق . واستل شرحه على بعض اللزوميات فطبع في جزأين .

٢ - الفرق بين الحروف الخمسة وهي : السين والصاد والضاد والطاء والظاء - طبع في القاهرة (بتحقيق سريع) ثم طبع في دمشق .

٣ - المثلث في اللغة - حققته مع الأستاذ هـ . حودي في جامعة وهران - وقرأت أنه طبع أيضاً ببغداد . ثم اطلعت عليه مطبوعاً .

٤ - الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن قتيبة (ط مصر) .

٥ - إصلاح الخلل الواقع في أبيات الجمل (وطبع في القاهرة) .

٦ - الحلل في شرح أبيات الجمل (وطبع في القاهرة) . وكلاهما شرح وتنبيه على كتاب (الزجاجي) المسمّى (الجمل) .

٧ - الإنصاف بذكر أسباب الخلاف - وهو هذا الكتاب الذي تقدمه - .

٨ - شرح الموطأ . مفقود ، وذكره في (الصلة) و (وفيات الأعيان) .

٩ - الحقائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة . نشره وقدم له الشيخ زاهد

الكوثري . مصر ١٩٤٦ من مطبوعات عزة العطار . (وانظر النقد الأدبي في الأندلس
٢٠١) .

١٠ - الانتصار مَن عدل عن الاستبصار . وهو جزء ردّ فيه ابن السيّد على اعتراضات
لأبي بكر بن العربي كان أوردها على شرح ابن السيّد لشعر المعري (ط القاهرة) .

١١ - جزء فيه علل الحديث . ذكره ابن خير .

١٢ - كتاب فيه مسائل في العربية . ذكره ابن خير .

١٣ - وله (فهرسة) ذكرها ابن خير .

١٤ - وله كتاب (المسائل والأجوبة) . منه نسخ مخطوطة ، وطبع جزء منه في
بغداد ، نشره الدكتور إبراهيم السامرائي .

١٥ - الاسم والمسمى . رسالة طبعت في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق .

١٦ - شرح المختار من لزوميات أبي العلاء . طبع القسم الأول منه في القاهرة .

إلى كتب ورسائل أخرى لم تصل إلينا .

٥ - موضوع الكتاب :

أما موضوع الكتاب فغني عن الشرح والبيان ، وقد دلّ عليه مؤلفه رحمه الله بهذا
العنوان الدقيق الذي التزم به في جميع صفحات الكتاب ، فلم يتجاوز رحمه الله
(الإنصاف) وهو يسرد الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين أهل الملة الحنيفية ، حتى صار
من فقهاءهم : (المالكي ، والشافعي ، والحنفي ، والأوزاعي) ، ومن ذوي مقالاتهم :
(الجبري ، والقدري ، والمشبه ... إلخ) . ولهذا لم يأت عنوان الكتاب ليبدل على ضرب من
ضروب السجع ، بمقدار ما جاء دالاً على (الموضوعية) التي تحلى بها المؤلف وهو يستعرض
الأسباب التي أوجبت الخلاف بين المسلمين .

وابن السيّد - رحمه الله - من العلماء القلائل الذين مكنتهم ثقافتهم الواسعة المتعددة
الجوانب من الإسهام في هذا الباب بمثل تلك الموضوعية حتى جاء كتابه هذا في مقدمة
الكتب التي تحدثت في موضوع أسباب الخلاف .

وكثير من الناس - وبخاصة أولئك الذين لم يأخذوا من العلوم الدينية بسبب - لا يملون من ترداد السؤال عن أسباب الخلاف بين الفقهاء والمتكلمين والمجتهدين ... وربما جهر بعضهم برغبته الملحة في (نسخ) هذه المذاهب والاجتهادات ظناً منه أنها قول بالهوى ، أو إهمال أو تجاوز لبعض مصادر الشريعة التي أجمعت عليها الأمة في جميع العصور ... وابن السيد - رحمه الله - يبين في هذا الكتاب أن الأمر ليس كذلك ، وأن للخلاف أسبابه التي لا يمكن دفعها أو إهمالها .. كما تدل على ذلك (لغة) العرب . وطريقتهم في الكلام والخطاب .

ومن هنا تأتي قيمة هذه الدراسة (الموضوعية) الجادة التي قدمها ابن السيد رحمه الله ، والتي رجع فيها الأسباب الموجبة للخلاف إلى ثمانية أوجه ، وهي : اشتراك الألفاظ والمعاني ، الحقيقة والمجاز ، الأفراد والتركيب ، الخصوص والعموم ، الرواية والنقل ، الاجتهاد فيما لا نص فيه ، النسخ والمنسوخ ، الإباحة والتوسيع .

وقف ابن السيد - مطولاً إلى حد ما - عند الأسباب الأربعة الأولى ، وهي أسباب تعود إلى موضوع (اللغة) كما هو واضح ، ففصل فيها القول ، واستشهد لها بما حضره - وهو كثير - من كلام العرب نثراً وشعراً . وإذا جاز لنا أن نعتبر هذه الأسباب الأربعة (قسماً) للسبب الخامس - كما سنوضح - فإن موضوع (الرواية والنقل) ربما كان لا يزال فيه متسع للمزيد من القول في كتاب ابن السيد رحمه الله ، على دقة التقسيم والتعليل في هذا الباب .

وكأن الرسالة القيمة التي كتبها شيخ الإسلام ابن تيمية - رفع الملام عن الأئمة الأعلام - تكمّل هذا النقص وتسده^(١) ، بل إن الشطر الأكبر من هذه الرسالة موضوعه الرواية والنقل . قال ابن تيمية رحمه الله : « وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولاً عاماً يعتقد مخالفة رسول الله ﷺ في شيء من سنته دقيق ولا جليل . فإنهم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسول ﷺ ، وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله

(١) وانظر كتاب : الإنصاف في بيان سبب الاختلاف في الأحكام الفقهية ، تأليف شاه ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي .

وكتاب أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء . للدكتور مصطفى الحن ومقدمته للكتاب وثبت مصادره ومراجعته .

ويترك إلا الرسول ﷺ . ثم قال : « ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلا بد من عذر في تركه ، وجماع الأعذار ثلاثة أصناف :

أحدها : عدم اعتقاده أن النبي ﷺ قاله .

الثاني : اعتقاده أنه أراد تلك المسألة بذلك القول .

الثالث : اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ .

وعلى الرغم من أن ابن تيمية ، في شرحه لهذه الأصناف أو المبادئ ، قد مزج بين ما أظهره وأفرده ابن السيد بدقة ، فإنه أطال الوقوف عند الخلاف في الرواية والنقل ، وأسباب ذلك ، بما لا مزيد عليه .

ولعل موضوع (الرواية والنقل) وما قيل فيه وكتب عنه ، بالإضافة إلى أسباب الخلاف الأخرى التي تحدث عنها ابن السيد رحمه الله تجيز لنا أن نحصر هذه الأسباب في سببين رئيسيين تعود إليهما سائر الأسباب الأخرى ، وهما : ١ - الخلاف في ثبوت النص . وهذا خاص بالحديث والرواية . ٢ - الخلاف في (فهم النص) بحسب قواعد اللغة وأوضاعها المعروفة ، وأن فيه دلالة على هذا الحكم أولاً . وهذا يشمل القرآن والحديث في آن معاً ..

يقول الأستاذ الشيخ علي الخفيف في كتابه (محاضرات في أسباب اختلاف الفقهاء) : « وإذا رجعنا إلى اختلاف الفقهاء في الأحكام الفقهية وأسبابه .. وجدنا أن اختلافهم هذا منه ما يرجع إلى اختلافهم في الأصل الذي بنيت عليه آراؤهم ، ومنه ما يرجع إلى اختلافهم في وسائل الفهم والنظر فقط مع اتحادهم في الأصل الذي رجعوا إليه » .

ثم يقول : « فجميع الأحكام المستمدة من القرآن إنما يرجع اختلافهم فيها إلى اختلافهم في (وسائل) فهمه وطرائقه ، لا إلى اختلافهم فيه ، أو في ثبوته ، أو في وجوب العمل به .

وكذلك الأحكام المستمدة من السنة لا يرجع اختلافهم فيها إلى اختلافهم في السنة من ناحية أنها الأصل الثباني الذي تقوم عليه الأحكام الشرعية وأنها مبينة للكتاب ، وإنما يرجع الاختلاف فيها تارة إلى الاختلاف في فهمها ، وتارة إلى عدم العلم بها ، وتارة إلى عدم

وثوق بعضهم بروايتها على حين وثق بعضهم الآخر بها . وهذا الضرب الأخير من الخلاف لا يعد في الواقع خلافاً في الأصل من حيث هو أصل يجب العمل به ، وإنما يعد خلافاً في وجوده وتحقيقه ، حتى إنهم كانوا جميعاً يصرحون بأنه إذا صح الحديث فهو الرأي والحكم الذي يجب الركون إليه وترك ما عداه .

هذا ، مع العلم بأن كتاب ابن السَّيِّد رحمه الله لم يقصره على الفقه دون العقائد وأصول الدين ، فجاء كتابه دقيقاً شاملاً . وسوف يلحظ القارئ تحقيقين هامين - من نقاط كثيرة - في باب العقائد لم يسبق ابن السيد إلى مثلها ، وهما تفسيره لحديث : « إن الله خلق آدم على صورته » ، (ومذهبه) في قضية الجبر والاختيار وخلق الأفعال^(١) .

٦ - تحقيق الكتاب :

طبع هذا الكتاب ، قبل هذه الطبعة ، في مطبعة الموسوعات بمصر ١٣١٩ هـ ، بعنوان : (الإنصاف ، في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الخلاف بين المسلمين في آرائهم) . وقد كانت هذه الطبعة - في وقتها - ذات أهمية وأدت خدمة للدارسين والباحثين . وصار لا بد من إعادة طبع الكتاب مرة أخرى ، نشرافاً لفائدته من جهة ، وعناية به وبموضوعه من جهة ثانية .

اعتمدت في نشر كتاب (الإنصاف) وتحقيقه على نسختين خطيتين عاليتين . واستفدت أيضاً من النسخة المطبوعة في القاهرة سنة ١٣١٩ هـ فقد لاحظت شيئاً قليلاً من الاختلاف فيها عما في النسختين المخطوطتين .

والنسختان المخطوطتان من التراث العربي المحفوظ في خزائن الكتب في استانبول إحدى النسختين أندلسية ، بخط أندلسي نفيس ، بآخرها قراءة ومقابلة ، غير أن تاريخ النسخ ذهب بأثر التصوير . والظاهر أن النسخة من كتب القرن الخامس تقريباً .

وتقع النسخة في ثلاثين ورقة من القطع المتوسط ، في كل صفحة نحو ٢٤ سطراً ، وفي كل سطر نحو ١٤ كلمة . وهي مضبوطة بالشكل ، جلية واضحة .

وقد ميز الكاتب الشعر عن الأصل النَّثْرِي بعلامات واضحة ، ولم يداخل بينهما . وإذا ما أراد أن يصلح كلمة أو يوضح رسمها أعاد كتابتها على حاشية الصفحة ، وهذا قليل جداً .

وملاً الناسخ نفسه بقية الصفحتين الأخيرتين من الكتاب بشيء من الشعر العربي .
تفاريق لا يجمعها نظام ، ولا علاقة لها بالكتاب الأصلي . والشعر لمشاركة وأندلسيين . كما
أدرج تحت عنوان الكتاب نقولاً من الشعر وفوائد لغوية .

وعنوان الكتاب في هذه النسخة : (كتاب التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت
الخلاف بين المسلمين في آرائهم ومذاهبهم) تأليف الفقيه العلامة أبي محمد عبد الله بن محمد بن
السيد البطليوسي رحمه الله عليه .

والكتاب في مجموع ، ظهر فيه أيضاً جزء من كتاب (الاسم والمسمى) الذي سبقت
الإشارة إليه .

وقد اعتمدت هذه النسخة النفيسة أصلاً ، ثم قابلت بنسخة (م) التي سأحدث عنها ،
والنسخة المطبوعة (ط) . ورمزت للنسخة الأولى برمز (ن) .

والنسخة الثانية تقع في ٣٣ صفحة من القطع الكبير . في الصفحة نحو ٢٨ سطراً ،
وفي السطر نحو ١٦ كلمة .

والخط مغربي واضح ، بقلم دقيق . والكاتب متقن ، سليم النقل . والنسخة منقولة
عن أصل مكتوب بآخره إنه نقل من نسخة مقروءة على المؤلف . وعنوان الكتاب في هذه
النسخة : (كتاب الإنصاف بذكر أسباب الخلاف ، تأليف الإمام النحوي اللغوي أبي
عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي رحمه الله) .

وجاء في آخره :

« وافق الفراغ من كتابته بالمدينة المنورة على من تنوّرت به أفضل الصلاة والسلام
يوم الثلاثاء أواسط رمضان المعظم من عام إحدى وستين وألف رزقنا الله خير ، وصلى الله
على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً » .

وفي طرة الكتاب على الصفحة الأخيرة في مقابلة عبارة الختام ما نصه :

« انتهى كتابة ومقابلة من أصل مكتوب بآخره : بلغ مقابلة بأصل قرئ على
المؤلف ، مكتوب عليه ما مثاله : انتهت القراءة على الفقيه الأستاذ أبي محمد البطليوسي ،
أدام الله عزه ، بمدينة بلنسية في مستهل ربيع الأول سبعة وخمس مئة » .

الإنصاف (٢)

وجاء بعد نسخة الإنصاف ، رسالة ابن السيد البطلوسي في (الاسم والمسمى) .

ولم أعثر في القاهرة على نسخة مخطوطة من الكتاب ، ولعلّ المطبوع نقل عن نسخة استهلكت في الطباعة ، أو ضاعت ، أو دخلت خزانة خاصة لم ينتبه إليها . ولهذا فإنّ هذه النسخة (المطبوعة) ستظلّ بين أيدينا في أثناء التحقيق . ذلك أنني وجدت المؤلف يزيد بعض الكلمات والجل ، أو ينقص منها ، بين الحين والحين . وليس ذلك على سبيل إدراج أفكار جديدة أو العُدول عن أفكار سابقة ، ولكنّ ذلك يأتي على سبيل الإيضاح أو الإسهاب أو التعليق .

وقد مرّ أن ابن السيد اشتغل بـ (التعلّم) ، وأنه كان يُقرئ كتبه ومؤلفاته ويقرّرها على طلابه . ولا شكّ في أن كتابه (الإنصاف) كان من مؤلفاته التي طال تدريسه لها . فهو كتاب على جانب من الأهمية باعتباره كتاب أصول رفيع . وهو أيضاً كتاب طريف في موضوعه كما نبّه المؤلف في مقدمته ، فقد قال : « إنه كتاب قليل النظر ، نافع للجمهور ، عجيب المنزع ، غريب المقطع ، يُشبه المخترع وإن كان غير مخترع . ينتمي إلى الدين بأدنى نسب ، ويتعلّق من اللسان العربيّ بأقوى سبب ... » إلخ .

ولهذا كله أفدّت من النسخة المطبوعة ، ونبهت على ما طرأ على النسخة المعتمدة من خلاف برمزي (ط) للمطبوع . وجعلت النصّ نصّاً مختاراً ، وكانت الأفضلية دائماً لسياق النصّ المخطوط ، لثقة النسخة التي بين أيدينا أولاً ، ولئلا يضطرب العمل فيه من جهة أخرى .

وقد سلكت في تحقيق الكتاب منهجاً وسطاً . فلم أسرف في الهوامش ، والتعليقات ، والشروح . ولم أتوغل في الوقوف عند مسائله التي طرحها ، فذلك بابّ آخر ، أخرى أن يدخل في تأليف مختص ، لا أن يكون جزءاً من توثيق نص . أضف إلى ذلك أن المؤلف أكثر من الإشارات والأمثلة المتنوعة من مسائل الفقه وقضايا الحديث ، والكلام ، والفلسفة ، واللغة ، لا على سبيل التحليل والسرد ولكن على سبيل التمثيل والتدليل ، ومثل هذا لا يُستطاع - في هذا النطاق - السعي وراءه .

وتحدّد عملي في الإحالة كما في تخريج الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وفي التحقيق ، وبعض الشرح كما في الأمثال والأقوال ، والأشعار . وفي الشرح كما في بسط بعض

المصطلحات ، والتعريفات ، والتعليقات اللغوية بخاصة . والإشارات إلى الأعلام والرجال مما تقتضي الضرورة أن ينبّه إليهم . وكان من المنهج أن يترك المشهور المعروف ، مما لا تزيد ترجمته القارئ فائدة .

ولا شك في أن كتاباً كهذا يُدرج في اهتمامات متعددة ، فهو يرتبط بالأصول ومسائل الفقه ، كما يرتبط باللغة وجوانب الأدب ؛ وهو كتاب يمكن البسط فيه ، والتعليق عليه ، والاستدراك له ... وقد نبّه ابن السّيد إلى تداخل ما في هذا الكتاب من أمور ، واعتماده على عدد من الفنون ، في مقدمة كتابه ، إذ قال ما نصّه :

« إني .. صرفت خاطري إلى وضع كتاب في أسباب الخلاف الواقع بين الأمة ... ينتمي إلى الدين بأدنى نسب ، ويتعلّق من اللسان العربيّ بأقوى سبب ، ويخبر مَنْ تأمّل غرضه ومقصده بأن الطريقة الفقهيّة مفتقرةٌ إلى علم الأدب ، مؤسّسة على أصول كلام العرب .. » .

وأرجو أن يكون في نشر هذا الكتاب ، ما يُفيد العاملين في أمور الشريعة ، وفي قضايا اللغة ، وأن يكون الإحسان في تحقيقه والتعليق عليه أكثر من الزلل . وسبحان الذي لا معقّب لكلماته .

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

د. محمد رضوان الداية

الانصاف

فِي الْبَيِّنَةِ عَلَى الْمَعَانِي وَالْأَسْبَابِ الَّتِي أَوْجَبَتْ لاختلاف بين المسلمين في آرائهم

«إنَّ اختلافَ المخلفين في الحق
لا يُوجبُ اختلافَ الحق في نفسه»

تأليف
الإمام النجوي اللغوي أبي محمد عبد الله بن محمد
ابن السيد بطليوسي
رحمته الله

بسم الله الرحمن الرحيم

صَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً - عونَكَ اللَّهُمَّ . قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ السَّيِّدِ الْبَطْلَيْوِيِّ ، رَحِمَهُ اللَّهُ :

الحمد لله مُسْبِغُ النُّعَمِ ، وَمُسَوِّغُ الْقِسَمِ ، وَالْمُنْفَرِدُ بِالْقِدَمِ ، وَبَارِئُ
النَّسَمِ ، وَمَوْجِدُنَا^١ بَعْدَ الْعَدَمِ ؛ وَبَاعَثَ الْعِظَامَ الْهَامِدَةَ وَالرُّمَمَ ، وَالْمُخَالَفَ
بَيْنَ الْهَيْئَاتِ وَالشَّيَمِ . حِكْمَةً تَاهَتْ فِي فَهْمِهَا عَقُولُ ذَوِي الْحِكَمِ ؛ خَلَقَ
الْأَجْسَامَ^٢ مِنْ أَضْدَادٍ مُتَنَافِرَةٍ ابْتَدَعَهَا بِقُدْرَتِهِ ، وَأَلَّفَ تَقَائُضَهَا بِحِكْمَتِهِ ،
حَتَّى أَبْرَزَهَا لِلْعَيَانِ مُتَغَايِرَةَ الصُّوَرِ وَالْأَلْوَانِ ؛ مُتَقَنَةَ الْأَشْكَالِ ، مُخْتَرَعَةً
عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ ؛ وَخَالَفَ بَيْنَ الْآرَاءِ وَالْإِعْتِقَادَاتِ كَمَا خَالَفَ بَيْنَ الصُّوَرِ
وَالْهَيْئَاتِ ، وَأَخْبَرَنَا بِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ وَاضِحِ الْآيَاتِ^٣ ؛ فَقَالَ^٤ تَعَالَى^(١) :
﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴾ .

١ . فِي : م ، ط : وَمَوْجِدُهُ .

٢ . فِي م ، ط : الْأَجْسَادُ .

٣ . فِي م : وَاضِحُ الدَّلَالَاتِ ، فِي ط : أَوْضَحُ الدَّلَالَاتِ .

٤ . فِي م ، ط : فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ .

(١) سورة الروم ٣٠ : ٢٢ .

وقال جلّ جلاله^(١) : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ .

وتبيّن لنا أنه قديرٌ على غير ما أجرى العادة به^١ فقال^(٢) : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ .

ونبّهنا اللفظ تنبيهه على ما في هذا الخلاف الموجود في البشر ، المُرْكُوز في الفِطْرِ من الحكمة البالغة ، وأنه جعله إحدى الدلائل على صِحَّة البعث الذي أنكره مَنْ ألحد في أسمائه ، وكفر بسوابغ نعمائه فقال - وقوله الحق ، ووعده الصّدق -^(٤) : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴾ .

١ . كلمة (به) لم ترد في نسخة (ن) .

(٢) سورة هود ١١ : من الآيتين ١١٨ ، ١١٩ وتامها : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ .

قال القاضي عبد الجبار في قوله تعالى : ﴿ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ : يعني ولأن يرحمهم خلقهم ، لأن الكلام يجب أن يجعل متعلقاً بأقرب ما يمكن تعلّقه به إذا أمكن ذلك فيه ، ولم يمكن تعلّيقه بالكل . انظر متشابه القرآن ١ : ٢٨٧ .

ونقل القرطبي : قال الحسن وعطاء ويمان : الإشارة للاختلاف ، أي : وللإختلاف خلقهم . وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك : ولرحمته خلقهم . انظر تفسير القرطبي ٩ : ١١٥ .

(٣) سورة الأنعام ٦ : من الآية ٣٥ . وتامها : ﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ .

(٤) سورة النحل ١٦ : ٢٨ ، ٢٩ .

وهذه الآية أحد¹ ما تَضَمَّنَهُ القرآن العزيز من الأدلة¹ البرهانية على صحة البعث . ووجه البرهان المنفك² من هذه الآية التي لا يقدرها حق³ قدرها إلا العالمون ، ولا يَنْتَبِه² لغامض سرها إلا المستبصرون أن اختلاف الناس³ في الحق لا يوجب اختلاف الحق في نفسه . وإنما تختلف الطرق الموصلة إليه ، والقياسات المركبة عليه ، والحق في نفسه واحد⁴ .

فلما ثبت أن ههنا حقيقة موجودة لا محالة ؛ وكان لا سبيل لنا في حياتنا هذه إلى الوقوف عليها وقوفاً يوجب لنا الائتلاف ، ويرفع عنا الاختلاف - إذ كان الاختلاف مركزاً [٢ ب] في فطرنا ، مطبوعاً في خلقنا ؛ وكان لا يمكن ارتفاعه وزواله إلا بارتفاع هذه الخلقة ونقلنا إلى جبل^(٥) غير هذه الجبل - صح ضرورة أن لنا حياة أخرى غير هذه الحياة⁵ ، فيها يرتفع الخلاف والعناد ، وتزول من صدورنا الضغائن الكامنة والأحقاد . وهذه هي⁶ الحال التي وعدنا الله تعالى بالمصير إليها فقال^(٦) تعالى⁷ : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ .

١ . في ط : إحدى ، في م : الدلالة .

٢ . في م ، ط : ينتبه .

٣ . في م ، ط : المختلفين .

٤ . في م : والحق واحد في نفسه .

٥ . في م : غير هذه .

٦ . في م ، ط : وهي هذه .

٧ . في م ، ط : فقال .

(٥) الجبل : الخلقة ، والطبيعة .

(٦) سورة الحجر ١٥ : ٤٧ . الغل : الحقد المنغل ، أي الكامن .

ولا بُدَّ من كون ذلك باضطراراً¹ ؛ إذ كَانَ وجودُ الاختلاف¹ يقتضي وجودَ الائتلاف ، لأنه ضربٌ ونوعٌ من المضاف .

وكان لا بُدَّ من حقيقة ؛ وإن لم تَقُلْ ذلك صِرنا إلى مذهبِ السُّوفسطائية^(٧) في نفي الحقائق . فقد صارَ الخلافُ الموجودُ في العالم - كما ترى - أوضحَ الدلائلِ على كَوْنِ البعثِ الذي يَنْكِرُهُ الْمُنْكَرُونَ ، وينازِعُ فيه المُلْحِدُونَ الكافرون² .

فسبحانَ مَنْ أودعَ² كتابه العزيزَ تصريحاً وتلويحاً كُلَّ لطيفةٍ لِمَنْ قَدَرَهُ حَقَّ قدره ، وَوَفَّقَ لِفَهْمِ غوامضِ سرِّه .

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مَنْ هَدَانَا بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَعَلَّمَنَا بَعْدَ الْجَهَالَةِ . وَإِيَّاهُ نَسْأَلُ أَنْ يُوفِّقَنَا لِاقتفاءِ آثارِهِ ، حَتَّى يُحَلِّلَنَا دَارَ الْمُقَامَةِ³ فِي جِوَارِهِ .

وَإِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ قَدْ أَفْرَطُوا⁴ فِي التَّأْلِيفِ ، وَأَمَلُّوا النَّاظِرِينَ بِأَنْوَاعِ⁵ التَّصْنِيفِ ؛ فِي أَشْيَاءَ مَعْرُوفَةٍ ، وَأَسَالِيبَ مَأْلُوفَةٍ⁵ ، يُغْنِي بَعْضُهَا

1 . في ط : بالاضطرار . - في م ، ط : الخلاف .

2 . (الكافرون) لم ترد في « ن » . - في ط : أودع لنا .

3 . في م ، ط : دار الكرامة .

4 . في م : أطنبوا .

5 . في م ، ط : في أنواع . - في م ، ط : أساليب معروفة ، وأشياء مألوفة .

(٧) تحدث الإمام ابن حزم عن السوفسطائية - وهم مبطلو الحقائق - وتَقُلْ أنهم ثلاثة أقسام : صنفٌ نفى الحقائق جملة ؛ وصنفٌ شكَّوا فيها ؛ وصنفٌ قالوا : هي حق عند من هي عنده حق ، وهي باطل عند من هي عنده باطل ؛ قال : وعمدة ما ذُكر من اعتراضهم فهو اختلاف الحواسِّ في المحسوسات كإدراك البصر من بعد عنه صغيراً ومن قرب منه كبيراً ... » . الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ١ : ٨ - ٩ . وانظر التبصير في الدين للإسفرائيني : ١٣١ . وفصائح الباطنية : ٩٠ . وتعريفات الجرجاني : ٥٢ .

عن بعض^١ ؛ صرفتُ خاطري إلى وضع كتاب في أسباب الخلاف الواقع بين الأمة ، قليل النظر ، نافع للجُمهور ، عجيب المنزع ، غريب المقطع ، يُشبه المَخْتَرَع وإن كان غير مَخْتَرَع ؛ ينتمي إلى الدِّين بأدنى نسب ، ويتعلّق من اللِّسان العربي بأقوى سبب . ويُخبر مَنْ تأمَّل غرضه ومقصدَه بأن الطَّريقة الفِقهية مُفتقرة إلى عِلْم الأدب ، مؤسَّسة على أصول كلام العرب ، وأن مثلها ومثله قول أبي الأسود الدَّوَلِي^(٨) :

فإِلَّا يَكُنْهَا أَوْ تَكُنْهَ فَإِنَّهُ أَخُوها غَذَتْهُ أُمُّه بِلِبَانِها

وليس غرضي من كتابي هذا^٢ أن أتكلّم في الأسباب التي أوجبت الخلاف الأعظم بين مَنْ سَلَفَ وخَلَفَ من الأمم ، وإنّا غرضي أن أذكر الأسباب التي أوجبت الخلاف بين أهل مِلَّتِنَا الحنيفيّة التي جَعَلَنَا اللهُ تعالى من أَهْلِها ، وَهَدَانَا إلى وَاضِحِ سُبُلِها ؛ حتّى صار من فُقهاءِهم : المالكي^(٩) ، والشَّافعي^(١٠) ، والحنفي^(١١) ، والأوزاعي^(١٢) ، ومن ذوي مقالاتِهِمْ :

١ . لم ترد العبارة في « ن » .

٢ . في م : في هذا الكتاب .

٣ . (الأوزاعي) لم ترد في « ن » .

(٨) البيت في كتاب سيبويه ١ : ٢١ . والعقد ٦ : ٢٢٨ . وهو في مجموع شعره (ديوان أبي الأسود الدَّوَلِي) : ٨٢ ثالث ثلاثة أبيات . وقد قالها في غلام له كان يرسله في بضاعة له إلى الأهواز ، وكان الغلام يصيب من الشَّرَاب) . وفي الديوان :

فإن لا يَكُنْهَا أَوْ تَكُنْهَ فَإِنَّهُ أَخَ أرضعْتهُ أُمُّه بِلِبَانِها
واللِّبَان (بكسر اللام) كالرَّضَاع . يقال : هو أخوه بلبان أُمّه .

(٩) الإمام مالك بن أنس (٩٢ - ١٧٩) .

(١٠) الإمام الشافعي : محمد بن إدريس (١٥٠ - ٢٠٤) .

(١١) الإمام أبو حنيفة : النعمان بن ثابت (٨٠ - ١٥٠) .

(١٢) الأوزاعي : عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي (٨٨ - ١٥٧) من الطبقة الأولى من مجتهدي=

الجَبْرِي^(١٣) ، والقَدَرِي^(١٤) ، والمُشَبِّه^(١٥) ، والجَهْمِي^(١٦) [٢٣ أ] . ومن شِيَعِهِمْ^١ :

١ . في ط : شيعتهم .

= الإسلام . وإمام الديار الشامية في الفقه ، والزهد . وتبعاً لانتشار مذهبه في الشام انتشر في الأندلس ، ثم غلب مذهب الشافعي في الشام ، والمالكي في الأندلس . ولد الإمام الأوزاعي في بعلبك ، وعاش في بيروت وتوفي بها .

(١٣) الجبري : القائل بالجبر . وهو إسناد فعل العبد إلى الله تعالى . والجبرية اثنان : متوسطة تُثبت للعبد كسباً في الفعل كالأشعرية ، وخالصة لا تُثبت كالجهمية .
انظر : تعريفات الجرجاني : ٣٣ . والملل والنحل للشهرستاني ١ : ١٠٨ . وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي : ٢٠٠ .

(١٤) قال في التعريفات : « القدرية هم الذين يزعمون أن كل عبد خالق لفعله ، ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى » .
انظر : تعريفات الجرجاني : ٧٥ . والملل والنحل للشهرستاني ١ : ٥٤ . والتبصير في الدين للإسفراييني : ٦٠ . والتنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي : ٢٥٧ . والفرق بين الفرق للبغداددي : ١٨ . وانظر فيه ١١٤ .

(١٥) المشبهة : شبهوا ذات الباري بذات غيره . وصنف آخرون شبهوا صفاته بصفات غيره . وكل صنف من هذين الصنفين مفترقون على أصناف شتى . كذا في الفرق بين الفرق . وقال في التعريفات : « المشبهة قوم شبهوا الله تعالى بال مخلوقات ، ومثّلوه بالمُخْدَثات » .
انظر : الفرق بين الفرق للبغداددي : ٢٢٥ . وتعريفات الجرجاني : ٩٥ . والملل والنحل للشهرستاني ١ : ١٣٩ . ومقالات الإسلاميين للأشعري ١ : ١٠٢ - ١٠٥ . والتبصير في الدين للملطي : ١٠٥ .

(١٦) الجهمية : أتباع جهم بن صفوان الرّاسبي (.. - ١٢٨) انظر مقالاته وآراءه في : الفرق بين الفرق للبغداددي : ٢١١ - ٢١٢ . والملل والنحل للشهرستاني ١ : ١٠٩ . ومقالات الإسلاميين للأشعري ١ : ١١٧ . والتبصير في الدين للإسفراييني : ٩٦ . والتنبيه والرد للملطي : ٩٣ . وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي : ٢٦١ . وتعريفات الجرجاني : ٣٦ .

الزُّيْدِي^(١٧) ، والرَّافِضِي^(١٨) ، والسَّبَّي^(١٩) ، والغُرَابِي^(٢٠) ، والمُخَمَّس^(٢١) ،
والمُحَمَّدِي^(٢٢) ، وغير هؤلاء من الفرق الثلاث والسبعين^(٢٣) التي نصَّ عليها
رسولُ الله ﷺ .

١. (الخمس) لم ترد في « ن » .

(١٧) نسبة إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . وكان خطيباً ، فقيهاً ، متكلماً . ثار
على بني أمية بالكوفة ، وقتل سنة ١٢٢ .

انظر : الملل والنحل للشهرستاني ١ : ٢٠٧ . والتبصير في الدين للإسفرائيني : ٣٢ . والتنبيه
والرد للملطي : ٣٨ . والفرق بين الفرق للبغدادي : ٢٢ . ومقالات الإسلاميين ١ : ١٢٩ .

(١٨) انظر في الرافضة : التنبيه والرد للملطي : ٢٥ . والتبصير في الدين للإسفرائيني : ٢٢ . والفرق
بين الفرق للبغدادي : ٢١ ، ٢٩ . ومقالات الإسلاميين للأشعري ١ : ١٢٧ . وكشاف
اصطلاحات الفنون للتهانوي : ٧٦٤ .

(١٩) السبئية : من غلاة الشيعة . وهم أصحاب عبد الله بن سبأ (.. - نحو ٤٠) . انظر : الملل
والنحل للشهرستاني ٢ : ١١ . والتنبيه والرد للملطي : ٢٥ . والفرق بين الفرق للبغدادي :
٢٥٥ . والتبصير في الدين : ١٠٥ - ١٠٩ . ومقالات الإسلاميين للأشعري ١ : ٨٥ . وتعريفات
الجرجاني : ٥١ . وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي : ٧٦٤ .

(٢٠) الغرابية من الغلاة .
انظر : الفرق بين الفرق : ٢٤٥ . والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٤ : ١٨٣ .
والتبصير في الدين : ١١٢ . وتعريفات الجرجاني : ٦٩ . وكشاف اصطلاحات الفنون :
١٠٨٩ .

(٢١) الخمسة : قوم قالوا بالوهمية خمسة أشخاص . قاله الشهرستاني في ٢ : ١٢ .
(٢٢) الحمديّة : يقولون بانتظار محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ، ويقولون إنه لم يمت .
انظر : الفرق بين الفرق : ٥٦ . والتبصير في الدين : ٣٩ . ومقالات الإسلاميين ١ : ٩٧ .
(٢٣) حديث افتراق الأمة على اثنتين وسبعين فرقة أو على ثلاث وسبعين فرقة ، أخرجه ابن ماجه
من حديث أبي هريرة ، وحديث عوف بن مالك . وفي الزوائد : أن حديث هشام إسناده
صحيح ورجاله ثقات .

والمؤلف يشير إلى رواية عوف قال : قال رسول الله ﷺ : « افتقرت اليهود على إحدى
وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار . وافتقرت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة
فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة . والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث =

ولا غَرَضِي أيضاً¹ أن أَحْصَرَ أصناف المذاهب والآراء ، وأناقضَ ذَوِي
الْبِدْعِ الْمُضِلَّةِ² والأهواء ، لأنَّ هذا الفنَّ من الْعِلْمِ قد سَبَقَ إِلَيْهِ وَتَبَّهَ فِي
مَوَاضِع كثيرة عليه ؛ وإِنَّمَا غَرَضِي أن أُنبِّهَ على المَوَاضِع التي مِنْهَا نَشَأَ
الْخِلَافُ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ حَتَّى تَبَايَنُوا فِي الْمَذَاهِبِ وَالْآرَاءِ .

وَأَنَا أَسْتَرْشِدُ اللَّهَ تَعَالَى³ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَأَسْتَهْدِيهِ ، وَأَسْأَلُهُ الْعَوْنَ عَلَى
مَا أَحَاوَلُهُ وَأُنَوِيهِ ، وَأَرْغَبُ إِلَيْهِ أَنْ يَعْصِمَنِي مِنَ الزَّلَلِ فِيمَا أَقُولُهُ وَأَحْكِيهِ ،
إِنَّهُ وَلِيُّ الطُّوْلِ وَمُسَدِيهِ ؛ لَا رَبَّ سِوَاهُ ، وَلَا مَعْبُودَ حَاشَاهُ .



1 . (أَيْضاً) نَاقِصَةٌ مِنْ : ط .

2 . فِي ط : الْمُضِلَّةُ .

3 . (تَعَالَى) مِنْ « ن » .

= وسبعين فرقة ، واحدة في الجنة وثلثان وسبعون في النار . قيل : يا رسول الله من هم ؟
قال : الجماعة » .

انظر : سنن ابن ماجه ص : ١٣٢٢ . وسنن أبي داود ٤ : ٢٧٦ .

وراجع الحوادث والبدع لأبي بكر الطرطوشي : ٢٦ - ٢٨ . والاعتصام للشاطبي ٢ : ١٦٣ -

٢٠١ . وانظر أيضاً : الفرق بين الفرق : ٧ - ٩ .

ذكر الأسباب الموجبة للخلاف كم هي

أقول وبالله أعتصم¹ ، وإليه أفوض في جميع أمري وأسلم¹ : إن الخلاف عَرَضُ لأهل مِلَّتِنَا من ثمانية أوجه ، كل ضَرْبٍ من الخلاف متولد منها متفرع عنها² .

- الأول منها : اشتراك الألفاظ والمعاني .
- والثاني : الحقيقة والمجاز .
- والثالث³ : الأفراد والتركيب .
- والرابع : الخصوص والعُموم .
- والخامس : الرواية والنقل .
- والسادس : الاجتهاد فيما لا نص فيه .
- والسابع : الناسخ والمنسوخ .
- والثامن : الإباحة والتوسع⁴ .

ونحن نذكر من كل نوعٍ من هذه الأنواع أمثلةً تُنبّه قارئ كتابنا هذا على بقيّتها إذ كان استيفاء جميع ذلك من المتعذر على مَنْ حاوله ؛ وبالله التوفيق ؛ لا ربَّ غيره⁵ .

1 . في م ، ط : العصمة . — العبارة التالية ، لم ترد في م ، ط .

2 . في م : متولد منها ، متفرع عنها .

3 . في م ، ط : الثاني ، الثالث ... إلخ .

4 . في م ، ط : والتوسيع .

5 . العبارة في « ن » فقط .

البَابُ الْأَوَّلُ

في الخلاف العارض من جهة اشتراك الألفاظ
واحتمالها للتأويلات الكثيرة

هذا الباب ينقسم¹ ثلاثة أقسام :

أحدها : اشتراك في موضوع اللفظة المفردة² .

والثاني : اشتراك في أحوالها التي تعرض لها من إعرابٍ وغيره .

والثالث : اشتراك يوجبه تركيب الألفاظ وبناء بعضها على بعض .

فأما الاشتراك^(١) العارض في موضوع اللفظة المفردة

فأنواعان :

اشتراك يجمع معاني³ مختلفة متضادة ، واشتراك يجمع معاني³ مختلفة غير متضادة .

فالأول⁴ كالقرء^(٢) . ذهب الحجازيون من الفقهاء ، إلى أنه الطهر ، وذهب العراقيون إلى أنه الحيض^(٣) . ولكل واحد من القولين [٣ ب] شاهد من الحديث ومن اللغة .

1 . في ط : ينقسم إلى .

2 . في م ، ط : اللفظة الواحدة .

3 . في ط : يجمع معان .

4 . في م : الأول .

(١) قال السيوطي : حدّ (عَرَفَ) أهل الأصول المشترك بأنه : اللفظ الواحد الدالّ على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة . انظر : المزهري ١ : ٣٦٩ .

(٢) القرء فيه لغتان : الفتح ، وجمعه قروء وأقرؤ ؛ مثل : فلس وفلوس وأفلس . والضم ، ويجمع على أقراء ؛ مثل : قفل وأقفال .

(٣) قال ابن الأثير (النهاية ٤ : ٤٢) في القرء : « وهو من الأضداد ، يقع على الطهر ، وإليه =

أما حُجَّة الحجازيين من الحديث¹ فما رُوي عن عُمَر وعُثْمَان وعائشة وزيد بن ثابت رضي الله عنهم أنَّهم قالوا : الأقرأء : الأطهار^(٤) .
وأما حُجَّتُهم من اللُّغة فقولُ الأعشى^(٥) :

وفي² كُلِّ عامٍ أنتَ جاشِمٌ غَزْوَةً تَشُدُّ لأقصاها عَزِيمَ عَزَائِكَا
مُورِّثَةً مَالاً وفي الحَيِّ رِفْعَةً لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا

1 . (من الحديث) لم ترد في « ن » .

2 . في ط : أفي .

= ذهب الشافعي وأهل الحجاز ؛ وعلى الخيض ، وإليه ذهب أبو حنيفة وأهل العراق .
وانظر : اللسان ١ : ١١٥ - ١١٦ . والأضداد لابن الأنباري : ٢٧ - ٢٢ .

(٤) هكذا وردت العبارة في النسخ . ونقل القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢ : ١١٣ . اختلاف الأئمة والعلماء في الأقرأء ، فقال : « واختلف العلماء في الأقرأء ؛ فقال أهل الكوفة : هي الخيض . وهو قول عمر ، وعلي ، وابن مسعود ، وأبي موسى ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، والسدي . وقال أهل الحجاز : هي الأطهار . وهو قول عائشة ، وابن عمر ، وأبان بن عثمان ، والشافعي » . وفصل في الموضوع .

(٥) البيتان في ديوانه : ٩١ ، ويترددان في المصادر . انظر : تفسير الطبري (بتحقيق أحمد شاکر) ٤ : ٥١٢ . وعجاز القرآن ١ : ٧٢ . واستشهد بها أيضاً القرطبي في تفسيره ٢ : ١١٣ . وهما في اللسان ١ : ١٢٦ كما أوردهما المؤلف . وفي الأضداد لابن الأنباري : ٢٠ ، والصحاح (قرأ) : « مورثة مالا وفي الأصل رفعة » ، وفي الديوان : « وفي الحمد رفعة » .

وهما من قصيدة يمدح بها هُوَذَة بن علي الحنفي ، (وكان مملكا على قومه في الهامة) ، يقول الشاعر للممدوح : « إن لك في كل عام غزوة تتجشها ، تجمع لها صبرك وجلدك ، فتعود منها بالمال والمجد الذي يعوضك عما عانيت من البعد عن نسائك » . - راجع ص ٩٠ من شرح الديوان - . وقال الثعالبي : « وما جاء في حسن الكناية عن النكاح في شعر الجاهلية قول الأعشى (البيتان ..) . قال : والقروء هنا : الأطهار ، لأن الممدوح لما كان كثير الغزول يغش النساء للغبية عنهن في مغازيه ، أضع أطهارهن » ؛ الكنايات للثعالبي : ١٠ .

وأما حُجَّةُ الْعِرَاقِيِّينَ مِنَ الْحَدِيثِ فَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ لِلْمُسْتَحَاضَةِ :
« أَقْعُدِي عَنِ الصَّلَاةِ أَيَّامَ أَقْرَائِكَ » ^(٦) .

وأما حُجَّتُهُمْ مِنَ اللُّغَةِ فَقَوْلُ الرَّاجِزِ ^(٧) :

يَا رَبِّ ذِي ضِغْنٍ عَلَيَّ فَارْضِ لَهْ قُرُوءٌ كَقُرُوءِ الْحَائِضِ^٢
وقد حكى يعقوبُ بنُ السَّكِّيتِ وَغَيْرُهُ مِنَ اللُّغَوِيِّينَ أَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ :

١ . في م : فقوله .

٢ . في ط : يُرَى لَهُ قُرُوءٌ .

(٦) قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : الأقرء : الأطهار . وقال بمثل معنى قولها زيد بن ثابت وابن عمر وغيرهما . وقال نفر من أصحاب النبي ﷺ : الأقرء الحيض . قال ابن القيم في زاد المعاد : وهذا قول أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي موسى وعبادة بن الصامت وأبي الدرداء وابن عباس ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم .

وفي الحديث روايات كثيرة في أمر النبي ﷺ لِلْمُسْتَحَاضَةِ أَنْ تَدَعَ الصَّلَاةَ أَيَّامَ أَقْرَائِهَا ، عَنْ عَائِشَةَ وَأُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ جَحْشٍ (راجع سنن أبي داود ١ : ١١٤ - ١١٧ . وانظر - في تحقيق كلام المؤلف - الرسالة للإمام الشافعي ص ٥٦٢ . تحقيق أحمد شاكر « الطبعة الأولى ١٣٥٨ - ١٩٤٠ مصر - مطبعة البابي الحلبي ») .

(٧) في اللسان (قَرَأَ) : « أنشد ابن الأعرابي :

يَا رَبِّ مَوْلَى حَاسِدٍ مَبَاغِضٍ عَلَيَّ ذِي ضِغْنٍ وَضَبْ ف_____ارْضِ
لَهْ قُرُوءٌ كَقُرُوءِ الْحَائِضِ

عَنِي بَضْبٌ فَارْضِ : عداوةٌ عظيمةٌ كبيرة (من الفارض وهي المُسِنَّة من البقر) . وقوله : له قُرُوءٌ . يقول : لعداوتي أوقاتٌ تهيج فيها مثل وقت الحائض « . والرَّجَزُ في الحيوان ٦ : ٦٦ . وفي مجالس ثعلب ١ : ٣٠١ وفيه : « شَانِعٌ مَبَاغِضٌ » و « له قُرُوءٌ كَقُرُوءِ » بالتَّسْهِيل . وفي الأضداد لابن الأنباري : ٢٨ :

وصاحبُ مُكَاشَاحٍ مَبَاغِضٍ لَهْ قُرُوءٌ كَقُرُوءِ الْحَائِضِ
وانظر مقالة ابن فارس في الصحاحي : ٣١ (باب القول في الاحتجاج باللغة العربية) . وقدم لتفسير القرء بالحيز بقوله : « لغة العرب يَحْتَجُّ بِهَا فِيمَا اخْتَلَفَ فِيهِ » .

أَقْرَأَتِ الْمَرْأَةَ ، إِذَا طَهَّرَتْ . وَأَقْرَأَتْ ، إِذَا حَاضَتْ . وَذَلِكَ أَنَّ الْقُرْءَ فِي
كَلَامِ الْعَرَبِ مَعْنَاهُ الْوَقْتُ ، فَلِذَلِكَ صَلَّحَ لِلطُّهْرِ وَالْحَيْضِ مَعاً^(٨) .
وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

سَنَيْتَ الْعَقْرَ عَقْرَ بَنِي شُلَيْلٍ^١ إِذَا هَبَّتْ لِقَارِئِهَا الرِّيحُ^(٩)
وقد احتج بعض الحجازيين لقولهم بقوله تبارك وتعالى^٢ : ﴿ثَلَاثَةَ
قُرُوءٍ﴾^(١٠) فأثبت الهاء في (ثلاثة) ؛ فدل ذلك على أنه أراد الأطهار ،
ولو أراد الحيض لقال : (ثلاث قُرُوء) لأن الحيضة مؤنثة .

١. في م ، ن : سليل ، بالسین المهملة .

٢. في « ن » بقوله تعالى .

(٨) انظر : الأضداد لابن الأنباري : ٢٧ - ونقل أيضاً عن الأضداد للأصمعي ، والأضداد لقطرب -
وقال ابن الدهان (الأضداد : ١٠٤) القرء : الحيض والطهر . وفي النهاية لابن الأثير ٤ :
٣٢ : « الأصل في القرء الوقت المعلوم ، فلذلك وقع على الضدين ، لأن لكل منهما وقتاً » .
وانظر مادة (قرأ) في المعاجم .

(٩) البيت لمالك بن الحارث الهذلي . وفي ديوان الهذليين ٣ : ٨٢ : (كرهت العقر ..) ونبه على
رواية (سنئت) . والعقر : مكان ، وكرهه لأنه قوتل فيه . وشليل جد جرير بن عبد الله
الجلبي . وقارياً : وقتها . يقال ذلك للريح إذا هبت لوقتها . واسم الشليل : (جابر بن
مالك) كما نقل ابن دريد في الاشتقاق : ٥١٦ . قال : واشتقاق الشليل إما من تصغير أشل ،
وهي من اليد الشلاء ، أو تصغير شلل .

ويُستشهد بالبيت في تفسير (القرء) وفي مادة (قرأ) في المعاجم الموسعة . (راجع مثلاً تفسير
الطبري ٤ : ٤٩٩ ، وتفسير القرطبي ٣ : ١١٣) .

(١٠) سورة البقرة ٢ : من الآية ٢٢٨ : ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ
أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبَعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ
فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ﴾ .

وهذا لا حجة فيه عند أهل النظر ، وإنَّما^١ الحجة ما
قدَّمناه . وإنَّما لم تكن فيه حجة لأنه لا يُنكَرُ أن يكونَ القرءَ لفظاً
مُذَكَّراً يُعنى به المؤنث . ويكونُ تذكير (ثلاثة) حملاً على اللفظ ، دونَ
المعنى ، كما تقول العربُ : (جاءني ثلاثة أشخاص^٢) وهم يَعْنُونَ نساء^(١١) .

والعربُ تحملُ الكلامَ تارةً على اللفظ ، وتارةً على المعنى . ألا ترى
إلى قراءة القرءاء : ﴿ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ ﴾^(١٢) .
بكسر الكاف والتاء وفتحها^٤ .

ووقوعُ الأسماء على المسميات في كلام العرب ينقسمُ أربعة
أقسام :

أحدها : أن يكونَ المسمى مذكراً ، واسمُه مذكر ، كرجلٍ يسمَّى
بزيدٍ أو عمرو .

والآخر : أن يكونَ المسمى مؤنثاً واسمُه مؤنثٌ ، كمرأةٍ تُسمَّى
فاطمة .

١ . في « ن » إنما .

٢ . في م : أشخاص .

٣ . في ط : تحول .

٤ . في « ن » : بكسر الكاف وفتحها .

(١١) راجع في الخصائص لابن جني الجزء ٢ : ٤١١ - ٤٢٥ فصلاً في (الحمل على المعنى) . وانظر فيه
٢ : ١١٧ على الخصوص . ومادة (شخص) في اللسان .

(١٢) سورة الزمر ٣٩ : من الآية ٥٩ : ﴿ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ
الْكَافِرِينَ ﴾ . وتقل القرطبي في تفسيره الآية الكريمة : « وروى الربيع بن أنس عن أم سلمة
عن النبي ﷺ قرأ : ﴿ بلى قد جاءتك ... فكذبت ... واستكبرت ... وكنت ... ﴾ في
كل » . وراجع ما نقله في الجامع ١٥ : ٢٧٣ .

والثالث : أن يكون المسمى مؤنثاً واسمه مذكر كامرأة تسمى جعفر¹
وزيد ، قال الشاعر² :

يا جعفر يا جعفر يا جعفر إن أكَ دَحْداحاً فَأَنْتِ أَقْصَرُ^(١٣)
أو أكَ ذا شَيْبٍ فَأَنْتِ أَكْبَرُ غَرَّكَ سِرْبَالٌ عَلَيْكَ أَحْمَرُ [أ ء]
وَمَقْنَعٌ مِنَ الْحَرِيرِ أَصْفَرُ وَتَحْتَ ذَاكَ سَوَاءٌ لَوْ تُذَكَّرُ !^(١٤)

والرابع : أن يكون المسمى مذكراً ، واسمه مؤنث ، كرجل يسمى
طلحة ، وَحَمْرَةٌ³ .

وهذا لا يخص⁴ الأسماء الأعلام دون الأجناس والأنواع .

وهكذا مذهب العرب في الصفة والموصوف . فربما كان الموصوف
مطابقاً لصفته في التذكير والتأنيث ، كقولهم : هذا رجل قائم ، و : هذه
امرأة قائمة .

وربما كان مخالفاً لصفته في التذكير والتأنيث ، كقولهم : رَجُلٌ
رَبِيعَةٌ^(١٥) ، وَعَلَامَةٌ ، وَنَسَابَةٌ .

وفي المؤنث : امرأة حاسِرٌ ، وعاشِقٌ .

1 . في م ، ط : بجعفر .

2 . في م ، ط : الراجز .

3 . في م ، ط : أو حمزة .

4 . في ط وحدها : وهذا يخص .

(١٣) الرجز في الكامل (١ : ٩٤) وفيه : (إن أكَ ربِيعَةً فَأَنْتِ أَقْصَرُ) . ونسبه إلى أعرابي كان
يختلف إلى مغنية لآل سليمان ، فأثرفت عليه ذات مرة فأومأت إليه بيدها إيماءً عائب له
بالقَصْرِ فأنشأ يقول والدحداح : القصير .

(١٤) المقنع والمقنعة : ما تقنع به المرأة رأسها .

(١٥) الربعة : الوسيط القامة .

قال¹ ذو الرمة :

وَلَوْ أَنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيمَ تَعَرَّضْتُ لِعَيْنَيْهِ مَيَّ حَاسِرًا كَادَ يَبْرُقُ^(١٦)
فقد تَبَيَّنَ أَنَّهُ² لَا حُجَّةَ فِي دُخُولِ الْمَاءِ فِي ثَلَاثَةٍ .

ومن الألفاظِ المُشتركة الواقعة على الشيء وضده قوله تعالى :
﴿ فَأَصْبَحْتُ كَالضَّرِيمِ ^(١٧) ﴾ .

قال بعضُ المفسرين معناه : كالنَّهارِ المُضيء ، يَبْيضُّ لا شيء فيها .

وقال آخرون : كاللَّيْلِ المَظْلَمِ سَوْدَاء ، لا شيء فيها .

وكلا القولين موجودٌ في اللغة^(١٨) . أمَّا مَنْ قال : كالنَّهارِ المُضيء
فحجَّته قول زهير :

1 . في م ، ط : وقال .

2 . في ط : أن .

(١٦) ديوان ذي الرمة : ٤٨٠ وفيه (سافراً) يقال : يَرِقُ يَبْرُقُ إذا تَحَيَّرَ . وحاسراً ، أو سافراً :
استغناء عن الصفة بالاسم .

(١٧) سورة القلم ٦٨ : الآية ٢٠ . وقبلها الآية ١٩ : ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ
نَائِمُونَ ﴾ .

(١٨) قال في اللسان : الضَّريم : الصبح لا تقطاعه عن الليل ، والضريم : الليل لا تقطاعه عن
الصبح ... ويقال للَّيْلِ والنَّهارِ : الأَضْرِمَانِ ، لأنَّ كُلَّ واحدٍ منهما ينصرم من الآخر . مادة
(صرم) ١٥ : ٢٢٧ - ٢٢٢ . وفي تفسير القرطبي : ﴿ فَأَصْبَحْتُ كَالضَّرِيمِ ﴾ أي كاللَّيْلِ المَظْلَمِ ؛
عن ابن عباس والفراء وغيرهما .. وقال الأخفش : أي كالصبح انصرم من الليل ؛ وقال
المبرد : كالنَّهارِ . (تفسير القرطبي ١٨ : ٢٤٢) .

وقال المبرد في الكامل : قال المفسرون في قول الله عز وجل : ﴿ فَأَصْبَحْتُ كَالضَّرِيمِ ﴾ قَوْلَيْنِ :
قال قوم : كاللَّيْلِ المَظْلَمِ ، وقال قوم : كالنَّهارِ المُضيء أي يبيض لا شيء فيها ؛ فهو من
الأضداد . الكامل ١ : ٢٢٣ . وأرجع إلى : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة : ١٤٣ .

بَكَرْتُ عَلَيْهِ غُدْوَةً فَرَأَيْتُهُ قَعُوداً لَدَيْهِ بِالصَّرِيمِ عَوَاذِلُهُ^(١٩)
يَعْنِي الصَّبَاحَ .

وَأَمَّا مَنْ قَالَ : كَاللَّيْلِ ، فَحُجَّتُهُ قَوْلُ الرَّاجِزِ :

☆ تَهْوِي هَوِيَّ أَنْجُمِ الصَّرِيمِ^(٢٠) ☆

وَقَالَ آخَرُ^١ :

كَأَنَّا وَالرَّحَالَ عَلَى صَوَارٍ بِرَمْلٍ خَزَاقٍ^٢ أَسْلَمَهُ الصَّرِيمُ^(٢١)

وَقَالَ^٣ بَعْضُهُمْ مَعْنَاهُ : انْخَسَرَ عَنْهُ الرَّمْلُ . وَقَالَ قَوْمٌ مَعْنَاهُ : خَرَجَ
مِنَ اللَّيْلِ وَأُنْجِلَى عَنْهُ ؛ كَمَا قَالَ النَّابِغَةُ^(٢٢) :

حَتَّى غَدَا فِي بَيَاضِ الصُّبْحِ مُنْصَلِتًا يَقْرَوُ الْأَمَاعِزَ مِنْ لُبْنَانَ وَالْأَكْمَا

١ . فِي م ، ط : الْآخَرُ .

٢ . فِي م ، ن : خَزَاقٍ (بِالْحَاءِ) .

٣ . فِي م ، ط : قَالَ .

(١٩) دِيوَانُ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سَلَمَى : ٣١ . وَالصَّرِيمُ : جَمْعُ صَرِيمَةٍ : وَهِيَ رَمْلَةٌ تَنْقَطِعُ مِنْ مَعْظَمِ
الرَّمْلِ . وَالْعَوَاذِلُ : اللَّائِي يَعْذِلُنَّ عَلَى إِنْتِقَاقِ مَالِهِ . وَقِيلَ الصَّرِيمُ هَهُنَا : الصَّبْحُ وَهُوَ أَشْبَهُ
بِالْمَعْنَى لِأَنَّهُ يَسْكُرُ بِالْعَشِيِّ فَيَاذَا أَصْبَحَ وَقَدْ صَحَا مِنْ سَكْرِهِ لُمْنُهُ . وَفِي شَرْحِ ثَعْلَبٍ عَلَى
الدِّيَوَانِ يَنْسَبُ الْقَوْلُ الثَّانِي لِأَبِي عُبَيْدَةَ : ١٤١ .

(٢٠) لَمْ أَقِفْ عَلَى قَائِلِهِ .

(٢١) الْبَيْتُ مِنْ حِمَاسَةِ لَبْرِجِ بْنِ مَسْهَرِ الطَّائِي : شَبَّهَ رُكَّابَهُمْ بِقَطِيعٍ مِنَ الْبَقَرِ بِالرَّمْلِ الْمَذْكُورِ ،
أَسْلَمَهُ الصَّرِيمُ إِلَى الصَّيَادِينَ وَالْكِلَابِ فَخَفَّتْ وَغَدَتْ . وَالصَّرِيمُ اسْتَعْمَلَ فِي الصَّبْحِ وَاللَّيْلِ جَمِيعاً
لَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا يَنْصَرِمُ عَنْ صَاحِبِهِ وَقْتَ السَّحَرِ ، وَإِنَّمَا رَكِبُوا بَعْدَ الْإِصْطِبَاحِ لِلتَّنَزُّهِ ، أَوْ
فِي بَطَالَةِ حَضَرَتِهِمْ . حِمَاسَةُ أَبِي تَمَامٍ بِشَرْحِ الْمَرْزُوقِيِّ ٣ : ١٢٧٦ .

وَانْظُرْ شَرْحَ التَّبْرِيزِيِّ : ٣ : ١٣٦ وَفِيهِ صَوَارٌ بِكَسْرِ الصَّادِ ، وَخَزَاقٌ بِالْحَاءِ مَضْمُومَةٌ وَمَكْسُورَةٌ .
وَخَزَاقٌ : مَوْضِعٌ فِي سَوَادِ أَصْفَهَانَ (مَعْجَمٌ مَا اسْتَعْجَمَ ٢ : ٤٩٧) .

(٢٢) دِيوَانُ النَّابِغَةِ (بِشَرْحِ الْأَعْلَمِ الشَّنْتَرِيِّ) الْوَرَقَةُ ١٠٩ ، وَالِدِيوَانُ (بِشَرْحِ عَاصِمِ بْنِ أَيُّوبَ
الْبَطْلِيِّوسِيِّ : ٦٩) وَالِدِيوَانُ صَنْعَةُ ابْنِ السَّكَيْتِ : ١١١ ، وَالتَّوْضِيحُ وَالْبَيَانُ : ٥٤ ، وَفِيهَا =

وإنما سَمِيَ كُلُّ واحدٍ منهما صَريماً لأنه يَنْصَرِمُ إذا وَافَى الآخر .
 والمعنى أيضاً يَشْهَدُ لكلِّ واحدٍ من القولين ، لأنَّ العربَ تَقُولُ : لَكَ
 بياضُ الأرضِ وسوادُها . يَعْتُونُ بالبياضِ ما لا عَمارةَ فيه ، وبالسَّوادِ
 ما فيه العَمارة . فهذا^١ ما يُحْتَجُّ به لمن ذَهَبَ إلى مَعْنَى البياض .
 وَمَنْ ذَهَبَ إلى مَعْنَى السَّوادِ فإنَّما أَرادَ أنها احتَرَقَتْ بِرِيحٍ صَرٍّ^٢ ، أو
 نارٍ ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ﴾^(٢٣) .
 ومن هذا النُّوع قولُ أبي بكرٍ رضيَ الله عنه : « طُوبَى لِمَنْ مَاتَ فِي
 النَّانَةِ »^(٢٤) . فإنه يَحْتَمِلُ أن^٣ يُرِيدَ أوَّلَ الإسلامِ عندَ قُوَّةِ البَصائرِ [٤ ب] '
 ☆ قبل وَقوعِ الخِلافِ ؛ ويَحْتَمِلُ أَنَّهُ يُرِيدُ به آخرَ الإسلامِ إذا ضَعُفَتِ
 البصائرُ ☆^٤ ، وَكَثُرَتِ البِدَعُ والخِلافُ .

١ . في م ، ط : وهذا لا يَحْتَجُّ به .

٢ . كلمة (معنى) لم ترد في م ، ط . — كلمة (صر) لم ترد في « ن » .

٣ . في م ، ط : أَنَّهُ .

٤ . ما بين نجمتين مقطوع من « ن » .

= جميعاً : (حق غدا مثل نصل السيف منصلاً) . وفي ابن السكيت : نَبَّانٌ في موضع لبنان .
 قال أبو بكر البطلوسي في الشطر الأول : ويروى : (ثم اغتدى ينفذ الأعطاف) . والأمعز
 والمعزاء : الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة ، ج الأماعز والمعز . ويقرو : يتبع . (ومثل
 نصل السيف) : أي يبرق كما يبرق السيف . والنَّصَلُ : الحاد الماضي .
 (٢٣) البقرة ٢ : ٢٦٦ وتام الآية : ﴿ أَيَوَّدُ أَحَدُكُمْ أَنَّ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ غَيْلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ
 كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ .
 (٢٤) النَّانَةُ : العجز والضعف ، وروى عكرمة عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال :
 « طُوبَى لِمَنْ مَاتَ فِي النَّانَةِ » . يعني أوَّلَ الإسلامِ قبل أن يَقْضَى وَيَكْثُرَ أَهْلُهُ وَنَاصِرُهُ
 والداخلون فيه ، فهو عند الناس ضعيف .
 النهاية في غريب الحديث ٥ : ٣ ، و (اللسان : نأناً ١ : ١٥٦) .

ويدلُّ على صحَّة المعنيين جميعاً قوله ﷺ : « إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيباً
وَسَيَعُودُ غَرِيباً كَمَا بَدَأَ^١ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ »^(٢٥) .

والنَّانَاءُ عند العرب الضَّعْفُ ، لا يخصَّ الصَّغَرُ دون الكبر^٢ .

قال امرؤ القيس^(٣٦) في ذلك :

لَعَمْرُكَ مَا سَعَدَ بِخَلَّةٍ أَثْمٍ وَلَا نَأْنَأُ يَوْمَ الْحِفَاطِ وَلَا حَصِرُ

وتأوله أبو عبيد على أنه أراد به أوَّل الإسلام . وليسَ في لفظِ
الحديثِ ما يقتضي ذلك . على أن بعضَ الرواة قد رَوَى : « في النَّانَاءُ
الأولى » . فإن كانَ هذا محفوظاً فالقول ما قال أبو عبيد^٣ .

ومن هذا النوع قوله ﷺ : « قُصِّوا الشَّوَارِبَ^٤ وَأَعْفُوا اللَّحَى »^(٣٧)

١ . في م ، ط : غريباً فطوبى .

٢ . في ط : الصغير دون الكبير .

٣ . في م ، ط : فإن صح هذا القول .

٤ . في ط : الشارب .

(٢٥) أخرجه مسلم والترمذي والدارمي وابن ماجه . وفي مسلم : غريباً كما بدأ . انظر : صحيح

مسلم : ١٣٠ . ابن ماجه : ١٣٢٠ . الدارمي : ٢ : ٣١٢ . وهو في المجازات النبوية (ط الزيني -

مؤسسة الحلبي) : ٣٢ . وفي النهاية ٣ : ١٤٤ وفيه زيادة (كما بدأ) .

(٢٦) ديوان امرئ القيس : ١١٢ . والخلة : الصداقة والمودة ، والحفاظ : الغضب والأنفة عن الانهزام

في الحرب ، والنَّانَاءُ : الضعيف ، والحصر : الضيق الصدر عند تجشم شدائد الأمور .

(٢٧) ورد الحديث في الصحاح من طرق عدة ، وفي البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما

قال : قال رسول الله ﷺ : « خالفوا المشركين وفروا اللحى وأحفوا الشوارب » ، وفي بعض

الروايات : « أنهكوا الشوارب » ، و : « جزوا .. » . البخاري ٧ : ٥٦ ، مسلم : ٢٢٢ ،

النسائي ١ : ١٦ ، وانظر فيه أقوال العلماء في هذه المسألة وما ذكره السيوطي . =

قال قوم معناه : وَفَرُوا وَكَثَرُوا . وقال آخرون : قَصَّروا وَأَنْقَصُوا . وكلا القولين له شاهد من اللغة .

أَمَّا مَنْ ذَهَبَ إِلَى التَّكْثِيرِ فَحُجَّتْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ حَتَّىٰ عَفَّوْا ﴾^(٢٨)
وقول جرير^(٢٩) :

وَلَكِنَّا نَعِضُ السَّيْفَ مِنْهَا بِأَسْوَقِ عَافِيَاتِ اللَّحْمِ كُومٍ

وَأَمَّا مَنْ ذَهَبَ إِلَى الْحَذْفِ وَالتَّقْصِيرِ فَحُجَّتْهُ قَوْلُ زُهَيْرِ^(٣٠) :

تَحْمِلُ أَهْلَهَا مِنْهَا فَبَانُوا عَلَى آثَارٍ مَنْ ذَهَبَ الْعَفَاءُ !

فهذه جُمْلَةٌ مِنَ اللَّفْظِ الْمَشْتَرَكِ الْوَاقِعِ عَلَى مَعَانٍ مُخْتَلِفَةٍ مُتَضَادَّةٍ .

= وهو في مختصر صحيح مسلم ١ : ٥٧ ورواه عن ابن عمر رضي الله عنه أيضاً بنص : « خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ : أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا اللَّحَى » .

(٢٨) من الآية الكريمة (٩٤) سورة الأعراف ٧ . والآيتان ٩٣ ، ٩٤ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ . ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَّوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ .

قال القرطبي : (حَتَّىٰ عَفَّوْا) أي كثروا ؛ عن ابن عباس . وقال ابن زيد : كثرت أموالهم وأولادهم . و (عفا) من الأضداد . عفا : كثر ، وعفا : درس . أعلم الله تعالى أنه أخذهم بالشدّة والرخاء فلم يزدجروا ولم يشكروا . (تفسير القرطبي ٧ : ٢٥٢) .

(٢٩) كذا في الأصول ، وكرر نسبته إلى جرير في الورقة (٢٤ أ) . والبيت للشاعر لبّيد من قصيدة مطلعها :

رَأَتْنِي قَدْ شَحِبْتُ وَسَلَّ جِسْمِي طِيْلَابُ النَّازِحَاتِ مِنَ الْهَمِّ مَوْمٍ

(الديوان بتحقيق الدكتور إحسان عباس ، طبعة الكويت : ١٠٤) .

وأعضّ السيف : ضربة به ، وأسوق : جمع ساق ، وعفا لحمه : كثر ، وكوم : عظام الأسنة ، البعير : أكوام ، والناقة : كوما . يقول : إنهم يعرقبون النوق للضيوف .

(٣٠) ديوان زهير : ٥٨ . يريد : على آثار مَنْ ذَهَبَ الدرس ، أي من ذهب لم آسن عليه !

وأما اللفظ المشترك¹ الواقع على معاني مختلفة غير متضادة فنحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا ﴾^(٣١) إلى آخر الآية . ذهب قوم إلى أن (أَوْ)² ههنا للتخيير كالتي من قولك : جالس زيداً أو عمراً . فقالوا : السلطان مُخَيَّرٌ في هذه العقوبات ؛ يفعلُ بقاطع السبيل أيها شاء . وهو قول الحسن البصري ، وعطاء . وبه قال مالك رحمه الله .

وذهب آخرون إلى أن (أَوْ)³ ههنا للتفصيل والتبويض⁴ ؛ فمن حارب وقتل وأخذ المال صلب ؛ ومن قتل ولم يأخذ المال قتل ؛ ومن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله من خلاف⁵ . وهو قول أبي مجلز وحجاج بن أرطاة عن ابن عباس . وبه قال الشافعي وأبو حنيفة⁶ ، رحمهما الله تعالى . واحتجوا بحديث رواه عثمان ، وعائشة عن النبي ﷺ أنه قال⁶ : « لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِأَحَدٍ ثَلَاثَ : زِنَا بَعْدَ إِحْصَانٍ ،

1 . (اللفظ المشترك) لم ترد في « ن » .

2 . في ط : إلى أن كلمة أو . — في م ، ط : كالتي في قولك .

3 . في ط : كلمة أو . — في ط : والتبيين .

4 . (ورجله من خلاف) لم ترد في م ، ط . وانظر في تفصيل هذه الآراء : تفسير القرطبي ٦ : ١٥٢ .

5 . في ط : أبو حنيفة والشافعي .

6 . (أنه قال) لم ترد في « ن » .

(٣١) سورة المائدة ٥ : ٢٣ والآية : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ ، أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .
وانظر ما نقله القرطبي من أقوال في تفسيره : الجامع لأحكام القرآن ٦ : ١٤٧ - ١٥٨ ،
والزحشري في الكشف ١ : ٦٢٧ - ٦٢٨ .

أَوْ كُفِّرَ بَعْدَ إِيمَانٍ ، أَوْ قُتِلَ نَفْسٍ بغيرِ حَقٍّ^١ » (٣٢) .

واحتجُّوا من اللغة بأنَّ العَرَبَ تستعملُ (أَوْ)^٢ للإفراد والتفصيل ؛ فيقولون : اجتمع القومُ فقالوا : حاربُوا أو صالحُوا ؛ أي قال بعضهم كذا ، وقال بعضهم كذا^٣ . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ﴾^(٣٣) [أ هـ] . وليس بينَ الفرقِ فرقةٌ تُخَيِّرُ بين اليهودية والنصرانية . وإنما المعنى أن بعضهم - وهم اليهود - قالوا : كونوا هوداً ، وبعضهم - وهم النصارى - قالوا : كونوا نصارى . فهذا تفصيلٌ لا شكَّ فيه^(٣٤) .

والعربُ تَلَفُّ الكَلَامَيْنِ المُخْتَلَفَيْنِ وترمي بتفسيرهما جُمْلَةً^(٣٥) ثِقَةً بأنَّ السَّامِعَ يَرُدُّ إلى كُلِّ مُخْبِرٍ عَنْهُ مَا يَلِيقُ بِهِ .

١ . في م ، ط : بغير نفس .

٢ . في ط : كلمة أو .

٣ . لم ترد العبارة في ط .

٤ . في م ، ط : في الفرق .

(٣٢) أخرج الدارمي من حديث عثمان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : بكفر بعد إيمان ، أو بزنا بعد إحسان ، أو يقتل نفساً بغير نفس فيقتل » . وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود : « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » ؛ وأخرجه الدارمي كذلك من حديث ابن مسعود بلفظ مقارب (سنن الدارمي ٢ : ١٧١ ، صحيح مسلم : ٢ - ١٣) .

(٣٣) سورة البقرة ٢ : ١٣٥ . والآية : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ، قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ . أي دعت كلُّ فرقةٍ إلى ما هي عليه .

(٣٤) أورد ابن هشام الآية الكريمة تحت عنوان (التَّقسيم) ؛ وقال : إن بعضهم عبّر عن ذلك بالتفصيل (المغني ١ : ٦٨) .

(٣٥) قال شهاب الدين محمود الحلبي : اللفظ والنشر هو أن يذكر (المتكلم) شيئين فصاعداً ، ثم يأتي =

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾^(٣٦) .

ونحوه^١ قول امرئ القيس^(٣٧) :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي
ولو جاء هذا الكلام مفصلاً لقال : كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا :
العُنَاب ، وَيَابِسًا : الْحَشَفُ الْبَالِي .

وكذلك الآية لو جاءت مُفَصَّلَةً لقال : جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا
فِيهِ ، وَالنَّهَارَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ .

واختلفوا في النفي^(٣٨) من الأرض ما هو ؛ فقال الحجازيون : يُنْفَى
من موضعٍ إلى موضع . وقال العراقيون : يُسْجَنُ وَيُحْبَسُ .

١ . في « ن » : نحو .

= بتفسير ذلك جملة مع رعاية الترتيب ثقة بأن السامع يردُّ إلى كلِّ واحدٍ منهما ما له ، كقوله
تعالى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ .. ﴾ الآية . انظر حسن التوسُّل إلى صناعة الترسُّل : ٩٠ . وذكره ابن
أبي الإصبع تحت باب (صحة المقابلات) . انظر : تحرير التحبير : ١٧٩ . والموامش التي
أحال المحقق عليها فيه .

(٣٦) سورة القصص ٢٨ : ٧٣ : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ
فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

(٣٧) قال الأعم الشنترى في شرح الأشعار الستة ، عند هذا البيت : (كَأَنَّ الرُّطْبَ مِنْ قُلُوبِ الطَّيْرِ
وَمَا جَاءَتْ بِهِ الْعُقَابُ حَدِيثًا الْعُنَابُ ، وَكَأَنَّ مَا يَبَسَ مِنْهَا وَقَدِمَ الْحَشَفُ ، وَهُوَ الْبَالِي مِنْ
التمر ورديته . وتقدير البيت : كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبَةٌ الْعُنَابُ ، وَكَأَنَّهَا يَابِسَةٌ الْحَشَفُ الْبَالِي .
وإنَّا خصَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ لِأَنَّهَا أَطْيَبُ لِحُومًا) . ديوان امرئ القيس بشرح الأعم الشنترى :
٣٨ .

والعناب : ثمر لشجر يعرف بالاسم نفسه ، وهو أحمر حلو لذيد الطعم .

(٣٨) نقل القرطبي في قوله تعالى : ﴿ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ وجوهاً . قال السدي : هو أن يُطْلَبَ =

والعربُ تَسْتَعْمِلُ النَّفْيَ بِمَعْنَى السَّجْنِ .

قال بعضُ المسجونين^(٣٩)

خَرَجْنَا مِنَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ مِنْ أَهْلِهَا فَلَسْنَا مِنَ الْأَمْوَاتِ فِيهَا وَلَا الْأَحْيَا
إِذَا جَاءَنَا السَّجَانُ يَوْمًا لِحَاجَةٍ عَجَبْنَا وَقُلْنَا جَاءَ هَذَا مِنَ الدُّنْيَا !
وَمِنْ هَذَا النَّوعِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَشْرَعَكُنَّ لِحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا »^(٤٠) .
قاله لنسائه ؛ فَحَسِبْنَهُ مِنَ الطُّوْلِ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْقِصْرِ ؛ فَظَنَّتْ
(عَائِشَةُ)^١ أَنَّهَا الْمُرَادَةُ . فَلَمَّا مَاتَتْ (زَيْنَبُ) قَبْلَهَا عَلِمْنَ حِينَئِذٍ أَنَّهُ إِنَّمَا

٦ . فِي ط : سُودَةٌ .

= أبدأ بالخيل والرجل حتى يؤخذ فيقيم عليه (حدُّ الله) أو يخرج من دار الإسلام هرباً ممن يطلبه . وحكي عن الشافعي أنهم يخرجون من بلدٍ إلى بلدٍ ويطلبون ليقام عليهم الحدود . وقال مالك : يُنفى من البلد الذي أحدث فيه هذا إلى غيره ، ويُحبس فيه كالزاني . وقال مالك أيضاً والكوفيون : تفيهم سجنهم ، فيُنفى من سعة الدنيا إلى ضيقها ، فصار كأنه إذا سُجن فقد نفى من الأرض إلا من موضع استقراره . (الجامع لأحكام القرآن ٦ : ١٥٢ - ١٥٣) .

(٣٩) نقل القرطبي بعد الفقرة السابقة في الهامش ٣ صفحة ٢٧ ، وقال : إنهم احتجوا على أن من معاني النفي : (السجن) يقول بعض أهل السجون ، البيتين ...
والبيتان من مقطوعة وردت في إنباه الرواة ١ : ٦٢ ، ومعجم الأدباء ٢ : ١٥٥ ، وأما المرتضى ١ : ١٤٥ منسوبة إلى صالح بن عبد القدوس . وفي المحاسن والأضداد : ٤٥ - ٤٦ منسوبة إلى عبد الله بن معاوية . وفي عيون الأخبار ١ : ٨١ - ٨٢ من غير عزو .
وورد منها البيت الأول والثاني في رسالة الغفران ١٤٢ منسوبين لولد صالح ، وفي مقدمة اللزوميات منسوبين لرجل كان في السجن على عهد ملوك بني العباس ، يقال إنه من ولد صالح بن عبد القدوس ، ومطلعها :

إلى الله أشكو إنه موضع الشكوى وفي يده كشف المضرة والبسوى
خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلسنا من الأحياء فيها ولا الموقى
إذا دخل السجن يوماً لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

(٤٠) أخرجه الإمام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي ، وفي بعض روايات البخاري ما يوهم =

أراد^١ الطُّولَ الَّذِي هُوَ الْفَضْلُ وَالْكَرَمُ ؛ وَكَانَتْ (زَيْنَبُ) أَكْثَرَهُنَّ
صَدَقَةً . وَالْعَرَبُ تَقُولُ : فَلَانٌ أَطُولُ يَدًا مِنْ فَلَانٍ ؛ إِذَا كَانَ أَكْرَمَ مِنْهُ
وَأَكْثَرَ بَذْلًا^٢ .

قال الشاعر^(٤١) :

وَلَمْ يَكْ أَكْثَرَ الْفِتْيَانِ مَالًا وَلَكِنْ كَانَ أَطْوَلَهُمْ ذِرَاعًا
وَيُرَوَّى : أَرْحَبَهُمْ .

ومن هذا النوع قوله^٣ تعالى^(٤٢) : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي
إِسْرَائِيلَ ﴾ . قال قومٌ : معناه (مِنْ سَبَبِ ذَلِكَ) كما يُقَالُ : فَعَلْتُ ذَلِكَ
مِنْ أَجْلِكَ .

١ . في م ، ط : أَنَّهُ مِنَ الطُّولِ .

٢ . لم ترد (وَأَكْثَرَ بَذْلًا) فِي « ن » .

٣ . في ط : تَبَارَكَ وَتَعَالَى .

= أن أسرعن لحاقاً هي سودة . وكذا وقع في سنن النسائي (بشرح السيوطي ط ، مصطفى
محمد) .

صحيح البخاري ٢ : ١١٥ ، مسلم : ١٩٠٧ ، النسائي ٥ : ٦٧ ، وهو في مختصر صحيح مسلم ٢ :
٢٠٥ .

وفي أساس البلاغة (ومن المجاز قولهم : هو أطول يداً منه ، أي أسخى) .

(٤١) البيت لأبي زياد الأعرابي من شعراء الحماسة وقبله :

لِسَهْ نَسَارَ تَشَبَّ بِكُلِّ وَادٍ إِذَا النَّيْرَانُ أَلْبَسَتِ الْقَنَاعَا

الحماسة ٤ : ١٥٩٢ ، والحيوان ٥ : ١٣٥ ، ومعاهد التنخيص : ٦٠ ، وتحرير التعبير : ٥٣٠ ؛
وفيه (أرحبهم) بدلاً من (أطولهم) .

قال المرزوقي : (قوله تُشَبُّ أي توقد ... والمعنى أن نار ضيافته تُوقد بكل وادٍ ينزل به ، إذا
النيران في الآفاق سترت وحجبت عن الاستدلال بها مخافة طروق الأضياف) . وفي شرح
الشاهد قال : (إن ما تحمله وتكلفه لم يك السبب فيه اليسار ، وكثرة المال ، ولكن كرمه
الفائض وعرقه الزاخر) .

(٤٢) المائة ٥ : ٣٢ . وقام الآية : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ

- 53 -

وَلَا شَهِيدٌ ﴿٤٤﴾ . قَالَ قَوْمٌ : مُضَارَةٌ الْكَاتِبِ أَنْ يَكْتُبَ مَا لَمْ يَمْلَ عَلَيْهِ ، وَمُضَارَةٌ الشَّهِيدِ أَنْ يَشْهَدَ بِخِلَافِ الشَّهَادَةِ . وَقَالَ آخَرُونَ : مُضَارَتُهُمَا أَنْ يُمْنَعَا مِنْ أَشْغَالِهَا وَيُكَلَّفَا الْكِتَابَةَ وَالشَّهَادَةَ فِي وَقْتٍ يَشَقُّ ذَلِكَ فِيهِ عَلَيْهِمَا .

وإنما أوجب هذا الخلاف أن قوله : ﴿ وَلَا يُضَارُّ ﴾ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ تَقْدِيرُهُ : وَلَا يُضَارَّرُ بَفَتْحِ الرَّاءِ ؛ فَيَلْزَمُ عَلَى هَذَا أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ وَالشَّهِيدُ مَفْعُولًا بِهِمَا لَمْ يَسَمَّ فَاعِلُهُمَا . وَهَكَذَا كَانَ يَقْرَأُ ابْنُ مَسْعُودٍ بِإِظْهَارِ التَّضْعِيفِ وَفَتْحِ الرَّاءِ ﴿٤٥﴾ .

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ تَقْدِيرُهُ : ﴿ وَلَا يُضَارُّ ﴾ بِكَسْرِ الرَّاءِ ، فَيَلْزَمُ عَلَى هَذَا أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ وَالشَّهِيدُ فَاعِلَيْنِ . وَهَكَذَا كَانَ يَقْرَأُ ابْنُ عَمَرَ بِإِظْهَارِ التَّضْعِيفِ وَكَسْرِ الرَّاءِ .

١. في « ن » : والشاهد .

- (٤٤) البقرة ٢ : ٢٨٢ انظر ما قيل في تفسير الآية (القرطبي ٣ : ٣٧٦ - ٤٠٦) .
 (٤٥) القرطبي ٣ : ٤٠٦ (وكذا قرأ ابن مسعود : ﴿ يُضَارَّرُ ﴾ بفتح الراء الأولى ولفظ المضارة إذ هو من اثنين يقتضي هذه المعاني) . قال الزمخشري في تفسير الآية الكريمة : ﴿ وَلَا يُضَارُّ ﴾ يحتمل البناء للفاعل والمفعول . والدليل عليه قراءة عمر رضي الله عنه : ﴿ وَلَا يُضَارُّ ﴾ بالإظهار والكسر . وقراءة ابن عباس رضي الله عنه : ﴿ وَلَا يُضَارَّرُ ﴾ بالإظهار والفتح . والمعنى نهى الكاتب والشهيد عن ترك الإجابة إلى ما يطلب منها ، وعن التحريف والزيادة والنقصان أو النهي عن الضرر بها بأن يعجلأ عن مهم ، ويلزأ ، أو لا يعطى الكاتب حقاً من الجعل ، أو يحمل الشهيد مؤونة مجيئه من بلد بعيد) .
 قال ابن جني معلقاً على القراءة في : ﴿ وَلَا يُضَارُّ ﴾ : والإدغام لغة تميم والإظهار (فك الإدغام) لغة الحجازيين . (المحتسب ١ : ١٤٨) .

ومثل هذا قوله تعالى : ﴿ لَا تَضَارَّ وَالِدَةَ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودَ لَهَا بِوَلَدِهِ ﴾^(٤٦) .

وأما الاشتراك العارض من قبل تركيب الكلام ، وبناء بعض الألفاظ على بعض فإن منه ما يدل على معانٍ مختلفة متضادة ، ومنه ما يدل على معانٍ مختلفة غير متضادة .

فمن النوع الأول قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ﴾^(٤٧) . قال قوم : معناه (وترغبون في نكاحهن لمالهن) . وقال آخرون : إنما أراد (وترغبون عن نكاحهن لدمامتهن وقلة مآلهن)^(٤٨) .

(٤٦) البقرة ٢ : ٢٣٣ . المعنى : (لا تأبى الأم أن ترضعه إضراراً بأييه أو تطلب أكثر من أجرٍ مثلها ، ولا يحل للآب أن يمنع الأم من ذلك مع رغبتها في الإرضاع . هذا قول جمهور المفسرين . وقرأ نافع وعاصم وحزمة والكسائي تضارَّ بفتح الراء المشددة ، وموضعه جزم على النهي ... أي لا ينزع الولد منها إذا رضيت بالإرضاع ورضي الصبي ... وروى يونس عن الحسن قال : يقول : (لا تضارَّ زوجها تقول : لا أرضعه ، ولا يضارها فينزعها منها وهي تقول : أنا أرضعه) . القرطبي ٢ : ١٦٧ ، وانظر ما نقله الزخشي من أقوال : في الكشف ١ : ٢٧٩ - ٢٨٠ .

(٤٧) النساء ٤ : ١٢٧ . الآية : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾ .

(٤٨) رَغِبْتَ فِي الشَّيْءِ : إذا أردته ، ورَغِبْتَ عَنِ الشَّيْءِ : إذا لم تريده . وقد وَرَدَ الوجهان في تفسير الآية فقيل : ترغبون عن أن تنكحوهن بحذف (عن) ، وقيل : ترغبون في أن تنكحوهن ثم حذفت (في) . انظر القرطبي ٥ : ٤٠٢ - ٤٠٣ .

وإنما أوجب هذا الاختلاف¹ أنَّ العربَ تقول : (رغبتُ عن الشيء) : إذا زهدتَ فيه ؛ و (رغبتُ في الشيء) : إذا حرصتَ عليه . فلما رُكِبَ الكلامُ تركيباً سَقَطَ منه حرفُ الجرِّ احتمَلَ التأويلَين المتضادَّين ، فصار كقولِ القائل^(٤٩) :

وَيَرْغَبُ أَنْ يَبْنِيَ الْمَعَالِيَ خَالِدٌ وَيَرْغَبُ² أَنْ يَرْضَى صَنِيعَ الْأَلَامِ
فهذا البيت يحتمل أن يكون مدحاً وأن يكون ذماً . فإن جعلت الرغبة الأولى مقدرةً بـ (في) والثانية مقدرةً بـ (عن) كان مدحاً . وإن جعلت الرغبة³ الأولى مقدرةً بعن والثانية مقدرةً بفي كان ذماً .

ومن هذا النوع قولُ عليٍّ رضي الله عنه : « أَيُّهَا النَّاسُ تَزْعُمُونَ أَنِّي قَتَلْتُ عُثْمَانَ ؟ أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُ وَأَنَا مَعَهُ » . أرادَ عليٌّ ، رضي الله عنه ، أَنَّ اللَّهَ قَتَلَهُ ، وَسَيَقْتُلُنِي مَعَهُ . فَعَطَفَ (أَنَا) عَلَى الْهَاءِ مِنْ (قَتَلَهُ) ؛ وَجَعَلَ الْهَاءَ فِي (مَعَهُ) عَائِدةً عَلَى عُثْمَانَ ، رضي الله عنه .

وتأولته⁴ الخوارج على أنه عطف (أَنَا) عَلَى الضَّمِيرِ الْفَاعِلِ فِي (قَتَلَهُ) ! أَوْ عَلَى مَوْضِعِ الْمَنْصُوبِ بِإِنَّ ، كما تقول [أ ٦] : إِنَّ زَيْدًا قَائِمٌ

1. في ط : الخلاف .

2. في ن : فيرغب .

3. (الرغبة) لم ترد في م ، ط .

4. في ط : وتأوله .

(٤٩) قال في اللسان (لأم) : (وقد جاء في الشعر لجمع لئيم ، ألأيم على غير قياس) . وقد أورده ابن هشام في المغني ٢ : ٥٨٠ نقلاً عن ابن السَّيِّد ؛ في الباب الرابع من كتابه عن الأمور التي يتعدى بها الفعل القاصر وذكر منها : (إسقاط الجار) فقال في موضع استشاده بالآية الكريمة : ﴿ وَتَرْغِبُونَ أَنْ تُنَكِّحُوهُمْ ﴾ : (أي في أن ، أو عن ، على خلاف في ذلك بين المفسرين وما يحتملها قوله : ويرغب ... البيت) .

وعمرؤ . فترفع (عمراً) عطفاً على موضع (زيد) وما عمل فيه ؛ وجعلوا الضمير في قوله (معه) عائداً على الله تعالى . فأوجبوا عليه من هذا اللفظ أنه شارك في قتل عثمان رضي الله عنه ! ولذلك قال كعب بن جعيل^(٥٠) :

إذا سئل عنه حداً^١ شبهةً وعمى الجواب على السائلينا
فليس براضي ولا ساخطٍ ولا في النهاية ولا الأمرينا
ولا هوساء ولا سرّة ولا بدّ من بعضٍ ذا أن يكونا
وإنما قال هذا لأن عليّاً - رضي الله عنه - كان يقول إذا ذكر له قتل
عثمان رضي الله عنه : والله ما أمرت ولا نهيت ، ولا رَضيتُ ولا
سَخَطتُ ، ولا ساءني ولا سرّني^{(٥١)٢} .

ونظير هذا الضمير في احتماله التأويلين معاً^٣ قول خالد بن عبد الله
القسري^(٥٢) على المنبر : (إن أمير المؤمنين كتب إلي أن ألعن عليّاً ،

١ . في ط : هذا .

٢ . لم ترد الفقرة في م .

٣ . في م : المتضادين ، وفي ط : المتضادين معاً .

(٥٠) كعب بن جعيل التغلبي ، مخضرم عرف في الجاهلية والإسلام . قال المرزباني : (وهو شاعر معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام ، يمدحهم ويردّ عنهم) . والنص في كتاب (معركة صفين) لنصر بن مزاحم : ٥٦ - ٥٧ من قصيدة . وفي العقد لابن عبد ربّه ٤ : ٢٩٦ - ٢٩٧ وفيه : (زوى وجهه) في البيت الأول : (ولا آمن بعضٌ ذا أن يكونا) مكان الشطر الثاني للبيت الثالث ، أما ثاني الأبيات فلا اختلاف فيه .

(٥١) انظر العقد ٤ : ٢٩٦ ، وكذلك مطلع صفحة : ٢٩٩ . وانظر شرح نهج البلاغة ١ : ٢٧٩ - ٢٨٢ .

(٥٢) خالد بن عبد الله القسري (٦٦ - ١٢٦) من ولاية بني أميّة المشهورين . ولأه الوليد بن عبد الملك مكة سنة ٨٩ ، ولأه هشام الكوفة والبصرة سنة ١٠٥ ، وبقي عليها إلى ١٢٠ . وقد خلفه يوسف بن عمر الثقفي فحاسبه ، وسجنه بأمر هشام ، وقضى في سجنه .

فَالْعَنُوهُ ، لَعْنَةُ اللَّهِ (. فَأَوْهَمَ أَنَّ الضَّمِيرَ رَاجِعٌ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^١ ، وَإِنَّمَا هُوَ عَائِدَةٌ عَلَى الْأَمْرِ لَهُ بِلَعْنَتِهِ ^١ وَلِذَلِكَ أَنْكَرَ عَلَى خَالِدٍ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ اللَّفْظِ الْمَشْتَرَكِ ، فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يُصَرِّحُ بِلَعْنِهِ بِالْفَاضِلِ لَا اشْتِرَاكَ فِيهَا .

وهذا النوع من الضمائر كثير في الكلام . فنه قوله تعالى ^(٥٣) : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ . يجوز أن يكون الضمير الفاعل الذي في (يَرْفَعُهُ) عائداً على (الْكَلِمُ) والضمير المفعول عائداً على (الْعَمَلُ) ؛ فيكون معناه أَنَّ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ ، وهو التَّوْحِيدُ ، يرفع العمل الصالح ، لأنه لا يَصِحُّ عملٌ إلاَّ مع إيمان . ويجوز أن يكون الضمير الفاعل عائداً على (الْعَمَلُ) والضمير ^٢ المفعول عائداً على (الْكَلِمُ) ؛ فيكون معناه أن العمل الصالح هو الذي يرفع الْكَلِمَ الطَّيِّبَ .

وكلاهما صحيح لأنَّ الإِيْمَانَ قولٌ وَعَقْدٌ وَعَمَلٌ لا يَصِحُّ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ . ولو جعلت في هذه الآية اسم الفاعل مكان الفعل لاختلف اللفظان لأن اسم الفاعل يستتر فيه ضمير ما هو له ويظهر ضمير ما ليس له . فكان يلزم إذا جعلت الرَّفْعَ للكلم أن تقول : (وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ رَافِعُهُ هُوَ) ، وإذا جعلت الرَّفْعَ للعمل قلت : (وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ رَافِعُهُ) ، فيستتر الضمير الفاعل ولا يظهر كما تقول : (هِنْدٌ زَيْدٌ ضَارِبَتُهُ هِيَ) إذا

1. زاد في م (ولعن لاعنه) . — في م ، ط : بلعنه .

2. كلمة (الضمير) لم ترد في « ن » .

(٥٣) سورة فاطر ٣٥ : ١٠ . وقام الآية : ﴿مَنْ كَانَ يَرْيِدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾ إليه يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ والذين يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ . أورد القرطبي الوجهين وغيرهما ١٤ : ٣٣٠ ، وانظر مقالة ابن عطية : ٣٣٠ من الجزء نفسه في مسألة قبول (الكلم الطيب) .

جعلتَ الضَّرْبَ لَهْنِدٍ ؛ لأنه جَرى خَبراً على غير مَنْ هو له ؛ فإذا جعلتَ الضَّرْبَ لزيد قلتَ : (هِنْدٌ زَيْدٌ ضَارِبُهَا) ولم يَحْتَجْ إلى إظهار الضَّمير لِجَرَيَانِهِ خَبراً عَلَى مَنْ هُوَ لَهُ .

[٦ ب] ومن هذا النوع من الضمائر قولُ زهير^(٥٤) :

نَظَرْتُ إِلَيْهِ نَظْرَةً فَرَأَيْتُهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ مَرَّةً هُوَ حَامِلُهُ
يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْحَامِلُ هُوَ الْغَلَامُ ، وَالْحَمُولُ هُوَ الْفَرَسُ ؛ وَيَجُوزُ أَنْ
يَكُونَ الْأَمْرُ بَعَكْسِ ذَلِكَ^١ .

ومن هذا النوع مِنَ الضمائر قولُهُ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ عَلَى
صُورَتِهِ »^(٥٥) . ذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ الْهَاءَ عَائِدَةٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَذَهَبَ قَوْمٌ
إِلَى أَنَّ الْهَاءَ عَائِدَةٌ عَلَى آدَمَ^٢ . وَسَنَتَكَلَّمُ عَلَى هَذَا الْجَوَابِ^٣ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ
اللَّهُ تَعَالَى .

١ . في ط : بالعكس .

٢ . في العبارة تقديم وتأخير في ط .

٣ . في م ، ط : عن هذا الحديث .

(٥٤) ديوان زهير (صنعة ثعلب : ١٢٦) ، وفي شرح الأعلام الشنتري (٢٩) : يقول : نظرت إلى
الفرس فرأيتُه والغلام يحمله من السَّير على كل حال مما أحب أو كره . ويجوز أن يريد :
نظرت إلى الغلام والفرس يحمله مَرَّةً على الطمع ومرة على اليأس ومَرَّةً على الهلاك لنشاطه
وحدثه .

والبيت من قصيدة في مدح حصن بن حذيفة .

(٥٥) الحديث متفق عليه : البخاري ٧ : ١٣٥ ، مسلم : ٢١٨٣ ، مختصر صحيح مسلم ٢ : ٢٨٠ ، فتح
الباري ١١ : ٢ - ٣ . ورووا : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِرَجُلٍ يَلْطُمُ وَجْهَ عَبْدِهِ وَهُوَ يَقُولُ : قَبِّحَ
اللَّهُ وَجْهَكَ وَوَجْهَ مَنْ أَشْبَهَكَ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ عَبْدَهُ فَلْيَتَّقِ الْوَجْهَ فَإِنَّ اللَّهَ
خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ » . وجاء في حديث آخر : « خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ » . وجاء
قوله : « رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ » .

ومن الضمائر المشتركة قول حسان¹ بن ثابت^(٥٦) :

ظَنَنْتُمْ بَأَن يَخْفَى الَّذِي قَدْ صَنَعْتُمْ وَفِينَا نَبِيٌّ عِنْدَهُ الْوَحْيُ وَاضِعُهُ !
ذهب سيبويه^(٥٧) إلى أن الهاء من (وَاضِعُهُ) ترجع على² الوحي ،
وذهب غيره إلى أنها راجعة إلى النبي³ ﷺ . وكلا القولين صحيح المعنى .
فيكون معنى وضع النبي ﷺ للوحي على قول سيبويه أنه وضعه للناس
بأمر الله تعالى ، فسَنَ السُّنن ، وفرض الفروض⁴ ، ورتَّب الأشياء
مراتبها .

ويكون معناه على قول غيره أن الوحي يَضَعُ عنده ما تَصْنَعُونَ أي
يُبَيِّنُ له ما تَرُومُونَهُ وتُدَبِّرُونَهُ ، وَيُظْهِرُ له ما تُخْفُونَهُ من مَكْرِكُمْ
وَكَيْدِكُمْ وَتَزَيِّفُونَهُ ، فَتَقْدِيرُ⁵ الكلام - على هذا - : وفينا نبيٌّ : الوحي
واضعٌ ما صَنَعْتُمْ عنده . وهذا القول عِنْدِي أظهرُ من قول سيبويه .

1. في ط : حسان .

2. في م ، ط : ترجع إلى .

3. في « ن » : الذي .

4. في م ، ط : وفرض الفرائض .

5. في ط : فيكون تقدير .

(٥٦) ديوان حسان : ٢٧١ . والبيت من جملة أبيات قالها حسان في أحد بني أبيرق يعمره وكان قد

سرق (وقيل : سرق مع إخوة له وابن ٤) .

وانظر الكشف ١ : ٥٦١ - ٥٦٢ ، والقرطبي ٥ : ٣٧٥ - ٣٧٦ .

(٥٧) الكتاب ١ : ٢٤١ - ٢٤٢ . وقال الأعم الشنبري في إيضاح القضية : الشاهد فيه جرى قوله

(واضعه) على النبي ﷺ ، مع إعادة الضمير على الوحي ، وهو لا يحتمل القلب كما تقدم في الباب

- يعني باب إجراء الصفة على الاسم فيه في بعض المواضع أحسن - من كتاب سيبويه . قال : وقد

رَدَّ عليه هذا التقدير ، وجعل الضمير عائداً على (الذي قد صنعتم) على تقدير : وفينا نبيٌّ واضع

ما قد صنعتم لا على الوحي كما قدره . ورجح الأعم تخريج سيبويه .

ويجوز أن يكون من الوضع الذي هو الإسقاط والاطراح ، فيكون معناه أن الوحي يسقط الذي تصنعونه ويُبطله .

ومن هذا النوع المشترك التركيب قول الله تعالى¹ : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ^(٥٨) ﴾ . فإن هذه الآية في بعضها خلاف وفي بعضها وفاق . فمن قوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ ﴾ تحريم مُبْتَنٍ متفق عليه . وقوله تعالى : ﴿ وَرَبَائِبُكُمْ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ﴾ تحريم غير مبهم .

ووقع قوله تعالى : ﴿ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ ﴾ متوسطاً بين التحريمين ، فجعل قوم (أُمَّهَاتُ النساء) من التحريم المبهم ، وجعله آخرون من التحريم غير المبهم ، وقالوا : إذا تزوج المرأة ولم يدخل بها لم تحرم عليه أُمُّهَا .

وإنما أوجب هذا الخلاف أنه تبارك وتعالى أعاد في هذه الآية ذكر النساء مرتين ، ثم قال على إثر ذلك : ﴿ اللَّائِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ﴾ . فَمَنْ جَعَلَ أُمَّهَاتُ النساء من التحريم المبهم ذهب إلى أن (اللاتي) صفة للنساء المتصلات بالربائب خاصة ، دون النساء المتصلات بالأُمَّهات . وَمَنْ

1. في م ، ط : قوله تعالى .

(٥٨) سورة النساء ٤ : من الآية ٢٣ . وقام الآية التي يدور عليها الحديث في هذه الفقرة : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمْ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ . وانظر في تفصيل الأحكام ، مثلاً ، ما نقله القرطبي مفصلاً في تفسيره ٥ : ١٠٥ - ١٢٠ .

جَعَلَهُنَّ مِنَ التَّحْرِيمِ غَيْرِ الْمُبْهَمِ ذَهَبَ إِلَى [١٧] أَنْ : ﴿اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾
صفة للنساء المذكوراتِ في المَوْضَعَيْنِ معاً^١ . فصارَ خلافاً للفقهاء في هذه
الآية مَبْنِيّاً على خِلافِ النَحْوِيِّينَ في جَمْعِ الصِّفَةِ وتَفْرِيقِ الموصوفِ ؛
وذلكَ أَنَّ هذا البابَ مِنْهُ ما قد أجمع النَحْوِيُّونَ على جَوَازِهِ ، ومنهُ ما قد
أجمعوا على مَنَعِهِ ، ومنهُ ما اختلفوا فيه .

فَالَّذِي اتَّفَقُوا عَلَى جَوَازِهِ : أَنْ يَتَّفَقَ الموصوفانِ في الإعرابِ والعاملِ
معاً كقولك : (مررتُ بزيدٍ وأخيك العاقلَيْنِ) .

وَالَّذِي اتَّفَقُوا عَلَى مَنَعِهِ : أَنْ يَخْتَلِفَ الإعرابانِ والعاملانِ معاً
كقولك : (مررتُ بزيدٍ وهذا أبوك) لا يُجِيزُونَ أَنْ يُقَالَ^٢ :
(العاقلانِ) ، ولا (العاقلَيْنِ) على الصِّفَةِ ؛ لكن على القَطْعِ ، والنَّصْبِ
بِإِضْمارِ (أعني) ، أو الرِّفْعِ بِإِضْمارِ مبتدأ كأنه قال : هُمَا العاقلانِ .

وَالَّذِي اختلفوا في جَوَازِهِ : أَنْ يَتَّفَقَ الإعرابانِ ويختلفَ العاملانِ ،
كقولك : (مررتُ بـغلامِ زَيدٍ ، ونزلتُ على عمروِ العاقلَيْنِ) ، فقومٌ
يُجِيزُونَ أَنْ يَجْعَلُوا العاقلَيْنِ صفةً لزيدٍ وعمرو ، وقومٌ يَمْنَعُونَ مِنْ ذَلِكَ .

ومذهبُ مَنْ مَنَعَ مِنْ ذَلِكَ أَقْيَسُ ؛ لأنَّ (زيدا) انجَرَّ^٣ بِإِضافةِ الغلامِ
إِلَيْهِ ؛ و (عمرو) انجَرَّ بِ (على)^٤ . فإذا جعلتَ (العاقلَيْنِ) صفةً لهما
أَعْمَلْتَ عاملينِ مختلفينِ في اسمٍ واحدٍ ، وذلكَ لا يَجُوزُ . وهو جائزٌ على

١ . في ط : في الموضعين .

٢ . (أن يقال) لم ترد في (ن) .

٣ . في ط : جر .

٤ . في ط : جَرَّ .

قياس قول أبي الحسن الأخفش ، لأن العامل في الموصوف لا يعمل عنده في الصفة¹ ، وإنّا تنخِضُ الصفة عنده أو تنتصب أو ترتفع للإتباع² .

فلما كانت (النساء) الأول من قوله : ﴿ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ ﴾ العامل فيهن الإضافة و (النساء) الآخر العامل فيهن : من ، اختلفت العاملان فيه³ ، فوجب ألا يكون : ﴿ اللَّائِي دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾ صفةً لهما معاً على ما قلناه . ولكن من أجازهُ من الفقهاء يُمكنهُ أن يحتج بشيئين : أحدهما : أن يكون على مذهب من أجاز ذلك من النحويين .

والآخر : أن قوله تعالى : ﴿ اللَّائِي ﴾ اسم مبني لا يظهر فيه إعراب فيمكن أن يكون منصوباً بإضمار (أعني) ، أو مرفوعاً بإضمار مبتدأ ، ولو ظهر الإعراب فيه أيضاً لم يمتنع من⁴ أن يُحمل على الإضمار لا على الصفة ؛ فيكون كنعو⁵ ما أنشده سيبويه من قول الشاعر^(٥٩) :

١ . في م ، ط : صفته .

٢ . في م ، ط : بالإتباع .

٣ . لم ترد كلمة (فيه) في م ، ط .

٤ . لم ترد في (ن) .

٥ . لم ترد في (ن) .

(٥٩) الكتاب ١ : ٢٨٨ . والبيتان في المقتضب للمبرد ٤ : ٣١٥ .

قال الأعم الشنترى في شرح شواهد الكتاب بعد البيتين : « الشاهد في نصب (أميري عداء) على الشتم ، ولا يجوز نصبه على الحال ولا جرّه على البدل من الاسمين لاختلاف العامل فيها ، لأن (الجرّاف) مخفوضٌ بالإضافة و (راسماً) مجرور بالباء وهو في صلة أعتبتونا . فقد اختلف معناهما فقطعت الصفة فيها ونصبت على الذم » .

والجرّاف ورأسم عاملان ذكر جورهما واعتداءهما فيما يأخذان من صدقات أموالهم . ومعنى أعتبتونا : أَرْضَيْتُونَا ، والعداء : الظلم ، وأراد بيهائم المال : الإبل . أي إن حبسنا عليها الإبل ليحصلها ويأخذنا صدقاتها ، جارا ، قد ذهبها . ويقال : (أودى بكذا إذا ذهب به) .

أَمِنْ عَمَلِ الْجَرَافِ أَمْسَ وَظَلَمِهِ وَعُدْوَانِهِ أَعْتَبْتُمُونَا بِرَاسِمِ
 أَمِيرِي عِدَاءٍ إِنْ حَبَسْنَا عَلَيْهِمَا بِهَائِمِ مَالٍ أَوْ دِيَا بِالْبَهَائِمِ
 [٧ ب] ألا ترى إلى قوله : (أَمِيرِي عِدَاءٍ) لا يجوز أن يكون بدلاً من
 (الجراف وراسم) لاختلاف العاملين ، ولكنه على إضمار (أعني) ونحوه .
 وكذلك قول الرّاجز^(٦٠) :

إِنَّ بِهَا أَكْتَلَ أَوْ رِزَامَا خَوِيرِيَيْنِ يَنْقَفَانِ الْهَامَا
 فـ (خَوِيرِيَيْنِ) لا يجوز أن يكونَ مَرْدُوداً على (أَكْتَلَ وَرِزَامَا) لأنّه
 إِنَّمَا أَوْجَبَ أَحَدَهُمَا لدخول (أَوْ) التي للشكّ بينهما . ألا ترى أنه لا يجوزُ
 (رأيت زيدا أو عمراً مُنْطَلِقَيْنِ) .

(٦٠) الكتاب ١ : ٢٨٧ . واللسان ١ : ٣٣٧ (خرب) أكتل ورزام خاريان : أي لسان . ويخصص
 الحارب بسارق الإبل .

والكامل للمبرد ٢ : ٤٣ وتمة الرّجز فيه :

إِنِّي الطَّرِيقَ وَاجْتَبِ أَرْمَامَا إِنَّ بِهَا أَكْتَلَ أَوْ رِزَامَا
 خَوِيرِيَيْنِ يَنْقَفَانِ الْهَامَا لَمْ يَتَرَكَ لِمُسْلِمٍ طَقَامَا
 والمغني ١ : ٦٥ - ٦٦ وتحدث فيه عن قوله خَوِيرِيَيْنِ فقال : ... لم يقل خويرياً كما تقول :
 زيداً أو عمرو لصّ ، ولا تقول لسان . وأجاب الخليل عن هذا بأن خويريين بتقدير أشتَم
 لا نمت تابع . ١ : ٦٦ .

وفي الكامل (أرماما) . وقال في معجم ما استعجم ١ : ١٤١ إرمام : موضع في ديار طيء أو
 ما يليها . وقال الأعمى الشنترى في شرح البيت : الشاهد في نصب (خَوِيرِيَيْنِ) من النّدم ،
 ولا يجوز أن يكون من أكتل ، ورزام ، لأن الخبر عن أحدهما لاعتراض (أَوْ) بينهما . ولو
 كان حالاً لأفرده كما تقول : (إن في الدار زيدا أو عمراً جالساً) . لأنك توجب الجلوسَ
 لأحدهما . فلما لم تمكن فيه الحال لما يئينا نصب على النّدم .

والحارب : اللص . ويقال : هو سارق الإبل خاصة . والصحيح أن كل لصٍ حاربٌ لقوله بعد
 هذا : لَمْ يَتَرَكَ لِمُسْلِمٍ طَعَامَا ... ومعنى ينقفان الهام : يستخرجان دماغها . هذا مثل ضربه
 لعملها بالسرق واستخراجها لأخفى الأشياء وأبعد ما مرأى .

فهذا ونحوه من التركيب المشترك الذي يحتمل المعنى وضده . ونظيره
من الشعر قوله^(٦١) :

قَبِيلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ وَلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خُرْدٍ! (٦٢)
ألا تراه قد أخرج هذا^١ الكلام مخرج الهجو ؟! ولولا أن في غير هذا
البيت دليلاً على ذلك لكان من الثناء والمدح !
وكذلك قول الآخر^(٦٣) :

يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا !

١ . في ط : أخرج الكلام .

(٦١) أورد ابن هشام هذا الشاهد في : (أو : التي للجمع المطلق كالواو) ، كما أفرد معنى خاصاً آخر
(الشك) ومثاله : ﴿ قَالُوا لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ [المؤمنون ٢٣ : ١١٢] . المغني ١ : ٦٦
وقام عبارة المبرد في الكامل تعليقاً على الشاهد : « نصب خويرين على (أعني) : لا يكون
غير ذلك لأنه إنما أثبت أحدهما بقوله (أو) » . الكامل ٣ : ٤٣ .

(٦٢) البيت للنجاشي الحارثي (شاعر مخضرم توفي نحو سنة ٤٠ هـ) من أبيات هجا بها تميم بن أبي بن
مقبل وقبيلته من بني العجلان . واستعدى تميم بسببها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على
النجاشي فاقتص منه (فحبسه وضربه) . انظر الخبر في : مجالس ثعلب ٢ : ٣٦٣ - ٣٦٤ ،
والبيان والتبيين ٤ : ٣٧ ، العمدة ١ : ٢٧ - ٢٨ ، زهر الآداب ١ : ١٩ - ٢٠ ، الشعر والشعراء
في ترجمة النجاشي ١ : ٣٢٠ - ٣٢١ ، الخزائن (ط ٣) ١ : ٢٣٢ - ٢٣٣ ، ونقلها في مقدمة
ديوان تميم : ص ٩ - ١١ .

(٦٣) البيت من حاسية لبعض شعراء بلعنبر مطلعها :
لو كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِخْ إِلَيَّ .

ليستحث (قومه على الانتقام له من أعدائه ومهتضيه) . قال المرزوقي : (ومازن بن
مالك بن عمرو بن تميم هم بنو أخي العنبر بن عمرو بن تميم وإذا كان كذلك فمدح هذا الشاعر
لهم يجري مجرى الافتخار بهم ، وفي بني مازن عصبية شديدة عرفوا بها ..) . وذهب إلى :
(بطلان قول من يذهب إلى أن هذا الشاعر هجا قومه ومدح بني مازن) . انظر الحاسية
= ١ : ٢٢ - ٣١ .

الإنصاف (٥)

وأما التركيبُ الدالُّ على معانٍ مُختلفة غير مُتضادة فكقوله تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾^(٦٤) فَإِنَّ قوماً يرونَ الضَّميرَ من (قَتَلُوهُ) عائداً على^١ المسيح ﷺ ، وقوماً يَرَوْنَهُ عائداً إلى العِلْمِ المذكورِ في قوله : ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَاعَ الظَّنِّ ﴾ فيجعلونَهُ من قول العرب : (قَتَلْتُ الشَّيْءَ علماً)^(٦٥) .

ومن هذا النوع قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾^(٦٦) . فَإِنَّ النَّاسَ اختلفوا في هذا التشبيه من أين وَقَعَ . فذهب قومٌ إلى أَنَّ التشبيه إنما وقع في عَدَدِ الْأَيَّامِ ، واحتجُّوا بحديثٍ رَوَاهُ : أَنَّ النَّصارى كانَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ في الإنجيلِ صَوْمٌ ثَلَاثِينَ يَوْماً كَالَّتِي فُرِضَتْ عَلَيْنَا وَأَنَّ مَلوكَهُمْ زَادُوا فِيهَا تَطَوُّعاً حَتَّى صَيَّرُوهَا خَمْسِينَ ، وَذهب قومٌ^٢ آخَرُونَ إلى أَنَّ التشبيه إنما وَقَعَ في الفَرَضِ لَا في عَدَدِ الْأَيَّامِ . وهذا هو القولُ^٣ الصَّحِيحُ ؛ وَإِنْ كانَ

١ . في م ، ط : إلى .

٢ . في م ، ط : وذهب آخرون .

٣ . في م ، ط : وهذا القول هو .

= وأراد ابن السَّيِّد أن البيتَ داخلٌ في (التركيب المشترك) لأنه يمكنك أن توجهه إلى المدح وإلى الذم ، وبما يؤكد هذا قوله : يجوزون من ظلم أهل الظلم .. البيت . لأنه لا يقال لمن يسلك عجزاً عن الانتصار إنه غفر ، ولا لمن لا يقدر على جزاء الإساءة إنه اختار الإحسان .
(٦٤) النساء ٤ : ١٥٧ . وقام الآية : ﴿ وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اختلفوا فيه لفي شكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ ، وبعدها الآية : ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ .
(٦٥) في أساس البلاغة : من مجاز مادة قتل : قتلته علماً وخبراً . ومعنى قتله علماً : تَعَقَّقَ في بحشه فعمله علماً تاماً .

(٦٦) البقرة ٢ : ١٨٣ . انظر الزغشري في الكشف ١ : ٢٢٥ ، والقرطبي ٢ : ٢٧٤ .

القولان جائِزَين في كلامِ العرب ؛ ألا ترى أنَّك إذا قلتَ : أعطيتُ زيداً
كما أعطيتُ عمراً ، احتملَ أن تُريدَ تساويَ العَطيَّتين ؛ واحتملَ أن تُريدَ
تساويَ الإِعطاءَين وإن كنتَ أعطيتَ أحدهما خلافَ ما أعطيتَ الآخر .
وهذا يكثرُ إن تَتَّبَعْنَاهُ ، وقد أوردنا منه جملةً تُنبِّهُ على الغرض الذي
قصدناه [أ ٨] ، وبالله التوفيق¹ .



١ . (وبالله التوفيق) من م ، ط .

الباب الثاني

في الخلاف العارض من جهة الحقيقة والمجاز

قد ذهب قوم إلى إبطال المجاز^(١) ، وذهب آخرون^١ إلى إثباته ، وإنهما كلامنا فيه على مذهب مَنْ أثبتته لأنه الصحيح الذي لا يجوز غيره ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ﴾^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾^(٣) .

ولا وَجْهٌ لإطالة القول في الردّ على مَنْ أنكره لأننا لم نقصد ذلك في كتابنا هذا ، ولا مناقضة^٢ أحدٍ من أهلِ المقالات ، وإنما قصدنا الكلام في أصول الخلاف ؛ فأقولُ واللهُ الموفقُ^٣ :

إن المجاز ثلاثة أنواع :

نوعٌ يعرضُ في موضوع اللفظة المفردة ، ونوعٌ يعرضُ في أحوالها المختلفة عليها من إعرابٍ وغيره ، ونوعٌ يعرضُ في التركيبِ وبناء بعض الألفاظ على بعض .

١. في م ، ط : وذهب قوم .

٢. في م ، ط : لأننا لم نقصد في كتابنا هذا مناقضة أحد .

٣. في ط : وبالله التوفيق .

(١) انظر (مثلاً) كليات أبي البقاء ٤ : ١٨٥ .

(٢) إبراهيم ١٤ : ٤ . والآية : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

(٣) الشعراء ٢٦ : ١٩٥ . والآية في سياقها من النص الكريم : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ .

فمثال النوع الأول : الميزان ، فإنه قد^١ يكون المقدار الذي قد
تعارفة الناس في معاملاتهم ، ويكون العدل ؛ تقول العرب : وازنت بين
الشيئين إذا عادلته^٢ بينهما ، ورجل^٣ (٤) وازن ، إذا كانت له حصة
ومعرفة .

قال كثير^(٥) :

رأيتني بأشلاء اللجام وبغلها من القوم أبزى بادن متباطن
فإن أك معروق العظام فإنتي إذا ما وزنت القوم بالقوم وازن
ويقال للعروض ميزان الشعر ، وللنحو ميزان الكلام .
ويروى أن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - عرض عليه عود غناء
وقيل له : ما هذا ؟ فقال : هذا هو الميزان الرومي ! أراد أنه ميزان
الغناء^(٦) .

١ . (فإنه قد) لم ترد في م .

٢ . في ط : عدلت .

(٤) انظر مادة (وزن) في القاموس المحيط (الميزان معروف ، ووازنه : عادله ، وأوزن القوم :
أوجههم) .

(٥) شرح ديوان كثير عزة بتحقيق الدكتور إحسان عباس : ٢٨٠ . والبيتان في جملة أبيات نقلها
عن المحاسن والأضداد للجاحظ ص ١٦٠ . أشلاء اللجام : سيوره أو هي التي تقادمت فدق
حديدها (ويروى كأنشاء اللجام) . الأبزى : الذي به الخناء في الظهر عند العجز في أصل
القطن . والبادن : الجسم . ولم يرو هذا الحرف في ديوانه المطبوع . وروى : عاجز ،
وعاجن . وروى أيضاً : متطامن أي منحني الظهر . وروي من الحي ومن الملاء في موضع
(من القوم) .

وشطر البيت الثاني في الديوان : ☆ إذا وزن الأقوام بالقوم وازن ☆

ومعنى معروق العظام : قد انحسر اللحم عن عظامه فأصبح قليل اللحم . و : وازن : راجح .
وبين البيتين في الديوان بيت آخر .

(٦) انظر الخبر في العقد ٦ : ١٢ .

وقال بعض الشعراء يرثي عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله^(٧) :

قد غيّب الدافنون اللحد إذ دفنوا بدئير سمعان قسطنطاس الموازين^(٨)
فشبهه عمر ، رحمه الله^٢ ، لعدله بالميزان .

ومن ذلك السلسلة ، فإن العرب تستعملها حقيقة وتستعملها^٣ مجازاً
على ثلاثة أوجه :

الأول : أن تريد بها^٤ الإجبارة على الأمر والإكراه عليه . فمن ذلك
قوله عليه السلام : « عَجِبْتُ لِقَوْمٍ يَقَادُونَ إِلَى الْجَنَّةِ بِالسَّلَاسِلِ »^(٩) .

الثاني : أن يريدوا بهذا^٥ المنع من الشيء والكف عنه ، كقول أبي
خراش^(١٠) :

١ . (رحمه الله) لم ترد في ن .

٢ . في ط : رضي الله عنه .

٣ . في م : تستعملها مجازاً على .

٤ . في م : الأول : الإجبارة على الأمر والإكراه .

٥ . في م ، ط : بها .

- (٧) البيت هو أول ثلاثة أبيات في رثاء عمر بن عبد العزيز أوردها صاحب العقد ٣ : ٢٨٥ ،
وياقوت في معجم البلدان ٢ : ٥١٧ . ورواية الشطر الأول عنده : (قد غيبوا في ضريح
التراب منفرداً) ونقل ياقوت شيئاً من مرثي عدد من الشعراء في الخليفة الأموي رحمه الله .
- (٨) دير سمعان (بكسر السين وفتحها) بنواحي دمشق في موضع نزه وبساتين ، وعنده قبر
عمر بن عبد العزيز ، معجم البلدان ٢ : ٥١٧ .
- (٩) أخرج البخاري في باب الأسارى في السلاسل : من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي
ﷺ : « عَجِبْتُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ » . وأخرجه أبو داود بلفظ : « يَقَادُونَ
إِلَى الْجَنَّةِ بِالسَّلَاسِلِ » . ورواه الطبراني وأبو نعيم بلفظ : « عَجِبْتُ لِأَقْوَامٍ يَقَادُونَ إِلَى الْجَنَّةِ
بِالسَّلَاسِلِ وَهُمْ كَارِهُونَ » . فتح الباري ٦ : ١٠٩ ، كشف الخفا ٢ : ٥٥ .
- (١٠) البيت من قصيدة لأبي خراش الهذلي (ديوان الهذليين ٢ : ١٠٥) . والأغاني ٢١ : ٣٧٦ (طبعة =

فَلَيْسَ كَعَهْدِ الدَّارِ يَا أُمَّ مَالِكٍ وَلَكِنْ أَحَاطَتْ بِالرَّقَابِ السَّلَاسِلُ
يُرِيدُ بِالسَّلَاسِلِ حَدُودَ الْإِسْلَامِ وَمَوَانِعَهُ الَّتِي كَفَّتْ الْأَيْدِي الْغَاشِمَةَ عَنْ
غَشْمِهَا ، وَمَنَعَتْ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ إِلَّا بِحَقِّهَا [٨ ب] .

وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ
فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴾ ^(١١) .

وَالثَّالِثُ : أَنْ يَرِيدُوا بِهَا مَا تَتَابَعُ بَعْضُهُ فِي إِثْرِ بَعْضٍ وَاتَّصَلَ ،
كَقَوْلِهِمْ : تَسْلَسِلُ الْحَدِيثُ ، وَتَسْلَسِلُ الْمَاءُ . وَيُقَالُ : مَاءٌ سَلْسَلٌ ،
وَسَلْسَالٌ ، وَسَلْسَالٌ ^١ .

قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ ^(١٢) :

وَأَشْبَرْنِيهِ الْهَالِكِيُّ كَأَنَّهُ غَدِيرٌ جَرَّتْ فِي مَتْنِهِ الرِّيحُ سَلْسَلٌ
وَقَالُوا : سَلْسَالُ الْبَرْقِ ، وَسَلْسَالُ الرَّمْلِ .

١ . فِي م ، ط : وَمَاءٌ سَلْسَلٌ وَسَلْسَالٌ وَسَلْسَالٌ .

= دَارُ الثَّقَافَةِ) . وَالْقُرْطُبِيُّ ١٥ : ٩ وَنَسَبَهُ سَهْوًا لِأَبِي ذُوَيْبٍ . وَفِيهِ أَنْ الشَّاعِرَ (كَانَ يَهْوَى امْرَأَةً
فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمَّا أَسْلَمَ رَاوَدَتْهُ فَأَبَى وَأَنْشَأَ يَقُولُ : فَلَيْسَ كَعَهْدِ الدَّارِ ... الْبَيْتِ ، أَرَادَ : مَنَعْنَا
بِمَوَانِعِ الْإِسْلَامِ عَنْ تَعَاطِيِ الزِّنَى وَالْفِسْقِ) .

(١١) سُورَةُ يَسَ ٣٦ : ٨ . وَفِي الْقَامُوسِ : (أَقْمَحَ الرَّجُلُ : رَفَعَ رَأْسَهُ وَغَضَّ بَصَرَهُ . وَأَقْمَحَ الْفُلُ
الْأَسِيرَ : تَرَكَ رَأْسَهُ مَرْفُوعًا لَضِيْقِهِ) . وَانْظُرِ الْكَشَافَ ٤ : ٥ . وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ ١٥ : ٧ فِي
تَفْسِيرِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ : (التَّقْدِيرُ : إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ ،
فَهِيَ كَنَايَةٌ عَنِ الْأَيْدِي لَا الْأَعْنَاقَ . وَالْعَرَبُ تَحْذِفُ مِثْلَ هَذَا ..) .

(١٢) دِيوَانُ أَوْسِ بْنِ حَجْرٍ : ٩٦ . وَأَشْبَرَهُ : أَعْطَاهُ إِيَّاهُ . الْهَالِكِيُّ : الْحَدَادُ أَوِ الصِّقْلُ . وَسَلْسَلٌ : صِفَةٌ
لِلْغَدِيرِ ، يَرِيدُ إِذَا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ صَارَ كَالسَّلْسَلَةِ ، وَقَالَ الْجَرَجَانِيُّ فِي أَسْرَارِ الْبَلَاغَةِ : (وَيَشْبَهُونَ
الْجَوَاشِنَ وَالْدُرُوعَ بِالْغَدِيرِ يَضْرِبُ الرِّيحُ مَتْنَهُ فَيَتَكَسَّرُ وَيَقَعُ فِيهِ ذَلِكَ الشَّيْءُ الْمَعْلُومُ) . وَاللِّسَانُ
٦ : ٥٨ (شَبْرٌ) . وَ ١٣ : ٣٦٦ (سَلْسَلٌ) .

قال ذو الرمة :

لأدمانة من وحش يئن سويقية وبين الجبال العفر ذات السلاسل^(١٣)

ومن هذا النوع قولهم : فلان على الجبل ، وفلان^١ على الدابة ، أي فوق كل واحد منهما ، فهذا حقيقة .

ثم يقولون : علاة دئى ، وفلان أمير على البصرة ، يريد بذلك القهر والغلبة . وكذلك قولهم : فلان في الدار ، وفي البيت ، ثم يقولون : أنا في حاجتك . وإنما يريدون أن قد شغلتنى فلم تدع فيّ فضلاً لغيرها ، فشبهوا ذلك بالمكان الذي يحيط بالمتكّن من جهاته الست ، فلا يدع منها^٢ فضلاً لغيره . .

وهذا كثير جداً في اللغة يكثر إن تتبعناه ، ومنه^٣ قوله تعالى : ﴿ فَآتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ﴾^(١٤) ذهب قوم إلى أن البنيان ههنا^٤

١. (فلان) من نسخة ن .

٢. في م ، ط : منه .

٣. في م ، ط : فنه .

٤. (ههنا) لم ترد في ن .

(١٣) الديوان : ٥٨٠ ، والبيت في سياقه :

أقول بذي الأوطى عشية أتلت
لأدمانة من وحش بين سويقية
أرى فيك من خرقاء يا ظبية اللوى
مشابة جنبعت اعتلاق الجبال
أتلت : مدت أعناقها مرعوبة . والحوائل : المتخلفات والتي أقامت على ولدها وخذلت صواحبها . أدمانة : ظبية . الجبال : يعني حبال الرمل . والعفر : الحمر . والسلاسل من الرمل : ما تمقد منه . وقوله : جنبعت في ثالث الأبيات : دعا لها ألا تعلق في حباله الصائد ، ا هـ . الديوان : ٥٧٩ - ٥٨٠ .

(١٤) النحل ١٦ : ٢٦ . والآية : ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ=

حقيقة ، وأنه أرادَ الصَّرحَ الذي بناه (هَامَانُ) لفرعون¹ ، وهو الذي ذكره الله تعالى في قوله : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغَ الْأَسْبَابَ ﴾^(١٥) .

وذهب آخرون إلى أنه كلامٌ خرجَ مخرجَ التَّمثيل والتَّشبيه . ومعناه أن ما بُنِيَ من مَكْرِهِم ورامُوا إثباتَهُ وتَأصيله أبطله الله تعالى وَصَرَفَهُ عليهم ، فكانوا بمنزلة مَنْ بَنَى² بُنياناً يتحصَّن به من المهالك فسقط عليه فقتله ، وشَبَّهوه بقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾^(١٦) . والقولان جميعاً جائزان على مَذهَب³ العرب . ألا تراهُم يقولون : بَنَى فلانٌ شَرَفاً ، وَبَنَى مجداً ؛ وليسَ هناك بُنيانٌ في الحقيقة ؟!

1 . (فرعون) لم ترد في م ، ط .

2 . في « ن » : يعني .

3 . في ط : مذهب .

= عَلَيْهِم السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ . القرطبي ١٠ : ٩٧ (وانظر ٩ : ٢٨١) ذكر أن الفروذ بن كنعان بنى الصرح وحاول الصعود منه مع النسور ، فلما علم أنه لا سبيل له إلى السماء اتخذ حصناً وجمع فيه أهله وولده ليتحصن فيه فألقى الله على البنيان من القواعد .

وفي مجاز القرآن ١ : ٢٥٩ في تفسير الآية : (مجازه مجاز المثل والتشبيه والقواعد الأساس ، وإذا استأصلوا شيئاً قالوا هذا الكلام) وأورد القرطبي التفسيرين اللذين ذكرهما ابن السيد هنا فقال بعد عرض مفصل : قوله تعالى : ﴿ فَأَتَى اللَّهَ ﴾ تمثيل ، والمعنى أهلكتهم فكانوا بمنزلة من سقط عليه بنيانه ، ومثيل أحبط الله أعمالهم فكانوا بمنزلة من سقط بنيانه . وقيل : المعنى أبطل مكرهم وتديبرهم فهلكوا كما هلك من نزل عليه السقف من فوقه .

(١٥) سورة غافر ٤٠ : ٣٦ . (القرطبي ١٥ : ٣١٤) . وانظر القرطبي في تفسير سورة القصص (١٣ : ٢٨٨ - ٢٩١) لتفصيل التفسير .

(١٦) سورة فاطر ٣٥ : ٤٣ . (مجازه : لا ينزل ولا يجاوز ولا يحيط إلا بأهله) مجاز القرآن ٢ : ١٥٦ .

قال عَبْدَةُ بن الطَّبِيب^(١٧) :

فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلُكُهُ هُلُكَ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بَنِيَانُ قَوْمٍ تَهْدَمَا
وَيُشَبِّهُ هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي ذَهَبُوا إِلَيْهِ قَوْلُ ابْنِ أَحْمَرَ^(١٨) :

رَمَانِي بِأَمْرِ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي بَرِيّاً وَمِنْ جَالِ الطُّيُورِ رَمَانِي
وَيُرْوَى : (وَمِنْ جَوْلِ الطُّيُورِ رَمَانِي) . وَالْجَوْلُ وَالْجَوْلُ : نَاحِيَةُ الْبُئْرِ
مِنْ أَسْفَلِهَا [٩ أ] إِلَى أَعْلَاهَا . يَقُولُ^١ : رَمَانِي بِأَمْرِ رَجَعَ عَلَيْهِ مَكْرُوهُهُ ،
فَكَانَ رَمَانِي مِنْ قَعْرِ الْبُئْرِ ، فَرَجَعْتُ رَمِيَّتَهُ عَلَيْهِ فَأَهْلَكَتُهُ !

هَكَذَا رَوَاهُ قَوْمٌ وَفَسَّرُوهُ ؛ وَالْمَعْرُوفُ : وَمِنْ أَجْلِ الطُّيُورِ وَإِنَّمَا كَانَ
يُخَاصِمُهُ فِي بُئْرِ يَدْعِيهَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا . فَقَالَ : رَمَانِي بِأَمْرِ أَنَا وَوَالِدِي

١ . فِي م ، ط : وَمَعْنَاهُ .

٢ . فِي م : جَوْل .

(١٧) عَبْدَةُ بن الطَّبِيب شَاعِرٌ مَخْضَرٌ : أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ فَاسْلَمَ وَشَهِدَ فَتُوحَ فَارِسَ . قَالَ أَبُو عَمْرِو بن
الْعَلَاءِ : هَذَا الْبَيْتُ (وَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلُكُهُ ...) أَرْتَى بَيْتَ قَيْلٍ . وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : (هُوَ
قَائِمٌ بِنَفْسِهِ مَا لَهُ نَظِيرٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَلَا الْإِسْلَامِ) . وَهُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ (فِي مَجْمُوعَةِ أَيْبَاتِ) يَرْتِي
قَيْسَ بنِ عَاصِمٍ . انْظُرِ الْأَغَانِي (ط دَارُ الثَّقَافَةِ) ٢١ : ٢٩ . وَالشَّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ ٢ : ٢٨ .
وَالْبَيْتُ مِنْ شَوَاهِدِ الْكِتَابِ ١ : ٧٧ وَرَوَايَتُهُ عِنْدَ ابْنِ قَتِيْبَةَ : (فَلَمْ يَكْ قَيْسُ) ، وَهُوَ فِي
(الْحَلَلِ فِي شَرْحِ أَيْبَاتِ الْجَمَلِ لابن السَّيِّدِ ص ٨١) (مَخْطُوطَةٌ خَاصَّةٌ) .

(١٨) وَرَدَ الْبَيْتُ فِي شَعْرِ ابْنِ أَحْمَرَ (صَفْحَةُ ١٨٧) الَّذِي جَمَعَهُ وَحَقَّقَهُ الدُّكْتُورُ حُسَيْنُ عَطْوَانُ بَيْنَمَا لَمْ
يَرِدِ الْبَيْتُ التَّالِي . وَيَنْسَبُ الْأَوَّلُ أَيْضاً إِلَى الْأَزْرَقِ بنِ طَرْفَةِ بنِ الْعَمَزْدِ الْفَرَاخِيِّ . وَوَرَدَ
الْبَيْتُ أَيْضاً :

رَمَانِي بِأَمْرِ كُنْتُ فِيهِ وَوَالِدِي بَرِيّاً وَمِنْ جَوْفِ الطُّيُورِ رَمَانِي
وَحَامَ حَوْلَ الشَّيْءِ : دَارٌ ، وَالْحَائِثَةُ : الطَّيْرُ الَّتِي تَحْمِلُ حَوْلَ الْمَاءِ أَيْ تَطُوفُ فَلَا تَجِدُ مَاءً تَرِدُهُ ،
الْوَحْدَانِي : الْمُنْفَرِدُ بِنَفْسِهِ ، وَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى الْوَحْدَةِ : الْإِنْفَرَادِ . زِيَادَةُ الْأَلْفِ وَالنُّونِ
لِلْمُبَالَغَةِ .

بريئان منه ، من أجل ما بيني وبينه من الخصام في الطوي . وعلى هذا يدل الشعر ، لأن قبله :

فَلَمَّا رَأَى سَفِيَانٌ أَنَّهُ قَدْ عَزَلْتُهُ عَنْ الْمَاءِ مَرَّمَى الْحَائِمِ الْوَحْدَانِي^١
ومن هذا النوع قوله عز وجل : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِلتَّزْوُلِ مِنْهُ الْجِبَالِ ﴾^(١٩) .

قوم يرون أن ﴿ الجبال ﴾ ههنا حقيقة^٢ ، وأنه أراد بذلك ما كان من صعود نمروذ بن كنعان في التآبوت نحو السماء ، فلما كثر منحدرًا نحو الأرض ظننته الجبال أمرًا من عند الله فكادت تزول من مواضعها .

وقوم آخرون يقولون : ﴿ الجبال ﴾ ههنا تمثيل لأمر النبي ﷺ أي أنهم مكروا به ليزيلوا الغز^٣ الذي قد رسخ رسوخ الجبال التي لا يستطيع على إزالتها من مواضعها .

والعرب تشبه الشيء الثابت بالجبل الشامخ ، والصخرة الراسية ، ألا ترى إلى قول زهير^(٢٠) :

☆ إلى بادخ يعلو على من يطاوله ☆

١ . في ط : الوجدان .

٢ . في م ، ط : قوم يرون الجبال هنا حقيقة .

٣ . في م ، ط : ليزيلوا أمره الذي .

(١٩) سورة إبراهيم ١٤ : ٤٦ . والآية : ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ . انظر الكشاف ٢ : ٥٦٥ - ٥٦٦ . والقرطبي ٩ : ٣٧٩ .

(٢٠) وقام البيت :

حذيفة ينيه وبدر كلاما إلى بادخ يعلو على من يطاوله
وهو من قصيدته التي مطلعها : (صحا القلب عن سلى وأقصر باطله) والبادخ : العالي ، =

وقال^١ السموءل بن عاديا^(٢١) :

لنا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ^٢ مَنْ نُجَيْرُهُ مَنِيْعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وهو كَلِيلٌ
رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى وَسَمَا بِهِ إِلَى النِّجْمِ قَرْعٌ لَا يُنَالُ طَوِيلٌ
وقال الأعشى^(٢٢) :

كَنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيَفْلِقَهَا قَلَمٌ يَضْرُهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعِلُ
فهذا كلام العرب .

١. في م ، ط : وقوله .

٢. في م : محتله .

= يعني أن شرفه لا يقاوم فمن أراد مطاولته علاه وظهر عليه . ومعنى ينيه : يرفعه ويعليه .
وحذيفة : أبو الممدوح ، وبدر : جده . والممدوح : حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري . من
شرح الأعم الشنكري على ديوان زهير : ٣٢ . وانظر تفصيل المناسبة في شرح ديوان زهير
لثعلب : ١٢٤ .

(٢١) البيتان من قصيدة صحيحة النسبة إلى عبد الملك بن عبد الرحم الحارثي ؛ قال المرزوقي بصيغة
التبريز : ويقال إنها للسموئل بن عاديا اليهودي . (شرح ديوان الحماسة ١ : ١١٠ - ١٢٤) ؛
وانظر : معاهد التنصيص ١ : ٣٨٢ - ٣٨٣ ، الأمالي ١ : ٢٦٩ . وللسموئل ترجمة في الأغاني
(ط دار الثقافة) ٢٢ : ١٠٨ ، وطبقات فحول الشعراء : ٢٢٥ - ٢٣٧ . وله ترجمة في معاهد
التنصيص ١ : ٣٨٨ .

(أراد بذكر الجبل : العز والتسمو . والطرف : النظر والعين . يقول : لنا جبل عز يدخله من
ندخله في جوارنا ممتنع على طالبه يرُدُّ لإشرافه وسموقه طرف الناظر إليه وهو حسير .
ويقول : عزنا أصله تحت الأرض السابعة وفرعه عند النجم) . الحماسة ١ : ١١٣ - ١١٤ .

(٢٢) ديوان الأعشى : ٦١ وقبل هذا البيت :

لَأَعْرِفَنَّكَ إِنْ جَدَّ النِّفِيرُ بِنَا وشبت الحربُ بالطَّوَّافِ واحتملوا
يقول : (ما أنت حين ينفر الناس للقتال وتشب الحرب فينتشر المقاتلون كالطوفان يحملون
السبايا والأسلاب إلا كوعل أحق ينطح صخرة ليفلقها فلا يضرها وإنما يوهي قرنه) . شرح
الديوان للدكتور م . محمد حسين .

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسَ التَّقْوَى ﴾^(٢٣) . ومعلوم أن الله تعالى لم يُنزل مِنَ السَّمَاءِ ملابسَ تُلْبَسُ ، وإنما تأويله - والله أعلم - أنه أنزل المطرَ فنبتَ عنه النَّباتُ ، ثم رَعَتْهُ الْبَهَائِمُ ، فصَارَ صُوفًا وشِعْرًا ووَبْرًا على أبدانها ؛ ونبتَ عنه القُطنُ والكتَّانُ ، فاتَّخِذَتْ مِنْ ذَلِكَ أَصْنَافُ الْمَلَابِيسِ ، فَسُمِّيَ الْمَطَرُ لِبَاسًا^١ إِذْ كَانَ سَبَبًا لِذَلِكَ^٢ ، على مذهب العربِ في تسمية الشَّيءِ باسمِ الشَّيءِ إِذَا كَانَ مِنْهُ سَبَبٌ . وهذا يُسَمِّيهِ أَصْحَابُ الْمُعَانِي : التَّدْرِيجَ .

ونحوه قولهم للمطر : سماء ، لأنه ينزلُ مِنَ السَّمَاءِ . وللنبتِ ندى ، لأنه عن الندى يكون ، وللشَّحمِ ندى لأنه عن النَّبتِ يكون^(٢٤) .

قال ابن أحرر^(٢٥) [٩ ب] :

كَثُورِ الْعَدَابِ الْفَرْدِ يَضْرِبُهُ النَّدَى تَعَلَّى النَّدَى فِي مَتْنِهِ وَتَحَدَّرَا

١ . في م : فنسمي المطر لباس .

٢ . في م ، ط : سبب ذلك .

(٢٣) سورة الأعراف ٧ : ٢٦ . والآية : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسَ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴾ . انظر القرطبي ٧ : ١٨٢ - ١٨٤ . (ونقل تأويل ابن السيد) .

(٢٤) وانظر لتفصيل القضية ، مثلاً ، أسرار البلاغة : ٣٤٤ فما بعدها .

(٢٥) البيت في مجموع شعره ٨٤ وقبله :

فَزِعَتْ إِلَى الْقَصَواءِ وَهِيَ مُعَدَّةٌ لَأَمْثَالِهَا عِنْدِي إِذَا كُنْتُ أَوْجَرَا
القصواء : ناقته . والأوَجَر : الخائف المذعور . والعذاب : المستدق من الرمل حيث يذهب معظمه ويبقى شيء من لينه قبل أن ينقطع . الفرد : المنفرد . الندى الأول : الغيث والمطر ، والندى الثاني : الشحم لأنه يكون من النَّبتِ وقوله : (تعلَّى الندى في متنه =

فالنّدى الأول : المطر ، والنّدى الثاني : الشحم^١ .

وقال معاوية بن مالك ، معوّد الحكماء^(٢٦) :

إذا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابَا
ونحوه قولُ الرَّاجِزِ^(٢٧) :

الحمدُ لله العَزِيزِ المَنَّانُ صارَ الثَّرِيدُ في رؤوسِ العِيدَانِ
يريد السُّنْبِلَ .

ومن هذا الباب قوله ﷺ : « يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا ثَلَاثَ

١ . لم ترد العبارة في م ، ط .

= وتحدّر) أي ملأ الشحم ظهره وانتشر على جانبيه . شبه ناقته بثور وحشي في نشاطها وقوتها وسرعتها . وقال ابن فارس في الصحاحي : وربما سمو الشحم ندى لأن الشحم من التبت والتبت من الندى وأورد بيت ابن أحرص ٦٣ .

(٢٦) البيت لمعاوية بن مالك ، من مفضلية له (المفضليات : ٣٥٩) . ورواية البيت فيه : إذا نزل السحاب ، وهو كرواية ابن السيد في المظان الأخرى : اللسان : ١٩ ، ١٢٣ ، الأمالي : ١ : ١٨١ ، سبط اللآلي : ١ : ٤٤٨ ، الاقتضاب : ٣٢٠ ، وفي معاهد التنصيص : إذا نزل السماء ٢ : ٢٦٠ - ٢٦١ ، وفي الإيضاح : إذا نزل السماء . وسمي معوّد الحكماء لبيت قاله في القصيدة نفسها (المفضليات : ٣٥٨) .

(٢٧) الرجز لصعصعة بن مجير الهلالي . (كنايات الجرجاني : ١٢٥) وفيه : رؤوس القضبَان ، قال ثعلب : أراد أن السنبِل قد أفرك .

ونقل ابن نباتة في (مطلع الفوائد ومجمع الفرائد) الورقة ١٠١ في باب عقده للأوصاف : (أن أعرايياً وقف على حلقة ثعلب فسأله عن قول صعصعة الهلالي :

الحمدُ لله الحميد المَنَّان صارَ الثريدُ في رؤوسِ العِيدَانِ
فالتفت ثعلب إلى الحاضرين فقال : فيكم من يعرف معنى هذا ؟ فقالوا : لا ، فقال الأعرايي : ولا أنت ؟ فقال : أراد أن السنبِل قد أفرك ، فقال : صدقت . وهذه من ألطف الكنايات وأبدعها ؛ يَعْنِي أن القمح الذي يعمل منه الثريد قد صار في رؤوس قضبَان زرعهِ . وأقام اسمه مقامه على عادتهم المعروفة في ذلك) .

اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ : هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأَعْطِيَهُ ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ ؟ « (٢٨) .

جَعَلَتْهُ الْمَجَسَّمَةُ نَزُولًا عَلَى الْحَقِيقَةِ ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ^١ عُلُوًّا كَبِيرًا .

وَقَدْ أَجْمَعَ الْعَارِفُونَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^٢ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْتَقِلُ ، لِأَنَّ الْإِنْتِقَالَ مِنْ صِفَاتِ الْمُحْدَثَاتِ .

وَلِهَذَا الْحَدِيثِ تَأْوِيلَانِ صَحِيحَانِ لَا يَقْتَضِيَانِ شَيْئًا مِنَ التَّشْبِيهِ :

أَحَدُهُمَا : أَشَارَ إِلَيْهِ مَالِكٌ^٣ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَقَدْ سُئِلَ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ : (يَنْزِلُ أَمْرُهُ كُلُّ^٤ سَحَرٍ ، فَأَمَّا هُوَ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ دَائِمٌ لَا يَزُولُ ، وَلَا يَنْتَقِلُ سُبْحَانَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ^٥) . وَسُئِلَ عَنْهُ الْأَوْزَاعِيُّ فَقَالَ : (يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) وَهَذَا تَلْوِيحٌ يَحْتَاجُ إِلَى تَصْرِيحٍ ، وَخَفِيُّ إِشَارَةٍ يَحْتَاجُ إِلَى تَبْيِينٍ^٦ عِبَارَةٍ .

وَحَقِيقَةُ الَّذِي ذَهَبَا إِلَيْهِ ، رَحِمَهُمَا اللَّهُ ، أَنَّ الْعَرَبَ تَنْسِبُ الْفِعْلَ إِلَى مَنْ أَمَرَ بِهِ كَمَا تَنْسِبُهُ إِلَى مَنْ فَعَلَهُ وَبَاشَرَهُ بِنَفْسِهِ ؛ فَيَقُولُونَ : كَتَبَ الْأَمِيرُ

١ . فِي م ، ط : الْجَاهِلُونَ .

٢ . فِي م ، ط : تَعَالَى .

٣ . فِي م ، ط : مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

٤ . فِي م ، ط : فِي كُلِّ سَحَرٍ .

٥ . لَمْ تَرُدَّ الْعِبَارَةُ فِي م ، ط .

٦ . فِي م ، ط : بَيْنَ عِبَارَةٍ .

(٢٨) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالدَّارِمِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَمَالِكٌ ، وَالْأَفَافِظُ الْحَدِيثِ مُتَقَارِبَةٌ . مُسْلِمٌ : ٥٢٢ - ٥٢٣ ، ابْنُ مَاجَةَ : ١ : ٤٣٥ ، الْمُوطَأُ : ١ : ٢١٤ ، سَنَنُ الدَّارِمِيِّ : ١ : ٣٤٦ ، الْبُخَارِيُّ : ٨ : ١٩٧ .

لِفِلَانٍ كِتَاباً ، وَقَطَعَ الْأَمِيرُ يَدَ اللَّصِّ ، وَضَرَبَ السُّلْطَانُ فِلَاناً^١ ؛ وَلَمْ يَبَاشِرْ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ ، إِنَّمَا أَمَرَ بِذَلِكَ . وَلِأَجْلِ هَذَا احْتِيجَ إِلَى التَّأْكِيدِ الْمَوْضُوعِ فِي الْكَلَامِ ، فَقِيلَ : (جَاءَ زَيْدٌ نَفْسَهُ ، وَرَأَيْتَ زَيْدًا نَفْسَهُ) .

فَعِنَاءٌ - عَلَى هَذَا - أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْمُرُ مَلَكًا بِالنُّزُولِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُنَادِي بِأَمْرِهِ .

وَقَدْ تَقُولُ الْعَرَبُ : جَاءَ فُلَانٌ ؛ إِذَا جَاءَ كِتَابُهُ أَوْ وَصِيَّتُهُ^٢ . وَيَقُولُونَ لِلرَّجُلِ : أَنْتَ ضَرَبْتَ زَيْدًا - وَهُوَ لَمْ يَضْرِبْهُ - إِذَا كَانَ قَدْ رَضِيَ بِذَلِكَ وَشَإَيْعَ عَلَيْهِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٢٩) وَالْمُخَاطَبُونَ بِهَا لَمْ يَقْتُلُوا نَبِيًّا ، وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا رَضُوا بِذَلِكَ ، وَتَوَلَّوْا قَتْلَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَشَإَيْعُوهُمْ عَلَى فَعْلِهِمْ نُسِبَ الْفَعْلُ إِلَيْهِمْ ، وَإِنْ كَانُوا لَمْ يَبَاشِرُوهُ . وَعَلَى هَذَا يَتَأَوَّلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ﴾^(٣٠) .

فَهَذَا تَأْوِيلٌ - كَمَا تَرَاهُ - صَحِيحٌ جَارٍ عَلَى فَصِيحِ كَلَامِ الْعَرَبِ فِي مُحَاوَرَاتِهَا ، وَالْمُتَعَارَفِ مِنْ أَسَالِيْبِهَا وَمُخَاطَبَاتِهَا ، وَهُوَ شَرْحُ [١٠ أ] مَا أَرَادَهُ مَالِكٌ وَالْأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ . وَمَا يَقْوِي هَذَا التَّأْوِيلَ وَيَشْهَدُ

١ . فِي م ، ط : فَلَانًا أَلْفَ سُوْطَ ، وَهُوَ لَمْ يَبَاشِرْ . - فِي م ، ط : أَمْرٌ بِهِ .

٢ . فِي م ، ط : أَوْ وَصِيَّتِهِ .

(٢٩) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٢ : ٩١ . وَالْآيَةُ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَنَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . وَانْظُرْ مَا أَوْرَدَهُ الْقُرْطُبِيُّ ٢ : ٣٠ مِنْ تَفْسِيرِ فِي الْآيَةِ .

(٣٠) سُورَةُ النَّحْلِ ١٦ : ٢٦ .

بصَحَّتِه أَنْ بعضَ أهل الحديثِ رَوَاهُ : « يَنْزِلُ » - بِضم الياء - وهذا واضحٌ .

والتأويلُ الثاني : أن العَرَب تستعملُ النُّزولَ على وجهين : أحدهما حقيقة ، والآخر مجازاً واستعارة .

فأما الحقيقةُ فأنحدارُ الشيء من علُو إلى سُفل¹ كقوله تعالى : ﴿ وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ﴾^(٣١) .

وكقول امرئ القيس^(٣٢) :

هو المنزل الألف من جوٍّ ناعِطٍ بني أسدٍ حَزناً مِنَ الأرضِ أوعرا
وأما الاستعارةُ والمجازُ فعلى أربعة أوجه :

أحدها : الإقبالُ على الشيء بعد الإعراض عنه² ، والمقاربةُ بعد المباعدة ؛ يقال : نزلَ البائعُ في سلعته ، إذا قاربَ المشتري فيها بعد

1 . في ط : أسفل .

2 . (عنه) لم ترد في « ن » .

(٣١) سورة النور ٢٤ : ٤٣ . الآية : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيُضْرِبُهُ عَنْ مَتْنٍ يَشَاءُ يَكَادَ سَنَآ يَرْفِقَهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ . وانظر القرطبي ١٢ : ٢٨٧ .

(٣٢) ديوان امرئ القيس بشرح الأعلام الشنتري : ٦٥ . وفيه : (يفخر امرؤ القيس على بني أسد ويخونهم منه ، وناعط : حصن بأرض همدان . وجو : أرض باليامة . وقوله : حزنأ من الأرض ، أي عليكم يا بني أسد بالنزول بما غلظ من الأرض وخشن والتحصن بالجبال . وهذا وعيد منه واستطالة) .

مباعدته ، وأمكنه منها بعد منعه ، ويقال : نزل فلان عن أهله ، أي¹
تركها وأقبل على غيرها . ومنه قول الشاعر^(٢٣) :

أَنْزَلَنِي الدَّهْرُ عَلَى حِكْمِهِ مِنْ شَاهِقٍ عَالٍ إِلَى خَفْضٍ
أَيَّ جَعَلَنِي أَقْرَبُ مَنْ كُنْتُ أَبَاعِدُهُ ، وَأَقْبَلَ عَلَى مَنْ كُنْتُ أُعْرِضُ
عنه .

فيكون معنى الحديث على هذا : أن العبد في هذا الوقت أقرب إلى
رحمة الله منه في غيره من الأوقات ، وأن البارئ سبحانه وتعالى يُقبل على
عباده بالتحنُّن والتعطُّف² في هذا الوقت لما يُلقيه في قلوبهم من التنبيه
والتذكير الباعثين لهم على الطاعة والجِدِّ في العمل . فهذا تأويل أيضاً
ممكّن صحيح .

فأما³ الأقسامُ الباقية من معنى النزول فلا مدخل لها في هذا الحديث
وإنما نذكرها لتوفية معنى النزول ، ولأنها مما يُحتاج إليه في غير هذا
الحديث .

فنها ما يراد به ترتيب الأشياء ووضعها مواضعها اللائقة بها كقوله

1 . في م ، ط : إذا تركها .

2 . في م ، ط : العطف ... بها .

3 . في م ، ط : وأما .

(٢٣) البيت من حماسية في شرح المزدوقي ١ : ٢٨٥ لخطاب بن المعلى . واسمه في شرح التبريزي :
حطان بن المعلى .

وروايته في الحماسة : (من شامخ عال ...) . قال المزدوقي في شرحه : يريد الشاعر أن الدهر
أجرى حكمه عليه ، وأنزله عن رتبة عالية إلى منزلة منخفضة . قال : والخفض ضد الرفع ،
وهو مصدر وضع موضع المفعول : يريد إلى مكان منخفض .

تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾^(٣٤) أي رتّبناه مراتبة ووضعناه مواضعة .
ومن ذلك قولهم : نَزَلَ فلانٌ عند الملك منزلةً حسنةً أو منزلةً^١ قبيحةً .
ومنه قولُ الشاعر^(٣٥) :

أَنْزَلُوهَا بِحَيْثُ أَنْزَلَهَا اللَّهُ بِدَارِ الْمَوَانِ وَالْإِتْعَاسِ !
ومنها ما يُرادُ به الإعلامُ والقولُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ
مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾^(٣٦) أي أقولُ مثلاً ما قالَ اللهُ ، وأُعلمُ بمثل ما أعلمُ .

ومن هذا إنزالُ الوحي إننا معناهُ أن جبريلَ ﷺ تلقاهُ عن الله
سبحانه وتعالى ، وأدّاهُ إلى محمدٍ ﷺ وهو^٢ راجعٌ إلى معنى الإقبالِ الذي
قَدَّمناه .

ومنها ما يُرادُ به الانحطاطُ من^٣ المرتبةِ ، والذلةُ ، كقولهم : نَزَلْتُ
منزلةً فلانٍ عند الملك ، أي انحطت .

١ . كلمة (منزلة) لم ترد في م ، ط .

٢ . في م ، ط : وهذا .

٣ . في م ، ط : عن .

(٣٤) سورة الإسراء ١٧ : ١٠٦ . والآية : ﴿ وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ
تَنْزِيلًا ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ مبالغة وتأكيد بالمصدر للمعنى المتقدم ، أي
أنزلناه نجماً بعد نجم ولو أخذوا بجميع الفرائض في وقت واحد لنفروا . القرطبي ١٠ : ٣٤٠ .

(٣٥) البيت من قصيدة في الأغاني ٤ : ٤٣٥ . في ترجمة سديف بن ميمون مولى أبي العباس السفاح .
ونسبها ابن عبد ربّه في العقد ٤ : ٤٨٦ والمبرد في الكامل ٤ : ٨ إلى شبل بن عبد الله . وبعض
القصيدة في معجم البلدان ٥ : ٥٣٢ منسوبة إلى سديف وفي عيون الأخبار ١ : ٢٠٧ غير
معزوة . والقصيدة في تحريض بني العباس على من تبقى من بني أمية وقبل البيت :
لَا تُقِيلَنَّ عَبْدَ شَمْسٍ عِثَارًا وَأَقْطَعَنَّ كُلَّ رَقْلَةٍ وَغِرَاسٍ
والرقلة : النخلة الطويلة التي تفوت اليد .

(٣٦) سورة الأنعام ٦ : ١٣ . والآية : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ=

ويجوز¹ أن يكون قوله :

(أنزلي الدهر على حكمه)

من [١٠ ب] هذا المعنى .

وقد تستعمل العرب النزول في النماء والزيادة وهو ضد ما ذكرناه قبل هذا ، فيقولون : طعام له نزل أي بركة ونماء ، وأرض نزلة إذا كانت كثيرة الكلا ، وتركت القوم على نزلاتهم إذا كانوا في خصب وحسن حال .

وقد يستعملونه أيضاً على معنى آخر ؛ يقولون : نزل القوم ، إذا أتوا منى . ويُقال لمنى : المنازل .

قال الشاعر :

أنزلة يا أسم أم غير نازلة ؟ أيبني لنا يا أسم ما أنت فاعله^(٣٧)
فجميع مواضع هذه الكلمة سبعة ، فهذه وجوه النزول في كلام العرب^(٣٨) .

ومما غلطت فيه المجسمة أيضاً قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ

1 . في ط : ولا يجوز ؛ وهو سهو من الناسخ ، لأنه يفسد المعنى .

= وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلَ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٠﴾ . وانظر الكشاف ٢ : ٤٥ - ٤٦ .

(٣٧) البيت لعامر بن الطفيل (اللسان : نزل ١٤ : ١٨١) وفيه : (أنزلة أسماء ...) .

(٣٨) انظر في هذا المبحث كتاب (شرح حديث النزول) لشيخ الإسلام ابن تيمية ط : المكتب الإسلامي - دمشق ١٩٦٩ .

والأرض ﴿٣٩﴾ فتوهّموا أَنَّ رَبَّهُمْ نورٌ^(٤٠) ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قولِ الجاهِلينَ
عُلُوًّا كَبِيرًا . وإِنَّا الْمُعْنَى : اللَّهُ هَادِي^١ أَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ^(٤١) .
والعربُ تُسمِّي كلَّ ما جَلَّى^٢ الشُّبُهَاتِ وَأَزَالَ الِالتِّبَاسَ وَأَوْضَحَ الحَقَّ نُورًا ،
قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾^(٤٢) يَعْنِي الْقُرْآنَ . وعلى هذا
المعنى سَمِيَ نَبِيهِ ﷺ : ﴿ سِرَاجًا مُنِيرًا ﴾^(٤٣) ٣ .

وقال^٤ العباسُ بنُ عَبْدِ المطلبِ^(٤٤) يمدحُ النبي ﷺ :
وَأَنْتَ لَمَّا ظَهَرْتَ أَشْرَقْتَ الْأَرْضَ وَضَاءَتْ بِنُورِكَ الْأَفْقُ
وعلى هذا مجرى كلام العرب .

١. في م ، ط : المعنى هادي .

٢. في م ، ط : ما جلا (بالتخفيف) .

٣. في ط : زيادة ، فقال عز من قائل : ﴿ وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾ .

٤. في « ن » : وقول .

(٣٩) سورة النور ٢٤ : ٢٥ . الآية : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْلَاكِ فِيهَا مِصْبَاحٌ
المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيُّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مَبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا
غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ
اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

(٤٠) نقل القرطبي في تفسيره مقالة بعضهم في هذا (الجامع لأحكام القرآن ١٢ : ٢٥٦) .

(٤١) نقل القرطبي العبارة بتمامها وقال : إنها تفسير ابن عباس وأنس (١٢ : ٢٥٧) .

(٤٢) سورة النساء ٤ : ١٧٤ . والآية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ
نُورًا مُبِينًا ﴾ . وانظر القرطبي ٦ : ٢٧ .

(٤٣) سورة الأحزاب ٣٣ : ٤٥ . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا
[٤٥] وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا [٤٦] ﴾ . وفي وجوه تفسير الآية : (وقيل :

وسراجاً ؛ أي هادياً من ظلم الضلالة ؛ وأنت كاللمصباح المضيء) . القرطبي ١٤ : ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٤٤) البيت في شرح شواهد أدب الكتاب لابن السيد البطليوسي : ٤٠٢ ، والسيرة لابن كثير

قال امرؤ القيس^(٤٥) بن حجر الكندي^١ :

أقرّ حشاً امرئ القيس بن حجرٍ بنو تيمٍ مصاييح الظلام
وقال^(٤٦) النابغة الذبياني^٢ :

لا يبعد الله جيراناً تركتهم مثل المصاييح تجلّو ليلة الظلم
وقال^٣ آخر^(٤٧) :

من تلق منهم تقلّ لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري

١. في م ، ط : قال امرؤ القيس .

٢. في م ، ط : وقال النابغة .

٣. في م ، ط : وقال الآخر .

(٤٥) من أبيات يمدح بها المعلّى أحد بني تيم ، وكان أجاره ، والنذر بن ماء السماء يطلبه ، فنعته ، ووفى له . قال الأعمى الشنقري : (وقوله مصاييح الظلام : يعني أنهم كالسرج في الظلام لحسنهم وجاهلهم وشهرة كرمهم وفضلهم . ويكون أيضاً أنهم يكشفون الأمور المبهمة ويبينونها بصحة رأيهم وعقولهم كما تجلّو المصاييح الظلام وتكشفه) . شرح الديوان : ١٤١ طبعة دار المعارف .

(٤٦) شرح ديوان النابغة لأبي بكر عاصم بن أيوب البطلوسي : ٧٤ . وفيه : يريد أنهم يستضاء بأرائهم في المشكلات كما يستضاء بالمصباح في الظلام (وانظر المخطوطة بشرح الأعمى) قال أبو بكر : ويحتمل أن يكون شبههم بالمصاييح في حسن وجوههم .

(٤٧) البيت من حاسية للعرندس (أحد بني بكر بن كلاب) شرح المرزوقي ٤ : ١٥٩٥ . قال في شرح البيت : (... وهم في الاشتهار والتميز عن الطوائف كالنجوم المعروفة النيرة التي يهدي بها السابلة والمارة ..) . وانظر بعضها في الحيوان ٢ : ٨٩ ولم ينسبها والقصيدة في الكامل : ١ : ٧٨ - ٧٩ لعبيد بن العرنس ، ومنها في معجم ما استعجم ٣ : ٨٦٢ - ٨٦٣ لعقيل بن العرنس ، والأمازي ١ : ٢٣٢ للعرندس ، والمرزباني في المعجم : ١٧٣ وأخذ ما في الحاسية ، وديوان المعاني ١ : ٤١ غير منسوب . وانظر موضوع نسبة الأبيات في التنبيه للبكري : ٧٢ - ٧٣ .

وقال النبي ﷺ : « أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بَأْيِهِمْ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ »^(٤٨) .
 وَلَوْ مُنَحَّتِ الْمَجَسَّمَةُ طَرَفًا مِنَ التَّوْفِيقِ وَتَأَمَّلْتَ الْآيَةَ بَعَيْنَ التَّحْقِيقِ
 لَوَجَدْتَ فِيهَا مَا يَبْطُلُ دَعْوَاهُمْ دُونَ تَكْلِيفِ تَأْوِيلٍ وَمِنْ غَيْرِ طَلَبِ دَلِيلٍ
 لِأَنَّهُ قَالَ تَعَالَى فِي عَقَبِ^٢ الْآيَةِ : ﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ
 شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ، فَأَخْبَرَنَا أَنَّ مَا ذَكَرَهُ فِي الْآيَةِ الْعَزِيزَةِ مِنَ النُّورِ وَالْمَشْكَاتِ
 وَالْمِصْبَاحِ وَالزُّجَاجَةِ وَالزَّيْتُونَةِ وَالشَّجَرَةِ أَمْثَالٌ مُضْرُوبَةٌ^(٤٩) يَعْقِلُهَا عَنِ اللَّهِ
 تَعَالَى مَنْ وَفَّقَ لِفَهْمِهَا ، وَكُشِفَتْ لَهُ الْحُجُبُ عَنْ مَكْنُونِ سِرِّهَا ، وَعِلْمِهَا ،
 كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا
 الْعَالِمُونَ ﴾^(٥٠) .

فإن قلت : كيف وقع^٣ هذا التمثيل وما المراد به ؟

فالجواب أنه شبه صدر المؤمن بالمشكاة ، وقلبه [١١ أ] بالزجاج ،
 ونور الهدى الذي يضعه في قلبه بالمصباح ؛ وشبه مادة الهدى المنبعثة من
 قبل الرسول ﷺ التي تزيد في بصائر المؤمنين ، وتحفظ نور الإيمان
 عليهم ، وتمنعه من أن يغلب عليه الشك فيطمسه بمادة الزيت التي تمدُّ

١. في ط : وقال ﷺ .

٢. في ط : قال الله تعالى بعقب الآية .

٣. في ط : فكيف يقع .

(٤٨) رواه البيهقي ، وأسنده الديلمي عن ابن عباس بلفظ : « أصحابي بمنزلة النجوم في السماء بأبهم
 اقتديتم اهتديتم » . كشف الخفا ١ : ١٣٢ .

(٤٩) وانظر ما قاله ابن نايقا البغدادي في كتاب الجمان في تشبيهات القرآن : ١٤٤ - ١٤٩ . طبعة
 وزارة الأوقاف بالكويت بتحقيقنا .

(٥٠) سورة العنكبوت ٢٩ : ٤٣ .

المصباح لئلاً يُطْفَأَ نوره . وشبه النبي ﷺ بالزيتونة ، إذ كان الهدى إنما
يَنْبَعِثُ من قبله كانبعاث الزيت من الزيتون¹ وجعل الزيتون لا شرقية
ولا غربية لأن ظهوره ومبعثه ﷺ إنما كان بمكة ، ومكة متوسطة بين
المشرق والمغرب .

فهذا كلام كما ترى قد خرج على أحسن مخرج الكلام ، وتشبيه جاء²
على أبدع وجوه التشبيه ، فهذا ونحوه من الحقيقة والمجاز العارضين في
موضوع الكلمة .

وأما الحقيقة والمجاز العارضان فيها من قبل أحوالها فإنهما كثيران أيضاً
ككثرة النوع الأول ؛ فمن ذلك قولهم : (مات زيد) فيرفعونه كما
يرفعون قولهم : أمات الله زيدا . وأحدهما حقيقة والآخر مجاز . ومنه
قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ ﴾^(٥١) والأمر لا يعزم إنما يعزم عليه .
قال النابغة^(٥٢) :

... وإن الدين قد عزم³

1 . في ط : من الزيتون .

2 . كلمة (جاء) لم ترد في ن .

3 . في « ن » : فإن الدين .

(٥١) سورة محمد ﷺ ٤٧ - سورة القتال - : ٢١ . والآية : ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ
فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ .

(٥٢) هذا جزء من بيت له ، وقامه :

حيّاك ربّي فإنّا لا يحلّ لنا لهو النساء وإنّ الدّين قد عزمنا
قال أبو بكر البطلاني : (الدين ههنا الحج ، لما تعرضت له هذه المرأة قال لها : لا يحلّ لنا
اللهو بك لأننا حجاج قد عزمنا عليه ، أي على الحج) . انظر ص (٦٦) .

وتقول¹ : أعطى ثوباً زيداً ، وإنا الوجه : أعطى زيداً ثوباً ، لأن زيداً هو الآخذ للثوب والمتناول له . و : ولد له ستون عاماً ، والمعنى ولد له الأولاد في ستين عاماً . ونحوه قوله عز وجل² : ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾^(٥٣) وإنا المراد : بل مكرهم في الليل والنهار³ ، وأنشد سيبويه^(٥٤) :

أما النهار ففي قيد وسلسلة والليل في بطن منحوت من الساج
وتقول العرب : نهارك صائم وليلك قائم . وقال^(٥٥) آخر⁴ :

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى وغت وما ليل المطي بنسائم

1. في م ، ط : ويقولون .

2. في م ، ط : قوله تعالى .

3. العبارة لم ترد في (م) . وفي ط : والمراد .

4. في م ، ط : وقال جرير .

(٥٣) سورة سبأ ٣٤ : ٣٣ . والآية : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَتَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يَجْزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

(٥٤) البيت في شرح شواهد كتاب سيبويه للأعلم الشنتمري ١ : ٨٠ وقد قال : (الشاهد في إخباره عن النهار بكونه في سلسلة . وعن الليل باستقراره في جوف منحوت اتساعاً ومجازاً . وصف عجباً يقيد بالنهار ويغل في سلسلة ويوضع بالليل في خشبة منحوتة والنحت حفر في خشبة أو حجر ، والساج شجر معروف من شجر الهند) .

(٥٥) البيت من قصيدة لجرير يرد بها على الفرزدق (الديوان : ٥٥٤) . وأم غيلان : ابنته . وجاء في شرح الأعلام على شواهد الكتاب ١ : ٨٠ : (الشاهد في الإخبار عن الليل بالنوم اتساعاً ومجازاً والمعنى وما المطي بنائم في الليل . وصف أنه عدل في إدمان ومواصلة سرى الليل فقال : يلومنا في ذلك من ينام عنه ونصلى شدته دونه لما نرجو من الفائدة في غبه فلا نصغي إلى لومه فيه وعذله) .

وقال حميد بن ثور الهلالي^(٥٦) :

ومَطْوِيَّةِ الأَقْرَابِ أَمَّا نَهَارُهَا فَسَبْتُ ، وَأَمَّا لَيْلُهَا فَذَمِيلُ
وأما المجازُ والحقيقة^١ العارضانِ من طريق التركيبِ وبناءِ بعضِ
الألفاظِ عَلَى بعضِ ، فنحوُ الأمرِ يَرُدُّ بصيغةِ الخبرِ ، والخبرِ يَرُدُّ بصيغةِ
الأمرِ ، والإيجابِ يَرُدُّ بصيغةِ النَّفْيِ ، والنَّفْيِ يَرُدُّ بصيغةِ الإيجابِ ،
والواجبِ يَرُدُّ بصيغةِ المُمكنِ وَالْمَمْتَنِعِ^٢ ، والممكنِ والممتنعِ يردانِ بصيغةِ
الواجبِ ، والمدحِ يردُ بصورةِ^٣ الذَّمِّ ، [١١ ب] والذم يردُ بصورةِ^٤
المَدْحِ ، والتقليل يردُ بصورةِ^٤ التَّكْثِيرِ ، والتكثير يَرُدُّ بصورةِ^٤ التَّقْلِيلِ ،
ونحو ذلك من أساليبِ الكلامِ التي لا يقفُ عليها إلا مَنْ تَحَقَّقَ بعلمٍ من
اللُّسَانِ^٥ .

وكلُّ نوعٍ من هذهِ يقصدُ^٦ بهِ غَرَضٌ مِنْ أغراضِ البيانِ . ونحنُ نذكرُ
من كلِّ نوعٍ من هذهِ الأنواعِ أمثلةً تشهدُ بصحةِ مَا قُلْنَاهُ لِيَحْتَدَى فيما لم
نذكره على ما ذكرناه ، إن شاء الله تعالى .

١ . في ط : الحقيقة والمجاز .

٢ . في م ، ط : أو الممتنع .

٣ . في م ، ط : بصيغة .

٤ . في م ، ط : بصيغة .

٥ . في م ، ط : بعلم اللسان .

٦ . في م ، ط : مقصود به .

(٥٦) البيت ثاني ثلاثة أبيات (الديوان : ١١٦) . قال أبو الفرج : وفد حميد بن ثور على بعض

خلفاء بني أمية فقال له : ما جاء بك . فقال :

أَتَاكَ بِإِلَهِ الَّذِي فَوْقَ مَنْ تَرَى وَخَيْرٌ وَمَعْرُوفٌ عَلَيَّكَ ذَلِكَ لُـ

ومطوية ... الأبيات ، الأقرب : ج قرب وهو الحاصرة . والسبت : السير السريع ، الذميل :

السير اللين . والأغاني ٤ : ٣٥٧ - ٣٥٨ .

أَمَّا الْأَمْرُ الْوَارِدُ بِصِيغَةِ الْخَبَرِ فَكَقُولُهُمْ¹ : (حَسْبُكَ دِرْهَمٌ) ، فَإِنْ صِيغَةُ² الْكَلَامِ كَصِيغَةِ قَوْلِكَ : (أَخُوكَ مُنْطَلِقٌ) ، وَ (أَبُوكَ زَيْدٌ) وَمَعْنَاهُ مَعْنَى الْأَمْرِ ؛ لِأَن تَقْدِيرَهُ : لِيَكْفِكَ دِرْهَمٌ ، أَوْ اكْتَفَى بِدِرْهَمٍ .
 قَالَ أَمْرُ الْقَيْسِ^(٥٧) :

☆ وَحَسْبُكَ مِنْ غِنَى شَيْعٍ وَرِيٌّ ☆

وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُمْ فِي الدُّعَاءِ : (عَفَرَ اللَّهُ لَزِيدٍ ، وَرَحِمَكَ اللَّهُ ، وَسَلَامٌ عَلَيْكَ) . وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾^(٥٨) وَإِنَّمَا الْمَعْنَى : لِتَرْضِعِ الْوَالِدَاتُ أَوْلَادَهُنَّ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَخْبِرْنَا وَإِنَّمَا أَمَرْنَا .

وَأَمَّا الْخَبَرُ الْوَارِدُ بِصِيغَةِ الْأَمْرِ فَكَقُولُهُمْ فِي التَّعَجُّبِ : (أَحْسِنُ

١ . فِي ط : فَكَقُولُكَ .

٢ . فِي م ، ط : صِيغَةُ هَذَا الْكَلَامِ .

(٥٧) عَجَزَ بَيْتٌ لَهُ وَتَمَامُهُ :

فَتَوَسَّعَ أَهْلُهَا أَقْطَبًا وَشَمْلًا وَحَسْبُكَ مِنْ غِنَى شَيْعٍ وَرِيٍّ
 وَالْبَيْتُ مِنْ قِطْعَةٍ مَشْهُورَةٍ . (انْظُرِ الدِّيَّانَ بِشَرْحِ الْأَعْلَمِ : ١٣٦) .

(٥٨) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٢ : ٢٣٣ . الْآيَةُ : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْفِثَ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعُهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ . الْقُرْطُبِيُّ ٣ : ١٦١ . قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَرْضِعْنَ ﴾ خَبَرٌ مَعْنَاهُ الْأَمْرُ عَلَى الْوُجُوبِ لِبَعْضِ الْوَالِدَاتِ وَعَلَى جِهَةِ النَّدْبِ لِبَعْضِهِنَّ ...
 (وَانْظُرْ تَبَتُّ الْكَلَامِ ٣ : ١٦٠ ..) .

بزيد) ، فإن صيغته صيغة¹ قولك : (أحسن إلى زيد) . وأحدهما خبر
والآخر أمر ، لأن معنى أحسن بزيد : ما أحسن زيدا ، فإنما أنت مخبر لا
أمر . ومكان الباء وما عملت فيه رفع ، ومكان إلى وما عملت فيه نصب .
ومنه قوله تعالى : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾^(٥٩) أي : ما أسمعهم وأبصرهم ! .
وأما الإيجابُ الواردُ بصيغة النفي فكقولهم² : (ما زال زيد عالماً) ،
فإن صيغته صيغة³ قولك : (ما كان زيد عالماً) . والأول إيجاب ،
والثاني نفي . فإذا أدخلت على هذه الجملة (إلا) التي للإيجاب فقلت :
(ما زال زيد إلا عالماً) ، صارت صيغته صيغة الموجب ومعناه معنى
المنفي .

والعلة في ذلك أن قولك : (زال زيد عالماً) لو كان مما يستعمل
لكان معناه النفي ؛ لأن معناه زال عن العلم وانتفى منه ؛ فإذا أدخلت
عليه (ما) النافية رجع إيجاباً لأن النفي الثاني يبطل النفي الأول .
فإذا أدخلت (إلا) بطل النفي الثاني الذي أوجبته (ما) وعاد النفي
الأول إلى حاله ، فصار قولك : (ما زال زيد إلا عالماً) بمنزلة قولك :
(زال زيد عالماً) .

فمن النحويين من يرى أن قولك : (ما زال زيد إلا عالماً) إنما امتنع
من الجواز لأن دخول (ما) في صدر المسألة يوجب له العلم ، ودخول

1. في م ، ط : كصيغة .

2. في ط : فكقولك .

3. في م ، ط : كصيغة .

(٥٩) سورة مريم ١٩ : ٣٨ . والآية : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتَنَّا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ
مُبِينٍ ﴾ .

(إلا) في آخرها ينفي عنه العلم ، فتصير^١ مثبتاً نافياً للخبر في حال واحدة .

ومنهم من يقول : إنما استحال لأن دخول (إلا) عليه يبطل (ما) لأنها مناقضة لها ، فكأنك قلت [١٢ أ] : (زال زيد عالماً) ، وهذا غير جائز ، لأن العرب لم تستعمل (زال) الداخلة على الابتداء والخبر إلا مع (ما) .

ومنهم من يقول : إنما استحال لأن قولك : (ما زال زيد عالماً) كلام موجب وإن كان بصورة النفي ، فلما كان كذلك لم يجز دخول (إلا) عليه لأن (إلا) إنما وُضعت لتوجب ما كان منفيّاً قبل دخولها فإذا كان الكلام موجباً بنفسه استغني عنها . ومن طريف هذا النوع قول الفرزدق^(٦٠) :

بأيدي رجال لم يشيؤوا سيوفهم ولم تكثر القتلى إذا هي سلت^٢
قال أصحاب المعاني : معناه لم يشيؤوا سيوفهم إلا وقد كثرت القتلى بها حين سلت . فعناه كما ترى إيجاباً ؛ وصيغته وظاهره نفي . وإنما وجب^٣
هذا لأن قوله : (ولم تكثر القتلى) ، ليس بجملة منقطعة من الجملة التي

١ . في م ، ط : فيصير .

٢ . في م ، ط : بها حين سلت .

٣ . في ط : وإنما أوجب .

(٦٠) المعاني الكبير : ٨٩٩ . وقال في شرحه : (أراد لا يشيؤون سيوفهم ولم يكثر القتلى بها ولكنهم يشيؤونها إذا أكثروا بها القتلى) والبيت في الأضداد لابن الأنباري : ٢٥٩ . وفيه : (ولم يكثروا ... يوم ، أراد لم يغمدوا سيوفهم حتى كثرت القتلى) وفي ديوان الشاعر ١ : ١٣٩ :
بأيدي رجال لم يشيؤوا سيوفهم ولم تكثر القتلى ————— حين سلت
وهي رواية نسختي م و ط .

قبلها معطوفة عليها على حدّ عطفِ الجُمْل على الجُمْل ؛ وإنّا هي في موضع نصبٍ على الحال من السُّيُوف . وتقدير الكلام : (لم يَشِيُوا سيوفهم غيرَ كثيرة القتلى بها حينَ سُلّت) ، فصارَ بمنزلةِ قولك : (لم يَجِئُ زيدٌ ولم يركبُ فرسه) إذا جعلتَ قولك : (ولم يركبُ فرسه) في موضع الحال من زيدٍ تقديره : (لم يَجِئُ زيدٌ غيرَ راكبٍ فرسه) ، فحصولُ معناه أنّه جاءَ راكباً فرسه ؛ فظاهره نفيٌ ومعناه إيجاب .

وقد يجوزُ في المسألة¹ أنّه لم يَجِئْ ولم يركبْ ، فتنفي الفعلين معاً ، وتجعلهما جُمْلتين ليست إحداهما متعلّقة بالأخرى إلّا على جهةِ العطف فقط .

وأما النفيُّ الواردُ بصورة² الإيجابِ فنحو قولهم : (لو جاءني زيدٌ لأكرمتُهُ) ، فصورتُهُ صورةٌ كلامٍ مُوجِبٍ لأنّه ليسَ فيه أداةٌ من أدواتِ النفي ؛ وهو منفيٌّ في المعنى لأنّه لم يقعِ الحِجْيُ ولا الإكرامُ . فإذا دخلَ عليه حُرُوفُ³ النفي فقليلٌ : (لو لم يَشْتَنِ زِيدٌ لم أضربهُ) ، صارتُ صورتُهُ صورةَ المنفيِّ ومعناه معنى الموجِبِ . ومن أجل هذا قال النحويون في قولِ امرئ القيس⁴ :^(٦١)

١ . في م ، ط : أن تريد أنه .

٢ . في م ، ط : بصيغة .

٣ . في م ، ط : حرف النفي .

٤ . في م ، ط : في نحو قول .

(٦١) البيت في الديوان بشرح الأعلام الشنترلي : ٣٩ . وبعده :

ولكننا أسمى لجند مؤثّل وقد يدرك المجد المؤثّل أمثالي
قال الأعلام : أي لو كان سعيي لأقرب معيشة وأدناها لكفاني قليل من المال ، ولم أطلب الملك .

فَلَوْ أَنَّ مَا أُسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ كَفَانِي وَلَمْ أُطَلِّبْ قَلِيلًا مِنَ الْمَالِ
إِنَّ نَصَبَ الْقَلِيلِ هُنَا مُحَالٌ لِأَنَّهُ لَوْ نَصَبَهُ لِأَوْجِبَ أَنَّهُ قَدْ طَلَبَ قَلِيلًا
مِنَ الْمَالِ ، وَهَذَا خِلَافُ مَا أَرَادَهُ الشَّاعِرُ ، أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ بَعْدَ هَذَا^(٦٣) :

وَلَكِنَّمَا أُسْعَى لِمَجْدٍ مُوْتَلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُوْتَلُ أَمْثَالِي !
فَأَخْبَرَ بِيَعْدِ هِمَّتِهِ وَعُلُوِّهَا ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا يَطْلُبُ الْمُلْكَ وَالرِّيَاسَةَ . أَلَا تَرَى
النَّحْوِيِّينَ قَدْ جَعَلُوا قَوْلَهُ : (وَلَمْ أُطَلِّبْ قَلِيلًا) بِالنَّصْبِ إيجاباً ، وَظَاهِرُهُ
نَفْيٌ . وَإِنَّمَا عَرَضَ هَذَا^١ مِنْ قَبْلِ دُخُولِ [١٢ ب] (لَوْ) فِي أَوَّلِ الْبَيْتِ ؛
وَقَدْ أَعْلَمْتِكَ أَنَّ إيجابها نَفْيٌ ، وَنَفْيها إيجابٌ .

وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى^٢ : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾^(٦٣) ،
﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا ﴾^(٦٤) .

١ . كلمة (هذا) لم ترد في « ن » .

٢ . في ط : قوله عز وجل .

(٦٣) الديوان : ٣٩ .

(٦٣) سورة السجدة ٣٢ : ١٣ . والآية : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي
لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ . وانظر مغني اللبيب ١ : ٢٨٤ .

(٦٤) سورة يونس ١٠ : ٩٩ . والآية : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا .
أَفَأَنْتَ تَكْذِبُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ . وفي القرطبي ٨ : ٢٨٥ : (أي لا اضطرهم إليه .
كلهم تأكيد لمن . جميعاً عند سيبويه نصب على الحال) . وقال الأخفش : (جاء بقوله جميعاً
بعد كل تأكيداً كقوله : لا تتخذوا إلهين اثنين) . وفي المتشابه ١ : ٣٧١ قال : (المراد بذلك
أن الله تعالى لو شاء أن يكرههم ويلجئهم إلى الإيمان لآمنوا أجمع ، ودل على أن هذا المراد
بقوله تعالى آخر : ﴿ أَفَأَنْتَ تَكْذِبُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ منبهاً بذلك على أنه المقتدر
على ذلك دون الرسول عليه السلام ، وأن شدة محبته الرسول في ذلك لا تنفع إذا لم يؤمنوا
اختياراً) .

وَأَمَّا وَرُودُ الْوَاجِبِ بِصُورَةِ الْمُمْكِنِ^١ فَكَقَوْلِهِ تَعَالَى^(٦٥) : ﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنَّ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ ﴾ ، وقوله : ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً ﴾^(٦٦) . وهذا واجبٌ ثابتٌ ، وصورتُهُ صورةُ المُمْكِنِ المشكوكِ فيه والعربُ تَفْعُلُ هذا تحريراً للمعاني ، واحتياطاً عليها . ومنه قولُ الشاعر^(٦٧) :

لَعَلِّي إِنْ مَالَتْ بِي الرِّيحُ مَيْلَةً عَلَى ابْنِ أَبِي زُبَّانٍ^٢ أَنْ يَتَنَدَّمَ
فَأُخْرِجَ كَلَامَهُ مُخْرِجَ الْمُمْكِنِ^٣ وَإِنَّمَا يَرِيدُ : أَنَّهُ يَتَنَدَّمُ^٣ لَا مَحَالَةَ .
وَأَمَّا وَرُودُ الْمُمْتَنَعِ بِصُورَةِ الْمُمْكِنِ فَكَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ^(٦٨) :
وَبَدَّلْتُ قَرَحاً دَامِياً بَعْدَ صِحَّةٍ لَعَلَّ مَنَايَاَنَا تَحُولُنَّ أَبُوسَا
وَتَحُولُ الْمَنَايَا أَبُوسَا مِنَ الْمُمْتَنَعِ الَّذِي لَا يُمْكِنُ وَقَدْ جَعَلَهُ كَمَا تَرَى فِي

١ . في (م) : الإمكان .

٢ . في م : زيان .

٣ . في م : الإمكان - فتندم .

(٦٥) سورة المائدة ٥ : ٥٢ . والآية : ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ .

(٦٦) سورة الإسراء ١٧ : ٧٩ . الآية : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدُ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً ﴾ .

(٦٧) البيت لثابت قُطَنَة ، من أبياتِ في هشام بن عبد الملك ، وروايته في مجموع شعره : على ابن أبي الذُّبَّانِ . وكان عبد الملك بن مروان يُكْنَى بِأَبِي الذُّبَّانِ لشدَّةِ بَخْرِهِ . ثمار القلوب : ٢٤٦ واللسان (ذب ب) .

(٦٨) الديوان : ١٠٧ . قال الأَعْلَمُ : (وبَدَّلْتُ قَرَحاً دَامِياً) يريد ما ناله في جسمه من الحَلَّةِ المسمومة التي وجهها إليه ملك الروم ، وقوله : (لَعَلَّ مَنَايَاَنَا) أي لَعَلَّ مَا بِي مِنْ شِدَّةِ الْحَالِ وَالْبَلَاءِ عَوْضَ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ بَدَلَ مِنْهُ (١٠٨ من الشرح) ، وفي اللسان : (لَعَلَّ مَنَايَاَنَا أَيْ أَظُنُّ مَنَايَاَنَا تَبْدِلُنَّ أَبُوسَا) .

صورة الممكن على العلم منه أنه¹ ليس كذلك ؛ تعللاً² بذلك واستراحةً ممّا كان فيه من عظيم البلاء .

ونحوه قول كعب بن سعد الغنوي² يرثي أخاه^(٦٩) :

وداعِ دَعَا يا مَنْ يُجِيبُ إلى النّدى فلم يستجِبْهُ عندَ ذاكَ مجيبٌ
فقلتُ : ادعُ أخرى وارفعِ الصّوتَ دَعْوَةً³

لعلَّ أباهُ⁴ المغوارِ منك قريبٌ

يجبُكَ كما قدْ كانَ يفعلُ إنهُ نَجيبٌ⁵ ، لأبوابِ العلاءِ طَلوبٌ
وقال النابغة يرثي النعمان⁶ :

فإنْ تحيَ لا أملُ حياتي وإنْ مُتْ فَمَا في حياةٍ⁷ بعد موتِكَ طائِلٌ^(٧٠)

1. في م ، ط : بأنه . — في ط : تعللاً منه بذلك .

2. في م : كعب الغنوي .

3. في ط : جهرَةً .

4. في ط : أبي .

5. في ط : مُجِيب .

6. في م ، ط : وقال النابغة .

7. في ط : فما في حياتي .

(٦٩) الأبيات من أصمعيّة لكعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه أبا المغوار (الأصمعيّة : ٢٥ وانظر الأصمعيّة ٢٦) وانظر تخريج القصيدة ثم . وثاني الأبيات مشهور في كتب النحو ، والقصيدة في الأمالي ٢ : ١٤٧ هامش ٢ ، وجهرة أشعار العرب ٢ : ٦٩٢ - ٧٠٤ وهي ثمة لحمد بن كعب الغنوي ومختارات ابن الشجري : ٢٧ ، سمط اللآلي : ٧٧١ ، والحزانة ٣ : ٦٢٠ ط بولاق ، والأمالي ٢ : ١٤٩ - ١٥١ .

(٧٠) ديوانه بشرح أبي بكر عاصم بن أيوب البطليوسي وفيه : فما في حياتي .

يقول : (إن حييت لم أمل الحياة لما أناله من الخير بك وإن متّ فما في الحياة نفع بعدك)
ص : ٦٢ .

وفي الديوان (ط السعادة بمصر) : (فما في حياة) . ولم يرد البيت في طبعة الديوان ،
بتحقيق الدكتور شكري فيصل .

انظر القصيدة : ١١٣ - ١٢٠ .

ومن هذا الباب^١ قول الرجل المُحَرَّق لَبْنِيهِ : (إذا أنا مِتُّ فأحرقوني ، ثم اذروا^٢ رَمَادِي فِي الْيَمِّ ، فَلَعَلِّي أَضِلَّ اللَّهَ ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ اللَّهُ عَلَيَّ لَيُعَذِّبَنِي عَذَاباً شَدِيداً^(٧١)) . أَلَا تَرَى أَنَّهُ أَخْرَجَ مَا قَدْ تَحَقَّقُ أَنَّهُ لَا يَكُونُ مَخْرَجَ مَا يُرْجَى أَنْ يَكُونَ ، تَعَلُّلاً بِذَلِكَ وَاسْتِرَاحَةً إِلَيْهِ ، كَمَا فَعَلَ أَمْرُ الْقَيْسِ حِينَ اشْتَدَّ بِهِ الْبَلَاءُ فِي قَوْلِهِ :

لَعَلَّ مَنَايَانَا تَحْوِلُنَّ أَبْوَساً

وهو لا يشك في أنَّ هذا الذي رجاء ممتنع . وَمِنْ أَبْيَنِ مَا فِي ذَلِكَ قَوْلُ الْآخِرِ^(٧٢) :

أُخَادِعُ نَفْسِي بِالْأَمَانِي تَعَلُّلاً عَلَى الْعِلْمِ مِنِّي أَنَّهَا لَيْسَ تَنْفَعُ !
وَأَمَّا قَوْلُهُ : (فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ اللَّهُ عَلَيَّ لَيُعَذِّبَنِي عَذَاباً شَدِيداً) ،
فَمَعْنَاهُ : فَوَاللَّهِ^٣ لَئِنْ ضَيَّقَ [١٣ أ] اللَّهُ عَلَيَّ طُرُقَ الْخِلَاصِ لَيُعَذِّبَنِي ، وَلَيْسَ يَشْكُ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ وَلَوْ شَكَّ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ^٤ لَكَانَ كَافِراً ، وَإِنَّمَا هُوَ

١ . (الباب) لم ترد في م .

٢ . في م : واذروا .

٣ . (فوالله) لم ترد في « ن » .

٤ . في م ، ط : قدرته .

(٧١) أخرج البخاري ومسلم ومالك والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قال رجل لم يعمل خيراً قط فإذا مات فحرقوه (وفي رواية قال لأهله : إذا أنا مِتُّ فأحرقوني [النسائي]) واذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبني الله عذاباً لا يعذبه أحدٌ من العالمين فأمر الله البحر فجمع ما فيه ... الحديث » . البخاري ٨ : ١٩٩ ، مسلم ٤ : ٢١٠٩ - ٢١١٩ ، النسائي بشرح السيوطي ٤ : ١١٣ ، الموطأ ١ : ٢٤٠ .

(٧٢) لم أقف على قائله .

كقوله تعالى : ﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾^(٧٣) وقوله : ﴿ وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ﴾^(٧٤) أي ضيق ، ويجوز أن يكون من القدر الذي هو القضاء ، فيكون معناه : (فوالله لئن قدر الله علي العذاب ليعذبني^١) ؛ فحذف المفعول اختصاراً ، كما قال النابغة الجعدي^(٧٥) :

حَتَّى لَحِقْنَا بِهِمْ تُعَدِّي فَوَارِسُنَا كَأَنَّنَا رَعْنَ قُفٍّ يَرْفَعُ الْآلَا
أراد : تُعَدِّي فَوَارِسُنَا الْحَيْل . وقد يجوز أن يكون قوله : (فوالله لئن قدر الله علي من القدرة على الشيء) . فإن قيل : كيف يصح هذا ودخول الشرط عليه قد جعله من حيز الممكن - الذي يجوز أن يكون ويجوز ألا يكون - وهذه خاصة الشرط ؟ ألا ترى أنك إذا قلت : (إن جاءني زيد أكرمته) فممكن أن يقع ذلك ، وممكن ألا يقع . وهذا شك محض في قدرة الله تعالى^٢ ؛ فالجواب أن العرب قد تستعمل (إن) التي للشرط بمعنى إذا ، كما تستعمل (إذا) بمعنى (إن) . و (إذا) تقع على

١ . كلمة (ليعذبني) لم ترد في « ن » .

٢ . في ط : عز وجل ، والجواب .

(٧٣) سورة الأنبياء ٢١ : ٨٧ . والآية : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

(٧٤) سورة الطلاق ٦٥ : ٧ . والآية : ﴿ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ .

(٧٥) البيت من قصيدة له يهجو بها سوار بن أوفى القشيري . في المعاني الكبير : ٨٨٣ : (قال : تعدي فوارسنا أي تستحضر خيلها) . القف : الجبل . الرعن : أنف الجبل . قال ابن السيد : (أراد تعدي فوارسنا الخيل ، فحذف المفعول اختصاراً لما فهم المعنى . والقف : ما ارتفع من الأرض ، شبه أنفسهم في كثرة عددهم برعن قف رفعة الآل فنظم ظله ، وأراد كأننا ظل رعن قف فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه لأنه إنما شبه أنفسهم بظل الرعن لا بالرعن) . وانظر شعر النابغة : ١٠٦ .

الشَّيْءُ الَّذِي لَا يُشَكُّ فِي كَوْنِهِ كَقَوْلِكَ : (إِذَا كَانَ اللَّيْلُ فَأَتِنِي) وَكَوْنُ اللَّيْلِ لَا بُدَّ مِنْهُ ^١ . وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴾ ^(٧٦) ، فَعِنَاةٌ عَلَى هَذَا : فَوَاللَّهِ إِذَا قَدَّرَ اللَّهُ عَلَيَّ لِيُعَذِّبَنِي عَذَابًا شَدِيدًا .

وَإِنَّمَا جَازَ وَقُوعُ (إِنْ) الَّتِي لِلشَّرْطِ مَوْقِعَ (إِذَا) الزَّمَانِيَّةِ ، لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَحْتَاجُ ^٢ إِلَى جَوَابٍ .

وَالشَّيْئَانِ إِذَا تَضَارَعَا جَازَ أَنْ يَقَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَوْقِعَ صَاحِبِهِ ، فَمَا وَقَعَتْ فِيهِ (إِنْ) مَوْقِعَ (إِذَا) قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ ^(٧٧) ، وَقَوْلُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ وَقَفَ عَلَى الْقُبُورِ : « إِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ » ^(٧٨) يَرِيدُ إِذَا شَاءَ اللَّهُ . وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ ^(٧٩) :

فِيَا لَا يَكُنْ جِسْمِي طَوِيلًا فَإِنِّي لَهُ بِالْفِعَالِ الصَّالِحَاتِ وَصُولُ

١ . سَقَطَ الْمَثَالُ وَالتَّعْلِيلُ عَلَيْهِ مِنْ نَسْخَةِ م .

٢ . فِي ط : كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَحْتَاجُ .

(٧٦) سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ ٨٢ : ١ .

(٧٧) سُورَةُ الْفَتْحِ ٤٨ : ٢٧ . وَالْآيَةُ : ﴿ لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ .

(٧٨) مِنْ حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١ : ٢١٨) ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالنَّسَائِيُّ (٤ : ٩٤) ، وَابْنُ مَاجَةٍ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَفِي مُحْتَصَرِّ مُسْلِمٍ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنْ حَدِيثِ طَوِيلٍ فِيهِ : « قَالَتْ : قُلْتُ : كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَيَرْحَمُ اللَّهُ الْمُتَّقِدِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأَخِرِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ » . ١٠ : ١٣٤ .

(٧٩) هُوَ رَجُلٌ مِنَ الْفَزَارِيِّينَ (الْحِمَاسَةُ بِشَرْحِ الْمَرْزُوقِيِّ ٢ : ١١٨١) وَفِيهِ :

إِلَّا يَكُنْ عَظْمِي طَوِيلًا فَإِنِّي لَهُ بِالْخِصَالِ الصَّالِحَاتِ وَصُولُ

معناه : فإذا لم يكن جسي طويلاً فإنني أطولة¹ بالأفعال الحسان .
ولا يصح الشرط ههنا لأن قصر جسمه شيء قد كان وقع ، والشرط ههنا محال .

ومثله قول الآخر^(٨٠) :

فإن أك قد فارتقت نجداً وأهله فما عهد نجدٍ عندنا بذي
وأما وقوع إذا بمعنى إن فكقول أوس بن حجر^(٨١) :

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والحنأ أصبت حليماً أو أصابك جاهل
والإعراض عن الحنأ ممكن أن يكون وممكن ألا يكون فليس هذا من مواضع (إذا) وإنما هو [١٣ ب] من مواضع (إن) .

وأما ورود المدح في صورة الذم فكقولهم : أخزاه الله ما أشعره ،
ولعنة الله ما أفصحه ! ، وقول كعب بن سعد الغنوي^(٨٢) :

١. في م : فإني أطوله ؛ وفي ط : فإني أطيله .

(٨٠) لم أقف على قائله .

(٨١) الديوان : ٩٩ .

(٨٢) البيت من قصيدة كعب بن سعد الغنوي السابقة (ص ١٠٦) وهو في المفضليات والجمهرة : (يؤدي الليل) . وما أثبتته المؤلف هنا كرواية الأمالي ٢ : ١٥٠ ، وسمط اللآلي : ٧٧٣ : (وهوت أمه دعاء عليه ، معناه التعجب كما تقول : قاتله الله !) الجمهرة . وأورده ابن فارس وقدم له : (فمن سنن العرب مخالفة ظاهر اللفظ ، معناه كقولهم عند المدح : قاتله الله ما أشعره ، فهم يقولون هذا ولا يريدون وقوعه ، ومنه قولهم : هوت أمه وهبلته وثكلته) . قال كعب يرثي أخاه ... ص ١٦٩ . وقد أورد صاحب الخصائص في كتابه الآية : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ ٤٩ من سورة الدخان (٤٤) في باب (في إقرار الألفاظ على أوضاعها الأول ما لم يدع داع إلى الترك والتحول) ٢ : ٤٥٧ و ٤٦١ .

هوت أمه ما يبعثُ الصبحُ غادياً وماذا يردُّ الليلُ حينَ يؤوبُ
 وذكر ابنُ جني : أن أعرابياً رأى ثوباً فقال : ماله محقه الله ؟ !
 قال : فقلتُ له : لم تقول هذا ؟ فقال : إنا إذا استحسنا شيئاً دعونا
 عليه ! وأصلُ هذا أنهم يكرهون أن يمدحوا الشيءَ فيصيبوه بالعين ؛
 فيعدلون عن مدحه إلى ذمه .

وأما ورودُ الذمِّ في صورة المدح ، فكقوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَأَنْتَ
 الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ ^(٨٣) وقول الشاعر ^(٨٤) :

وقلتُ لسيِّدنا : يا حليـم — إنك لم تأسُ أسوأ رفيقاً

وأما التقليلُ الواردُ بصورة التكثر فنحو قولك : (كم بطل قتل
 زيد ! وكم ضيف نزلَ عليه !) . وأنت تريد أنه لم يقتل قطُّ بطلاً ولا
 قرى ضيفاً قط ، ولكنك تقصدُ الاستهزاء به ، كما تقول للبخيل : يا
 كريم ! وللأحمق : يا عاقل !

وأما التكثرُ الواردُ بصورة التقليل فنحو قولك : (رُبَّ ثوبٍ حسنٍ

١. في م ، ط : بطلاً قط .

(٨٣) سورة هود ١١ : ٨٧ . والآية : ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ
 أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ . قال القرطبي (٩ : ٨٧) : قيل :
 إنهم قالوا كلامهم على وجه الاستهزاء والسخرية . وهذا هو ما ذهب إليه ابن السِّدِّ هنا .
 وقيل : إنهم قالوه على الحقيقة .

(٨٤) أورده ابن فارس في باب ما يجري من كلامهم مجرى التهمك والهزاء قال : (يقولون للرجل
 يُستجهل : يا عاقل ! وأورد البيت : ٢١٤) . وفي كتاب المسائل والأجوبة لابن السِّدِّ
 البطليوسي في باب الكلام على (رُبَّ) وحقيقة وضعها ، وقد نشر الدكتور إبراهيم السامرائي
 فقرات منه في مصنف (نصوص ودراسات عربية وإفريقية) ص : ١٧١ .

قد لبستُ ، وربّ رَجُلٍ عالم قد لقيتُ) . فتقلل ما لبستَ من الثياب
ومن لقيتَ من العلماء تواضعاً ، ليكون أجلاً لك في النفوس ؛ لأنّ الرجلَ
إذا حَقَّرَ نفسه تواضعاً ثم اختبرَ فَوَجِدَ أعظمَ ممّا وَصَفَ به نفسه عَظُمَ في
النفوس ، وإذا تعاظَمَ وأنزلَ نفسه فوق منزلتيها ثم اختبرَ فَوَجِدَ أقلَّ ممّا
قال ، استُخِفَّ به وهان على¹ من كان يعظّمه . وقد يُستعمل تقليل
الشيء وهو كثير في الحقيقة لضروبٍ من الأغراض والمقاصد ، كالرجل
يهدّد صاحبه فيقول : (لا تُعَادِنِي فَرَبِّمَا نَدِمْتَ) . وهذا مكانٌ ينبغي أن
تكثر فيه الندامة وليس بموضعٍ لتقليل . وإنّا تأويلُهُ أن الندامة على هذا
لو كانت قليلةً لوجبَ أن يتجنبَ ما يؤدي إليها ، فكيف وهي كثيرة ؟
فصار فيه من معنى المبالغة ما ليس في التكثرِ لَوْ وقع ههنا .

ومن هذا قوله تعالى : ﴿ رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا
مُسْلِمِينَ ﴾^(٨٥) .

وإنّا تأتِي (رَبِّ) بِمَعْنَى التَّكْثِيرِ فِي مَوَاضِعِ الْإِفْتِخَارِ . والوجهُ في
ذلك أن المُفْتَخِرَ يريدُ أن الأمرَ الذي يَقِلُّ وجودُهُ من غيره يكثرُ وجودُهُ
منه ، فيستعيرُ لفظَ التَّكْثِيلِ في موضعٍ لفظُ² التَّكْثِيرِ إشارةً إلى هذا المعنى
وليكون أبلغ في الافتخار³ .

1 . في ط : على كل من .

2 . في ط : في موضع التَّكْثِيرِ .

3 . العبارة السابقة كلها لم ترد في م .

(٨٥) سورة الحجر ١٥ : ٢ . (وأصلها أن تستعمل في القليل وقد تستعمل في الكثير أي يودّ الكفار
في أوقات كثيرة لو كانوا مسلمين ، قاله الكوفيون . وقال بعضهم : هي للتقليل في هذا
الموضع ، لأنهم لو قالوا ذلك في بعض المواضع لا في كلها لشغلهم بالعذاب) . القرطبي ١٠ :
٢ - ١ .

وقد توهم قوم أن (رَبُّ) للتكثير^(٨٦) حين خفي عليهم ما ذكرناه [١٤ أ] من تداخل المعاني . وهذه غفلة شديدة لأننا نجد المدح يخرج مخرج الذم ، والذم يخرج مخرج المدح ، ولا يخرجها ذلك عن موضوعها الذي وُضِعَ عليه في أصل وضعها . كما أن الاسم العلم^١ الذي وُضِعَ في أصل وضعه للخصوص قد يعرض له العموم ، والنكرة التي وُضِعَتْ في أصل وضعها للعموم قد^٢ يعرض لها الخصوص ، ولا يبطل ذلك وضعها الذي وُضِعَ عليه أولاً . وإنما ذلك لكثرة المعاني وتداخلها واختلاف الأغراض وتباينها ، فمتى وجدت شيئاً قد خالف أصله فإنما ذلك لسبب وغرض ، فيجب لك أن تبحث عليه^٣ ولا تتسرع إلى بعض الأصول دون تثبت وتأمل .

فمن مشكل هذا الباب قول أبي كبير الهذلي^(٨٧) :

أزهير إن يشب القذال فإني رب هَيْضَل مَرَسٍ لَفَتُ هَيْضَلٍ
زهير ههنا ترخيم زهيرة وهي ابنته فلذلك فَتَحَ الرءاء^٤ . و (رَبُّ)
ههنا مخففة من (رَبُّ) .

١ . في م : أن العلم .

٢ . في ن : وقد .

٣ . في ط : تبحث عنه .

٤ . لم ترد العبارة في م ، ن . وهي مشتقة من ط .

(٨٦) نسبه ابن هشام في المغني (١ : ١٤٣) إلى ابن درستويه وجاعة . قال : وليس معنى (رَبُّ) التقليل دائماً ، خلافاً للأكثرين ، بل ترد للتكثير كثيراً وللتقليل قليلاً .

(٨٧) ديوان الهذليين ٢ : ٨٩ (يقول : يا زهيرة إن يشب القذال وهو ما بين الأذنين والقفا ، والهَيْضَل والهَيْضَلَة واحد . وهم الجماعة من الناس يغزى بهم . مرس : ذو مراصة وشدة) .

وقول أبي عطاء السندي^(٨٨) :

فَإِنْ تُمْسِ مَهْجُورَ الْفِنَاءِ قَرِيْبًا أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوُفُودِ وَفُودُ
والمراءَ بهذين البيتين التَّكثِيرَ ولكنْ خَرَجَا مُخْرَجَ التَّقْلِيلِ ليكون
أمدح ، والمعنى أن هذا لو كان قليلاً لكان فيه فخرٌ لصاحبه فما ظنُّكَ به
وهو كثير ؟! ويحتلُّ قولُ أبي عطاء السندي أن يكونَ أرادَ تَقْلِيلَ مدَّة
حياةِ المرثي^١ التي كَثُرَتْ فيها عليه الوفودُ . فعلى نحو هذه التأويلات
فتأول ما وردَ مخالفاً للأصول .

وملاكُ هذا الباب معرفةُ الحقيقةِ والمجاز ، وهو بابٌ يَدِقُّ على من لم
يتمهَّر في هذه الصَّناعة فلذلك يُنكر كثيراً ممَّا هو صحيحٌ ، واللهِ درُّ أبي
الطيب المتنبي حيثُ يقول^(٨٩) :

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا وَأَقْتَسَمُ مِنْ الْفَهْمِ السَّقِيمِ
ولكنْ تَأْخُذُ الْآذَانَ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ الْقَرَائِحِ وَالْعُلُومِ
ومن طَريفِ المجاز العارض من طريق التركيب إيقاعهم أدوات المعاني
على السَّببِ ومرادهم المسبَّب تازةً ، وتارةً يوقِعُونَهَا على المسبب ومرادهم

١ . في ن : حياة مدة المرثي .

(٨٨) البيت من حاشية لأبي عطاء السندي يرثي بها يزيد بن عمر بن هبيرة (قتله المنصور ١٣٢)
وبعده :

فَإِنَّكَ لَمْ تَبْعُدْ عَلَى مَتَعِهْدٍ بَلَى كُلِّ مَنْ تَحْتَ التُّرَابِ بَعِيدٍ
والمقصود بالوفود : الذين قصدوا إليه لقضاء حوائجهم ، ونيل الأعطيات .

(٨٩) البيتان من قطعة له في الديوان (بشرح الواحدي : ٣٣٨) . ورواية الديوان بشرح العكبري
(٤ : ١٢٠) : على قدر القريحة والعلوم .

السبب^(٩٠) ، وإنما يفعلون هذا لتعلق أحدهما بالآخر . فمثال الأول قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(٩١) ، فأوقع النهيَ على الموت في اللفظ والموت ليس بفعلٍ لهم فيصحُّ نهيهم عنه وإنما نهاهم عن مفارقة الإسلام ، فعناهُ لا تُفارقوا الإسلامَ حتَّى تَمُوتُوا عليه فأوقع النهيَ على الموت لأنه السببُ الذي من أجل توقُّعه وخوفه يلزمُ الإنسان أن يستعدَّ [١٤ ب] لوروده ويتأهبَّ له بصالح عمله ، والثاني مثل قوله تعالى : ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾^(٩٢) وليس المراد إثبات شفاعَةٍ غير نافعةٍ لأنَّه لا شفاعَة هناك في الحقيقة ، بدليل قوله تعالى : ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾^(٩٣) فأوقع النَّفْيَ على المنفعة التي هي المسببُ ، ومراده تعالى : الشفاعَة ، التي هي السببُ فكأنَّه قال : فما تكونُ شفاعَة فتكون منفعةً . ونحوه قولك : ما نفعني كلام زيد . فهذا كلامٌ يحتمل معنيين :

أحدهما : أن تريدَ إثباتَ الكلام ونفيَ المنفعة وحدها .

والثاني : أن تريدَ نفيَهما معاً . أي لم يكنْ منه كلامٌ فتكون منفعةً .

ومن هذا الباب^١ قول امرئ القيس :

١ . في ن : ومن هذا . في ط : ومثله .

(٩٠) انظر الخصائص لابن جني ٣ : ١٧٣ - ١٧٧ ، باب : في الاكتفاء بالسبب من المسبب ، وبالمسبب من السبب .

(٩١) سورة البقرة ٢ : ١٣٢ . والآية : ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

(٩٢) سورة المدثر ٧٤ : ٤٨ .

(٩٣) سورة الشعراء ٢٦ : ١٠٠ - ١٠١ .

☆ عَلَى لَاحِبٍ لَا يَهْتَدِي بِمَنَارِهِ ^(٩٤) ☆

وَلَمْ يُرِدْ إِثْبَاتَ الْمَنَارِ وَنَفَى الْهُدَايَةَ بِهِ وَلَوْ كَانَ ثُمَّ مَنَارٌ لَكَانَتْ ثُمَّ هُدَايَةً وَإِنَّمَا الْمَعْنَى لَيْسَ بِهِ مَنَارٌ فَتَكُونُ هُدَايَةً .

وَمِنْ هَذَا قَوْلُ الْعَرَبِ : (لَا أَرَيْتَكَ هَهُنَا) ، أَيْ لَا تَكُونَنَّ هَهُنَا فَيَأْنِي أَرَاكَ ! فَالْمُرَادُ بِالنَّهْيِ الْكَوْنُ لَا الرَّؤْيَا .
وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ النَّابِغَةُ ^(٩٥) :

لَا أَعْرِفُنْ رَبِّبًا حُورًا مَدَامِعُهَا كَأَنَّ أَبْكَارَهَا نِعَاجَ دَوَارٍ
فَعَلَى هَذَا مَخْرَجُ هَذَا الْبَابِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ^١ .

☆ ☆ ☆

٦ . فِي م ، ط : فَعَلَى هَذَا مَجْرَى هَذَا الْبَابِ . — (وَاللَّهُ أَعْلَمُ) مِنْ ط .

(٩٤) الدِّيْوَانُ ٦٦ وَتَمَامُهُ :

عَلَى لَاحِبٍ لَا يَهْتَدِي بِمَنَارِهِ إِذَا سَاقَةَ الْقَوْدُ النَّبَاطِيُّ جَرَجَرَا
قَالَ الْأَعْلَمُ : (قَوْلُ لَا يَهْتَدِي بِمَنَارِهِ : أَيْ لَيْسَ فِيهِ عِلْمٌ وَلَا مَنَارٌ فِيهِتَدَى بِهِ ، يَصِفُ أَنَّهُ طَرِيقٌ
غَيْرُ مَسْلُوكٍ فَلَمْ يُجْعَلْ فِيهِ عِلْمٌ . وَاللَّاحِبُ : الطَّرِيقُ الْبَيْنُ الَّذِي لِحَبْتِهِ الْحَوَافِرُ أَيْ أَثَرَتْ فِيهِ
فَصَارَتْ فِيهِ طَرَائِقُ وَأَثَارٌ مُبَيَّنَةٌ . هَذَا أَصْلُهُ ثُمَّ يَسْتَعْمَلُ لِكُلِّ طَرِيقٍ بَيْنَ وَخْفِي) .
النَّبَاطِيُّ : الْمُنْسُوبُ إِلَى النَّبْطِ ، وَهُوَ أَشَدُّ الْإِبِلِ وَأَصْبَرُهَا . وَقَوْلُهُ : إِذَا سَاقَهُ الْعُودُ النَّبَاطِيُّ
جَرَجَرَا ، يَرِيدُ : إِذَا شَمَمَهُ الْمَسْنَنُ مِنَ الْإِبِلِ الْقَوِي صَوْتٌ وَرَغَا لِبَعْدِهِ ، وَلَمَّا يَلْقَى فِيهِ مِنْ
مَشَقَّةٍ .

(٩٥) الْبَيْتُ فِي دِيْوَانِهِ بَشْرَحُ الْبَطْلِيِّوسِي : ٤٢ أَوْقَعَ النَّهْيَ عَلَى نَفْسِهِ وَالْمُرَادُ بِهِ غَيْرُهُ ، وَمِثْلُهُ لَا أَرَاكَ
هَهُنَا أَيْ لَا تَكُنْ بِمَكَانٍ أَرَاكَ فِيهِ . فَعَنَى الْبَيْتُ : لَا تَكُونُوا بِمَكَانٍ تَسْبِي فِيهِ نَسَاؤُكُمْ فَأَعْرِفْ
ذَلِكَ فِيهِمْ . وَابْنُ السَّكَيْتِ : ٨٢ وَفِيهِ : كَأَنَّهُنَّ نِعَاجٌ حَوْلَ دَوَارٍ . وَوَرَدَ الْبَيْتُ فِي الْمَغْنِيِّ ١ :
٢٧١ ، وَقَالَ مَعْلَقًا : (وَهَذَا النُّوعُ مِمَّا أَقِيمَ فِيهِ الْمُسَبِّبُ مَقَامَ السَّبَبِ) .

البَابُ الثَّالِثُ

في الخلاف العارض من جهة الأفراد والتركيب

هذا باب طريف جداً وقد تولدت منه بين الناس أنواع كثيرة من الخلاف ، وهو باب يحتاج إلى تأملٍ شديد ، وحِذْق بوجه القياس ، ومعرفة تركيب^١ الألفاظ ، وبناء بعضها على بعض ؛ وذلك أنك تجد الآية الواحدة ربّما استوفت الغرض المقصود بها من التعمّد فلم تحوجك إلى غيرها ، كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾^(١) . و ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾^(٢) وقوله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾^(٣) ، فإن كل واحدة من هذه الآيات قائمة بنفسها مستوفية الغرض^٢ المراد منها من التعمّد ، وكذلك الأحاديث الواردة كقوله عليه الصلاة والسلام^٣ : « الزَّعِيمُ غَارِمٌ »^(٤) ، و « الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي وَالْيَمِينُ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ »^(٥) . وربّما وردت الآية غير مستوفية

١ . (تركيب) لم ترد في ط .

٢ . في م ، ط : للغرض . - في م : المراد بها من التعمّد .

٣ . في م ، ط : كقوله .

- (١) سورة النساء ٤ : ١ . الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ .
- (٢) سورة النساء ٤ : ١٣٥ . الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ .
- (٣) سورة التغابن ٦٤ : ١٢ . الآية : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ، فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ .
- (٤) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه كلهم من حديث أبي أمامة قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول في الخطبة عام حجة الوداع : العارية مؤداة والزعيم غارم والدين مقضي » . قال أبو عيسى : وفي الباب عن سمرة وصفوان بن أمية وأنس . قال : وحديث أبي أمامة حديث حسن غريب . الترمذي ٣ : ٥٦٥ ، ابن ماجه : ٨٠٤ ، أبو داود ٣ : ٤٠٢ .
- (٥) أخرج الإمام الترمذي الحديث بهذا اللفظ في كتاب الأحكام من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . الجامع الصحيح ٣ : ٦٢٦ .

لـلـغرضِ المرادِ من التَّعبُدِ وَوَرَدَ تَمَامُ الغرضِ في آيةٍ أُخـرى ، وكـذلك الحديث . كقوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾ ^(٦) . [١٥ أ] فظاهر هذه الآية أنَّ مَنْ أَرَادَ حَرْثَ الدُّنْيَا أُوتِيَ مِنْهَا ، وَنَحْنُ نَشَاهِدُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَحْرِصُونَ عَلَى الدُّنْيَا وَلَا يُؤْتُونَ مِنْهَا شَيْئًا ^١ .

فهو كلامٌ محتاجٌ إلى بيانٍ وإيضاحٍ . ثم قال في آيةٍ أُخـرى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ﴾ ^(٧) فإذا أُضِيفَتْ هذه الآيةُ إلى الآيةِ الأولى بَانَ مُرَادُ اللَّهِ تعالى وارتفع الإشكال . وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ ﴾ ^(٨) وَنَحْنُ نَرَى الدَّاعِيَ يَدْعُو فَلَا يَسْتَجَابُ لَهُ . ثم قال في آيةٍ أُخـرى : ﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ ﴾ ^(٩) فدلَّ اشتراطُ الْمَشِيئَةِ في هذه الآيةِ الثانيةِ على أَنه مُرَادٌ في الآيةِ الأولى .

وربما وردتُ الآيةُ مُجْمَلَةً ثم يُفَسِّرُهَا الحديثُ ، كآياتِ الواردة مُجْمَلَةً في الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّيَامِ وَالْحَجِّ ؛ ثم شَرَحَتِ السُّنَّةُ وَالْأَثَارُ جَمِيعَ

١ . لي م ، ط : شيئاً منها .

(٦) سورة الشورى ٤٢ : ٢٠ .

(٧) سورة الإسراء ١٧ : ١٨ . الآية : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ ، عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْخُورًا ﴾ .

(٨) سورة البقرة ٢ : ١٨٦ . الآية : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ، فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ .

(٩) سورة الأنعام ٦ : ٤١ . الآية : ﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ .

ذلك ، كقوله تعالى : ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾^(١١) ، ثم قال ﷺ : « خُذُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا : الْبَكْرُ بِالْبَكْرِ جَلْدُ مِئَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِئَةٍ وَالرَّجْمُ »^(١٢) ولأجل هذا صار الفقيه مضطراً في استعمال القياس إلى الجمع بين الآيات المفترقة والأحاديث^١ المتغايرة ، وبناء بعضها على بعض .

ووجه الخلاف العارض من هذا الموضع أنه رُيَا أخذ بعض الفقهاء بمفرد الآية ، وبمفرد^٢ الحديث ، وبني آخر قياسه على جهة التركيب الذي ذكرنا ؛ بأن يأخذ بمجموع آيتين ، أو بمجموع حديثين ، أو بمجموع آيات ، أو بمجموع أحاديث ، فيفضي بها الحال إلى الاختلاف فيما ينتحلانه^٣ ، وربما أفضت بها الحال إلى التناقض فأحل أحدهما ما يحرم الآخر^٤ ، وربما أفضى بها الأمر إلى اختلاف العقائد فقط ، وربما أفضى بها إلى الاختلاف في الأسباب فقط ، كاختلافهم في سبب تحريم الخمر : فإن قوماً يستدلون على وجوب تحريمها بمجرد قوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمْ

١. في م ، ط : وبين الأحاديث .

٢. في م ، ط : أو بمفرد .

٣. في م ، ط : ينتجانه .

٤. لم ترد العبارة في ن .

(١٠) سورة النساء ٤ : ١٤ .

(١١) أخرجه مسلم من حديث عبادة بن الصامت بتكرار قوله : خذوا عني . وقوله : والنفي سنة : ٣ : ١٣١٦ ، وأخرجه بنحوه الدارمي ٢ : ١٨١ ، وابن ماجه ٢ : ٨٥٢ . وفي كتاب التفسير للبخاري (سورة النساء) قال ابن عباس : لهن سبيلاً يعني الرجم للثيب والجلد للبكر .

الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴿١٣﴾ . وقومٌ يستدلُّون على وجوب تحريمها^١ بمجرد قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ ﴿١٣﴾ . وقوم يرون ذلك بطريق التركيب وبناء الألفاظ [١٥ ب] بعضها على بعض وذلك أنه لما قال تبارك وتعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَاعٌ لِلنَّاسِ ﴾ ﴿١٤﴾ ، ثم قال في آية أخرى : ﴿ قُلْ إِنَّا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ ﴾ ﴿١٥﴾ تركَّبَ من مجموع الآيتين قياسٌ أنتج تحريمَ الخمر ، وهو أن يُقال : كلُّ إثمٍ حرام ، والخمر إثم ، فالخمر إذن حرام . والإثم من أسماء الخمر ، وأنشد اللغويون^(١٦) :

شربتُ الإثمَ حتَّى زالَ عقلي كذاكَ الإثمُ يذهبُ بالعقول

١. في م ، ط : يستدلون عليه بمجرد .

(١٢) سورة الحشر ٥٩ : ٧ . الآية : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

(١٣) المائدة ٥ : ٩٠ - ٩١ . ونصها : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّا نُرِيدُ الشَّيْطَانَ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ .

(١٤) البقرة ٢ : ٢١٩ . والآية : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَاعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

(١٥) سورة الأعراف ٧ : ٣٣ . الآية : ﴿ قُلْ إِنَّا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَابْتَغَى الْبَغْيَ الْحَقَّ ، وَأَنْ تَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

(١٦) قال في اللسان (أثم) : والإثم عند بعضهم الخمر ، قال الشاعر :

ومثل هذا قوله تعالى فيما حكاه عن قوم لوط : ﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾^(١٧) ثم قال في هذه الآية التي ذكرناها : ﴿ قُلْ إِنَّا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ ، فتركب من مجموع الآيتين قياس وهو : كل فاحشة حرام ، وفعل قوم لوط فاحشة ، ففعل قوم لوط إذا حرام . فعلى مثل هذا أنتجت النتائج وركبت القياسات .

ووقع بين أصحاب القياس الخلاف بحسب تقدم القياس أو بحسب تأخره .

وخالفهم قوم آخرون لم يروا القياس ، ورأوا الأخذ بظاهر الألفاظ فنشأ من ذلك نوع آخر من الخلاف .

وبما اختلفت^١ فيه أقوال الفقهاء لأخذ كل واحد منهم بحديث مفرد اتصل به ولم يتصل به سواه ، ما روي عن عبد الوارث بن سعيد أنه قال : (قدمت مكة فألفيت فيها^٢ أبا حنيفة فقلت له : ما تقول في رجل باع بيعاً وشرط شرطاً ؟ فقال : البيع باطل والشرط باطل . فأتيت ابن أبي

١ . في ط : اختلف .

٢ . في ط : بها .

= شرب الإثم حتى ضل عقلي كذاك الإثم تذهب بالعقول ونقل قول ابن سيده : إنه إنما سماها إثمًا لأن شربها إثم .

قال ابن منظور : قال أبو بكر : وليس الإثم من أسماء الخمر بمعروف ، ولم يصح فيه ثبت صحيح . قلت : والوجه ما قاله ابن سيده .

(١٧) سورة الأعراف ٧ : ٨٠ . الآية : ﴿ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ .

لَيْلَى فَسَأَلَتْهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : الْبَيْعُ جَائِزٌ وَالشَّرْطُ بَاطِلٌ . فَأَتَيْتُ ابْنَ شُبْرَمَةَ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : الْبَيْعُ جَائِزٌ وَالشَّرْطُ جَائِزٌ . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : يَا سُبْحَانَ اللَّهِ ! ثَلَاثَةٌ مِنْ فُقَهَاءِ الْعِرَاقِ لَا يَتَّفِقُونَ عَلَى مَسْأَلَةٍ ! فَعُدْتُ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ صَاحِبَاهُ ، فَقَالَ : مَا أَدْرِي مَا قَالَا لَكَ ؛ حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ بَيْعٍ وَشَرْطٍ)^(١٨) فَالْبَيْعُ بَاطِلٌ وَالشَّرْطُ بَاطِلٌ . فَعُدْتُ إِلَى ابْنِ أَبِي لَيْلَى فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ صَاحِبَاهُ فَقَالَ : مَا أَدْرِي مَا قَالَا لَكَ . حَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : (أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَشْتَرِيَ بَرِيرَةَ فَأَعْتَقَهَا)^(١٩) الْبَيْعُ جَائِزٌ وَالشَّرْطُ بَاطِلٌ . قَالَ : فَعُدْتُ إِلَى ابْنِ شُبْرَمَةَ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ [١٦ أ] صَاحِبَاهُ فَقَالَ : مَا أَدْرِي مَا قَالَا لَكَ . حَدَّثَنِي مِسْعَرُ بْنُ كِدَامٍ عَنْ مُحَارِبِ بْنِ دِثَارٍ عَنْ جَابِرٍ قَالَ : (بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بَعِيرًا وَشَرَطَ لِي حُمْلَانَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ)^(٢٠) الْبَيْعُ جَائِزٌ وَالشَّرْطُ جَائِزٌ .

١ . في ط : سبحان .

(١٨) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا يَحِلُّ سَلْفٌ وَبَيْعٌ وَلَا شَرْطَانِ فِي بَيْعٍ ... الْحَدِيثُ » . رَوَاهُ الْخَمْسَةُ وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ خُزَيْمَةَ وَالْحَاكِمُ . وَأَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ بِلَفْظٍ : « نَهَى عَنْ بَيْعٍ وَشَرْطٍ » وَمِنْ هَذَا الْوَجْهِ أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ . وَهُوَ غَرِيبٌ . (سِبَلُ السَّلَامِ ٣ : ١٦ . وَلَوْضُوعُ الشُّرُوطِ فِي الْبَيْعِ وَالْعَتَقِ : إِرْشَادُ السَّارِيِّ ٦ : ٦٨) .

(١٩) وَانْظُرْ فِي حَدِيثِ عَتَقِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ لَبْرِيرَةَ ، إِرْشَادُ السَّارِيِّ ٦ : ٧٦ فَمَا بَعْدَهَا . وَسِبَلُ السَّلَامِ ٣ : ١٠ ، وَمُسْلِمٌ : ٦٧١ ، الدَّارِمِيُّ ٢ : ٢٥٣ ، النَّسَائِيُّ ٧ : ٣٠٠ ، وَصَحِيحُ الْبُخَارِيِّ (طَبْعَةٌ اسْتَأْنَبُولُ) ٢ : ١٢٩ .

(٢٠) وَرَدَّ الْحَدِيثُ فِي (مُسْلِمٍ) مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى غَيْرِ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا الْمُؤَلِّفُ . وَفِيهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ : « قَدْ أَخَذْتَ جَمْلَكَ بِأَرْبَعَةِ دَنَانِيرٍ وَلَكَ ظَهْرُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ » ، انْظُرْ قِصَّةَ الْحَدِيثِ وَسَائِرَ رَوَايَاتِهِ فِي مُسْلِمٍ : ١٢٢١ - ١٢٢٤ .

وقد تَرَدُّ الآية والحديث¹ بلفظٍ مُشْتَرَكٍ يَحْتَمِلُ تَأْوِيلَاتٍ كَثِيرَةً ؛ ثُمَّ تَرَدُّ آيَةٌ أُخْرَى أَوْ حَدِيثٌ آخَرٌ بِتَخْصِيصِ ذَلِكَ اللَّفْظِ الْمُشْتَرَكِ وَقَصْرِهِ عَلَى بَعْضِ تِلْكَ الْمَعَانِي دُونَ بَعْضٍ ، كَقَوْلِهِ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾^(٢١) فَإِنَّ لَفْظَةَ الضَّلَالِ² لَمَّا كَانَتْ مُشْتَرَكَةً تَقَعُ عَلَى مَعَانٍ كَثِيرَةٍ تَوْهَمُ قَوْمٌ مِّنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فَهْمٌ صَحِيحٌ بِالْقُرْآنِ وَلَا مَعْرِفَةٌ ثَابِتَةٌ بِاللِّسَانِ أَنَّهُ أَرَادَ الضَّلَالِ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْهُدَى فزَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ عَلَى مَذْهَبِ³ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَهَذَا⁴ خَطَأٌ فَاحِشٌ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ اعْتِقَادِهِ فِيمَنْ طَهَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِنُبُوتِهِ وَارْتِضَاءِ لِرِسَالَتِهِ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ مَا يَرَدُّ قَوْلُهُمْ لَكَانَ فِيمَا وَرَدَ مِنَ الْأَخْبَارِ الْمُتَوَاتِرَةِ مَا يَرَدُّ عَلَيْهِمْ ، ذَلِكَ لِأَنَّهُ قَدْ⁵ رَوَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمُونَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ (الْأَمِينِ) وَكَانُوا يَرْتَضُونَهُ حَكَمًا لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ . وَكَانَتْ عِنْدَهُمْ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ يَرَوْنَهَا وَإِنْذَارَاتٌ⁶ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْكَهَّانِ بِأَنَّهُ يَكُونُ نَبِيًّا ، وَلَوْلَا أَنَّ كِتَابَنَا هَذَا لَيْسَ مَوْضُوعًا لَهَا لَأَقْتَصَصْنَاهَا ، فَيَكْفَى وَالْقُرْآنُ الْعَزِيزُ قَدْ كَفَانَا هَذَا كُلَّهُ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ⁷ فِي سُورَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ⁸ : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾^(٢٢) ، فَهَذَا نَصٌّ جَلِيٌّ فِي شَرْحِ مَا وَقَعَ فِي تِلْكَ الْآيَةِ مِنَ الْإِبْهَامِ وَبَيِّنٌ أَيْضًا⁹ أَنَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا أَرَادَ الضَّلَالِ

١. في م ، ط : أو الحديث .

٢. في ن : الضلالة .

٣. في ط : دين قومه — وهو خطأ .

٤. في ط : لأنه روي .

٥. في م ، ط : وإنذار .

٦. في م ، ط : عز من قائل . — (عليه السلام) زيادة من ط .

٧. في م ، ط : في موضع آخر .

(٢١) سورة الضحى ٩٣ : ٧ .

(٢٢) سورة يوسف ١٢ : ٣ . في تفسير القرطبي ٩ : ١٢٠ (أي من الغافلين عما عرفناكه) .

الذي هو الغفلة كما قال في موضع آخر : ﴿ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾^(٢٣) أي لا يغفل . وقال تعالى^١ : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾^(٢٤) أي تغفل وتنسى^٢ ، وقالت الصوفية : معناه^٣ : ووجدك محباً في الهدى فهداك . فتأولوا الضلال هنا بمعنى المحبة . وهذا قول حسن جداً ، وله شاهد من القرآن واللغة .

أما شاهده من القرآن فقوله تعالى فيما حكاه^٣ من قول إخوة يوسف لأبيهم : ﴿ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾^(٢٥) إِنَّا أَرَادُوا بِالضَّلَالِ هُنَا إِفْرَاطَ مَحَبَّتِهِ فِي يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَام ، وعلى جميعهم^٤ . وأما شاهده من اللغة فإنه جائز في مذاهب العرب أن تسمى المحبة ضلالاً ، لأن إفراط المحبة يشغل المحب عن كل غرض ويحمله على النسيان والإغفال لكل واجب مفترض ؛ ولذلك قيل : (الهوى يعمي ويصم)^(٢٦) . فسميت

١ . في م ، ط : وقال .

٢ . في م ، ط : أي وتغفل . — كلمة (معناه) لم ترد في ن .

٣ . في م ، ط : فما حكاه الله تعالى من .

٤ . في م ، ط : صلى الله عليهم أجمعين .

(٢٣) سورة طه ٢٠ : ٥٢ . والآية : ﴿ قَالَ عَلَيْهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ .
(٢٤) سورة البقرة ٢ : ٢٨٢ . وجاء في الآية : ﴿ ... وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ .

(٢٥) سورة يوسف ١٢ : ٩٥ . والآية : ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ .
(٢٦) نقل في كشف الخفا (١ : ٤١٠) عن المقاصد الحسنة للسخاوي في حديث : (حبك الشيء يعمي ويصم) قال : رواه أبو داود والعسكري عن أبي الدرداء مرفوعاً وموقوفاً . والوقوف أشبه .

وقيل في معناه : إن النبي ﷺ أراد أن من الحب ما يعميك عن طريق الرشد ويصمك عن استماع الحق . وقيل معناه : أن العين تعمى عن النظر إلى مساوئه وتعم الأذن عن استعمال العدل فيه . وقيل معناه : يعمي ويصم عن الآخرة .

المحبة ضللاً إذ كانت [١٦ ب] سَبَب^١ الضلال على مذاهبهم في تسمية الشيء باسم الشيء إذا كان منه سَبَب .

ومن هذا الباب قوله سبحانه^٢ وتعالى في سورة نوح عليه السلام : ﴿ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾^(٢٧) والأجل قد علمنا أنه لا تأخير فيه . وقد بين ذلك بقوله في عقب الآية : ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ﴾ ، وقال في موضع آخر : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾^(٢٨) ، فوجب أن ينظر في معنى هذا التأخير ما هو ؟ ثم وجدنا هذه الآية المبهمة المجملة قد شرحتها آية واضحة مفصلة كففتنا التأويل ، ولم نحوجنا إلى طلب الدليل ، وهي قوله تعالى في أول سورة هود عليه السلام : ﴿ وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾^(٢٩) فدللت هذه الآية على أنه إنما أراد بتأخير الأجل التمتع الحسن^٤ ، لأن التمتع الحسن^٥ يجمع فيه الغنى ، والسلامة

١. في ط : تَسَبَّب .

٢. في ن : قوله تعالى .

٣. في ط : في معنى التأخير .

٤. في ن : لم ترد كلمة (الحسن) .

٥. في ن : يجمع فيه .

(٢٧) سورة نوح ٧١ : ٣ - ٤ . الآية : ﴿ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ، إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

(٢٨) سورة النحل ١٦ : ٦١ . الآية : ﴿ وَلَوْ يَوَاحِشُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ .

(٢٩) سورة هود ١١ : ٣ . الآية : ﴿ وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ .

من الآفات ، والعز ، والذكر الحسن . والعرب تسمي هذه الأشياء كلها زيادة في العمر وتسمي أضدادها وخلافها نقصاناً من العمر . وقد جاء في بعض الحديث : « أن موسى عليه السلام شكاً إلى الله تعالى بعدو له فأوحى الله تعالى إليه : أني سأميته . فلمّا كان بعد زمن رآه فقيراً ينسج الحَصِير ، فقال : يا ربّ ألم تعديني أن تميته ؟ فقال : أو ليس قد أفقرته ؟ » .

وقد تعيّن علينا في هذا الموضع أن نذكر على كم معنى يتصرف الحياة والموت في اللسان العربي ليتبيّن¹ ما ذكرناه بشواهيده حتى لا يبقى فيه لطاعني مطعن ، بحول الله تعالى .

اعلم أن الحياة والموت لفظتان مشتركتان مُستعملتان² في اللغة العربية على ثلاثة عشر وجهاً : أحدها الوجود والعدم ، والثاني مقارنة النفس الحيوانية الأجسام³ ومفارقتها إياها ، والثالث العز والذل ، والرابع الغنى والفقر ، والخامس الهدى والضلال ، والسادس الجهل والعلم⁴ ، والسابع الحركة والسكون ، والثامن الخصب والجذب ، والتاسع اليقظة والنوم ، والعاشر اشتعال النار وخمودها ، والحادي عشر المحبة والبغضاء ، والثاني عشر الرطوبة واليبس⁵ ، والثالث عشر الرجاء والخوف [١٧ أ] . ونحن نورد على كل وجه من هذه الوجوه أمثلة تشهد بصحة ما قلناه إن شاء الله تعالى .

1 . في م ، ط : ليتبين .

2 . في م ، ط : تستعملان .

3 . في م ، ط : للأجسام .

4 . في م ، ط : العلم والجهل .

5 . في ن : التيبس . ورجعت رواية النسخ الأخرى : وسترده (اليبس) في التفصيل .

أما الحياة والموت المرادُ بها مُقارنةُ النفوسِ للأجسام
ومُفارقةِها إياها فَشهرتها تُغني عن إيرادِ مثالٍ لها .

أما الوجودُ والعَدَمُ فكقولهم للشمسِ ما دامتُ موجودةً حيّةً ، فإذا
عُدمتُ سَمَوها مَيّتة . قال ذو الرّمة^(٣٠) :

فَلَمَّا رَأَيْنَ اللَّيْلَ وَالشَّمْسُ حَيَّةً حَيَاةَ الَّذِي يَقْضِي حُشَاةَ نَارِ

شَبَّهَ الشَّمْسَ عِنْدَ غُرُوبِهَا بِالْحَيِّ الَّذِي يَجُودُ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الْمَوْتِ . وهو
من التشبيهِ البديعِ .

وقال آخر :

إِذَا شِئْتُ أَذَانِي صَرُومَ مُشْيَعٍ مَعِيَ وَعَقَامَ تَتَّقِي الْفَحْلَ مَقْلَتُ
يَطُوفُ بِهَا مِنْ جَانِبَيْهَا وَيَتَّقِي بِهَا الشَّمْسَ حَيٌّ فِي الْأَكَرَعِ مَيّتٌ^(٣١)

يريدُ ظلّها في نصفِ النهار . أرادَ أَنَّهُ موجودٌ في الأَكَرَعِ مَعْدُومٌ من^١
سائرِ الجسمِ .

وأما العز والذل ، والغنى والفقر^٢ ، فنحو ما قدمناه من حديثِ

١ . في ط : في سائر .

٢ . في م ، ط : الفقر والغنى .

(٣٠) البيت من قصيدة طويلة في الديوان : ٤٥٢ . يقول : بقي من الشمس مثل ما بقي من الذي
ينزع عند الموت . قال ابن المعتز : إن قوله : (والشمس حية) من بديع الاستعارة .

(٣١) لم أقف على قائل البيتين . والصروم : الناقة التي لا ترد النضيج (الحوض) حتى يخلو لها ؛
تنصرم عن الإبل - وأقلت المرأة والناقة كانت مقلتا ومقلاتا ، وهي التي تلد واحدا ثم لا تلد -
وناقة عقام : بازل شديدة . والأَكَرَعِ والأَكَرَعِ : (جمع كراع) ، وهي القوائم .

مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام ، وَغَوَّ مَا رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ ^(٣٢) :
« مَنْ سَرَّهُ النَّسَاءُ فِي الْأَجَلِ ، وَالسَّعَةِ فِي الرِّزْقِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » ، وَمِنْهُ
قَوْلُ الشَّاعِرِ ^(٣٣) :

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَحَ بِمَيْتٍ إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتُ الْأَخْيَاءِ
إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَنْ يَعِيشُ كَثِيبًا كَاسِفًا بِأَلِهِ قَلِيلُ الرَّجَاءِ !
وَقَالَ آخِرُ ^(٣٤) :

فَأَثْنُوا عَلَيْنَا لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ بِأَفْعَالِنَا إِنَّ الثَّنَاءَ هُوَ الْخُلْدُ
وَقَالَ آخِرُ ^(٣٥) :

وَكَانَ أَبُو عَمْرٍو مُعَارًا حَيَاتَهُ بِعَمْرٍو فَلَمَّا مَاتَ مَاتَ أَبُو عَمْرٍو !
يَقُولُ : كَانَ ابْنُهُ عَمْرٍو يُحْيِي ذِكْرَهُ ، فَكَأَنَّهُ حَيٌّ ، فَلَمَّا مَاتَ انْقَطَعَ
ذِكْرُهُ ، فَكَأَنَّهُ إِنَّمَا مَاتَ حِينَئِذٍ .

(٣٢) رواه البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، واللفظ في مسلم : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْطِرَّ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَيَنْسَأَ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » . صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، وصحيح البخاري ، كتاب البيوع . وانظر تعليق الشيخ ناصر الدين الألباني على الحديث في مختصر صحيح مسلم ١ : ٢٣٠ . وانظر أيضاً روايات أخرى للحديث في الفتح الكبير ٢ : ١٨٨ .

(٣٣) البيتان من أصمعية لمعدي بن رعاء الغساني (الأصفهيات : ١٥٢) من أبيات قالها في شأن يوم أباغ ، وهو يوم للغساسنة على المناذرة . قال المحققان (أ . شاکر ، أ . هارون) : (والبيتان في شأن من تدعه الحرب سليماً معافى في ثياب من الذل والخزي ، فحياته ليست إلا موتاً . ولكن البيتین سارا بعد ذلك مسير المثل والحكمة الخالدة لكل حياة ذليلة رخيصة) .

(٣٤) البيت من قطعة للحادرة يفتخر فيها بنصر قومه بني ثعلبة بن سعد وحلفائهم على تميم وأحلافهم في يوم كفاة . وروايته في الأغاني (٣ : ٢٧٠) : يا حساننا إن الثناء هو الخلد . والحادرة (أو الحويدرة) هو قطبة بن أوس ، شاعر جاهلي مقل . والحادرة - لغة - الضخم .

(٣٥) لم أقف على قائله .

وأما ما يُرادُ به الهدى والضلالُ ، والعلمُ والجهلُ ، فكقوله تعالى^(٣٦) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ ، وقوله عز وجل^(٣٧) : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِثْنًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾^(٣٧) المعنى : أو مَنْ كَانَ ضَالًّا فَهَدَيْنَاهُ ، وَجَاهِلًا فَعَلَّمْنَاهُ .

وتقولُ العربُ للذكي النبيه : حيٌّ ، وللبليد الغبي : ميتٌ !

وقال لقمان لابنه^(٣٨) : (يا بني جالسِ العلماءَ وازحمهم بِرِكْبَتَيْكَ فَإِنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْقَلْبَ الْمَيِّتَ بِالْكَلِمَةِ مِنَ الْحِكْمَةِ يَسْمَعُهَا كَمَا يُحْيِي الْأَرْضَ بِالْمَطَرِ) .

وأما [١٧ ب] الحياةُ والموتُ المرادُ بهما الحركةُ والسكونُ فنحو قولِ الرَّاجِزِ^(٣٩) :

قَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَمُوتَ^١ الرِّيحُ فَأَرْقُدُ الْيَوْمَ وَأَسْتَرِيحُ
فَجَعَلَ هُبُوبَ الرِّيحِ حَيَاةً ، وَسَكُونَهَا مَوْتًا .

١ . في ط : يموت .

(٣٦) سورة الأنفال ٨ : ٢٤ . والآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ .

(٣٧) سورة الأنعام ٦ : ١٢٢ . والآية : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِثْنًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

(٣٨) النص في العقد ٣ : ١٥٢ - ١٥٣ . وعبارته ثمة : (يا بني زاحم العلماء بِرِكْبَتَيْكَ ، وَأَنْصِتْ إِلَيْهِمْ بِأَذْنَيْكَ ، فَإِنَّ الْقَلْبَ يَحْيَا بِنُورِ الْعُلَمَاءِ كَمَا تَحْيَا الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ بِطَرِيقِ السَّمَاءِ . وَلَقَمَانُ هُوَ لَقْمَانُ الْحَكِيمِ) . (انظر فيه تفسير القرطبي ١٤ : ٥٩ - ٦١) .

(٣٩) في لسان العرب (نشر) : - ولم ينسبه - :

إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ تَمُوتَ الرِّيحُ فَأَقْعُدُ الْيَوْمَ وَأَسْتَرِيحُ

وقال المجنون^(٤٠) :

يَمُوتُ الْهَوَى مَنِّي إِذَا لَقِيَتْهَا وَيَحْيَا إِذَا فَارَقَتْهَا فَيَعُودُ !
وقال آخر :

وَمَجْلُودَةٌ بِالسَّوْطِ فِيهِ^١ حَيَاتُهَا فَإِنْ زَالَ عَنْهَا الْجِلْدُ بِالسَّوْطِ مَاتَتْ
يعني الدَّوَامَةُ^(٤١) .

وأما ما يُرَادُ بِهِ الْخِصْبُ وَالْجَدْبُ ، فَإِنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ : أَتَيْتُ الْأَرْضَ
فَأَحْيَيْتُهَا إِذَا وَجَدْتُهَا مُخْصِبَةً . ويقال : (أَرْضٌ حَيَّةٌ) أي بالهاء ،
و (أَرْضٌ مَيِّتٌ) أي بغير هاء ؛ قال الله تَعَالَى : ﴿ وَأَخْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً
مَيِّتًا ۖ ﴾^(٤٢) وَقَالَ الرَّاجِزُ^(٤٣) :

أَقْبَلَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ يَحْرُدُ حَرْدَ الْحَيَّةِ الْمَغْلَّةِ
قال بعضُ أصحابِ المعاني : أَرَادَ بِالْحَيَّةِ الْأَرْضَ الْمُخْصِبَةَ . وَالْمَغْلَةَ ذَاتُ
الغَلَّةِ ، وَيَشْهَدُ^٢ لِهَذَا التَّأْوِيلِ رَوَايَةُ مَنْ رَوَى : الْجَنَّةَ بِالْجِيمِ وَالنُّونِ .
وقال آخرون : إِنَّمَا أَرَادَ الْحَيَّةَ نَفْسَهَا . وَالْمَغْلَةَ : ذَاتُ الْغُلِّ ، وَالْحَقْدُ .

١ . في ن : فيها . ورجعت رواية النَّسَخِ الْآخَرَى .

٢ . في ط : وتشهد .

(٤٠) البيت لجمل بئينة من أبيات له مشهورة . (الديوان : ٦٧) .

(٤١) قال في اللسان (دوم) : دومت الشمس في كبد السماء : أي دارت ، ومنه اشتقت دوامة الصَّيِّ
التي تدور كدورانها .

(٤٢) سورة قآ ٥٠ : ١١ . والآية : ﴿ رَزَقْنَا لِلْإِبَادِ وَأَخْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ۖ ﴾ .

(٤٣) البيت في الأمالي ١ : ٧ . وروايته فيه وفي اللسان : حرد الجنة . ونقل البكري في السط ١ :

٢١ عن أبي حاتم أن قطرباً هو الذي صنع هذا الرجز . وانظر تخريج الميني وتعليقاته ثمة .
حرد : قصد .

وَشَبَّهَ تَلَوِّي السَّيْلِ وَانْعِطَافَهُ فِي جَرِّيهِ^١ بِتَلَوِّي الْحَيَّةِ وَانْعِطَافِهَا إِذَا مَشَتْ .
وهذا نحو قول ابن الرومي^٢ :

بَيْنَ حِفَافِيْ جَدُولٍ مَسْحُورٍ كَالسَّيْفِ أَوْ كَالْحَيَّةِ الْمَذْعُورِ^(٤٤)
الحفافان : الناحيتان^٣ .

وأما اليقظة والنوم فكقول الله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾^(٤٥) فسمي النوم وفاة . وسأل رجل ابن سيرين عن رجل غاب عن مجلسه فقال له : أما علمت أنه توفّي البارحة ؟ فلما رأى جزع السائل قرأ : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ .
وقال الشاعر^(٤٦) :

مَوْتُ وَنَحْيَا كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَلَا بَدْءَ يَوْمًا أَنْ مَوْتُ وَلَا نَحْيَا !

١ . (في جريه) لم ترد في ن .

٢ . في ط : ذي الرمة . وهو سهو .

٣ . لم ترد العبارة في م ، ط .

(٤٤) من رجز لابن الرومي يصف فيه العنب الرارزقي وهو نوع أبيض طويل الثمرة . وسباق الأبيات ثمة :

ثم جلسنا جلسة المحبور
على حفافي جدول مسجور
أبيض مثل المهرق المنشور
أو مثل متن النصل المشهور
ينساب مثل الحية المذعور

والأبيات من شعره السائر ، وفيه روايات مختلفة كثيرة (انظر الديوان ٣ : ٩٨٧) .

(٤٥) سورة الزمر ٣٩ : ٤٢ .

(٤٦) لم أقف على قائله . وانظر الصفحة ٥١ .

وأما اشتعالُ النَّارِ وخمودُها فشهورٌ متعارفٌ^١ أيضاً .

فمنه قولُ ذي الرِّمة^(٤٧) :

فقلتُ له ازقِّعها إليك وأحيها بروحك واقتتُ لها قيتةً قدراً
يصف ناراً اقتدحها^٢ .

وقال آخر في مثله^(٤٨) :

وزهراءَ إن كَفَنْتَها فهو عَيْشُها وإن لم أكفَّنها فموتٌ معجَّلُ
يعني بالزُّهراءِ الشَّرة السَّاقطة من الزُّند عند الاقتداح ، يقول : إن
بادرتَ إليها عند سَقوطها من الزُّند فلففتها في خِرْقَةٍ حَيَّيتُ ، وإن
تركَّتها ماتتُ وطفئتُ^٣ ! .

وأما الحياةُ والموتُ المُستعملانِ بمعنى^٤ : المحبةُ والبغضاءُ فكقول

الشاعر [١٨ أ]

أبلغُ أبا مالِكٍ عَنِّي مُغلَغَةً وفي العِتابِ حَيَاةً بينَ أقوامٍ^(٤٩)

١ . (متعارف) لم ترد في م ، ط .

٢ . وردت العبارة في ط قبل البيت .

٣ . لم ترد العبارة في ن .

٤ . في م : وأما المحبةُ والبغضاءُ .

(٤٧) البيت في ديوانه (ص ٢٤٦) وقبله :

فلما بدتُ كَفَنْتَها وهي طفلة بطلساء لم تكل ذراعاً ولا شبراً
فلما بدت : أي النار ، كَفَنْتَها : أي غطيتهَا وهي طفلة صغيرة . والطلساء : يعني خرقة
وسخة ضَمَنها النار حين اقتدح - ومعنى بروحك أي بنفخك أي انفخها نفخاً رقيقاً - واقتت
لنارك : أي أطعمها ، يريد : اجعل فوقها من الحطب قليلاً قليلاً .

(٤٨) لم أقف على قائله .

(٤٩) البيت في اللسان (غل) ، ولم ينسبه . والمغلغلة : الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد .

أي إذا تعاتبوا حَيَّيتُ المودةَ بينهم ، وإذا تركوا العتابَ ماتت المودة
أي ذهبت وانقطعت ، وصاروا إلى البغضاء والتهاجر .

وأما الرطوبة واليبس فكنحو ما ذهب إليه السدي في قوله
تعالى : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾^(٥٠)
قال^١ : معناه : يُخْرِجُ السَّنْبِلَةَ الْخَضْرَاءَ مِنَ الْحَبَّةِ الْيَابِسَةِ ، وَيُخْرِجُ الْحَبَّةَ
الْيَابِسَةَ مِنَ السَّنْبِلَةِ الْخَضْرَاءِ . وهذا راجع إلى معنى الخصب والجذب من
بعض وجوهه ، وكقول^٢ ابن ميادة^(٥١) :

سحائبُ لا مِنْ صَيْفٍ ذِي صَوَاعِقٍ ولا مُخْرِفَاتٍ مَأْوَهُنَّ حَمِيمٍ
إِذَا مَا هَبَطْنَ الْأَرْضَ قَدِمَاتٍ عَوْدُهَا بَكِينَ بِهَا حَتَّى يَعِيشَ هَشِيمٌ
وَأَمَّا الرجاءُ والخوفُ فَلَا أَذْكَرُ عَلَيْهِمَا شَاهِدًا غَيْرَ قَوْلِ أَبِي
الطَّيِّبِ^(٥٢) :

١ . في ن : قال قوم .

٢ . في م ، ط : وينحو نحوه قول .

(٥٠) سورة الروم ٢٠ : ١٩ . والآية : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ، وَيُحْيِي
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ . ونقل في تفسير القرطبي (٤ : ٥٦) وقال عكرمة
والسدي : هي الحبة تخرج من السنبل ، والسنبل تخرج من الحبة ، والنواة من النخلة ،
والنخلة من النواة : والحياة في السنبل والنخلة تشبيه .

(٥١) ابن ميادة من مخضرمي الدولتين . والبيتان في الأغاني ٢ : ٢٨٥ ، يصف فيها الغيث . ولها
خبر طريف ثمة . ورواية الأغاني : (صيب ... محرقات) في البيت الأول . والصيف : المطر
ينزل صيفاً . والمحرفات : التي تطر في الخريف . والحميم : المطر الذي يأتي بعد أن يشتد
الحرّ . وللهشيم معانٍ ، منها : النبات الذي بقي من عام أول .

(٥٢) هو ثاني أبيات قطعة للمتنبي في سيف الدولة ، وقد استبطأ السيف مدحه وتغير لذلك
وقبله :

أرى ذلك القرب صار ازورارا وصار طويل السلام اختصارا

الإنصاف (٩)

تَرَكْتَنِي الْيَوْمَ فِي خَجْلَةٍ أَمُوتُ مِرَاراً وَأَحْيَا مِرَاراً
فهذه وجوه الحياة والموت في كلام العرب ؛ قد استوفينا أقسامها لهما
جَرى من ذكر الآية المتقدمة .

ثم نرجع إلى ما كنا فيه فنقول : إنَّ من طريف هذا الباب أنَّه قد
تولَّد منه مقالتان متضادتان كلاهما غلطٌ وخطأ ، ويكونُ الصَّوابُ^١
والحقُّ في مقالة ثالثة متوسطة بينهما ، ترتفع عن حدِّ التقصير وتنحطُّ عن
حدِّ الغلو والإفراط .

وإذا تأملتَ المقالات التي شجرت بين أهلِ ملَّتنا في الاعتقاداتِ رأيتَ
أكثرها على هذه الصِّفة . وقد نبَّهنا رسولُ الله ﷺ على ذلك بقوله :
« دِينَ اللَّهِ بَيْنَ الْغَالِيِ وَالْمَقْصِرِ »^(٥٣) فهذا تصريحٌ منه بهذا الذي ذكرنا
وتحذيرٌ منه . وقال أيضاً : « خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا »^(٥٤) وقال رجلٌ

١. في ن : كلاهما غلط ويكون الحق في مقالة .

= يقول : أنا في خجلة من الناس لإعراضك عني فصرت كأي أموت خجلاً وأحيا مراراً ، لأن
الخجلة كانت عارضة ، إذا زالت حييت ، وإذا عادت صرت كاليت .
الشرح من الواحدي على الديوان : ٥١٢ . وانظر شرح العكبري ١ : ٩٤ .
(٥٣) عقد المحدثون أبواباً مفردة للنهي عن الغلو في الدين . انظر مثلاً : البخاري ٨ : ١٤٤ ، وجمع
الزوائد ١ : ٦١ .

قلت : وجدت في البيان والتبيين للجاحظ في درج كلام له ١ : ٢٠٢ : « ودين الله تبارك
وتعالى بين المقصر والغالي » .
(٥٤) أوسطها . وفي لفظ أوساطها . قال ابن الفرس : ضعيف . وقال في المقاصد : رواه ابن
السمعاني في ذيل تاريخ بغداد لكن بسند فيه مجهول عن علي رضي الله عنه مرفوعاً .
وللدلمي سند عن ابن عباس مرفوعاً : « خير الأعمال أوساطها » في حديث أوله : « دوموا
على أداء الفرائض » . كشف الخفاء : ١ : ٣٩١ .

للحسن البصري^١ ، رحمه الله : (علمني ديناً وسوطاً لا ساقطاً سقوطاً ولا ذاهباً فروطاً ؛ فقال : أحسنت ! خير الأمور أوساطها) .

وهذا نوعٌ يطول فيه الكلامُ إن ذهبنا إلى تتبعه . ولكننا نذكر منه شيئاً يستدلُّ به على غيره .

فمن ذلك أن قوماً لما خطرَ ببالهم أمرُ القدرِ والقضاء ، وأحبوا الوقوفَ على حقيقة ما ينبغي أن يُعتقد من^٢ ذلك تأملوا القرآن العزيز والحديث المأثور ، فوجدوا فيها أشياء ظاهرها الإجماع [١٨ ب] والإكراه كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾^(٥٥) ، وقوله : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً ﴾^(٥٦) ، وقوله : ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾^(٥٧) في آيات كثيرة غير هذه . ووجدوا في الحديث المأثور أيضاً نحو ذلك كقوله ﷺ : « السَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ »^(٥٨)

١ . (رحمه الله) من م ، ط .

٢ . في م ، ط : يعتقد في ذلك .

(٥٥) سورة الأنعام ٦ : ٣٥ . الآية : ﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلًّا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ .

(٥٦) سورة البقرة ٢ : ٧ . الآية : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

(٥٧) سورة النساء ٤ : ١٥٤ - ١٥٥ . الآية : ﴿ فَمَا تَقْضِيهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيٍ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ، بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

(٥٨) أخرجه مسلم في كتاب القدر في حديث طويل من رواية عبد الله بن مسعود رفعه . وفيه : « الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره » ٤ : ٢٠٣٧ . وأخرجه ابن ماجه مرفوعاً من حديث ابن مسعود بهذا اللفظ : ١٨ ، ووقفه الدارمي على ابن مسعود بلفظ : =

فَبِنُوا مِنْ هَذَا النَّوعِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ مَقَالَةً أَصْلُوهَا عَلَى أَنَّ الْعَبْدَ مُجْبَرٌ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الْإِسْطَاعَةِ ، وَصَرَّحُوا بِأَنَّ مَنْ اعْتَقَدَ غَيْرَ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ .

وخطر ببال آخرين مثل ذلك ؛ ورأوا مذهب هؤلاء فلم يرتضوه معتقداً لأنفسهم ، فتصفحوا القرآن والحديث ، فوجدوا فيها آيات أخر ، وأحاديث ظاهرها يؤهم أن العبد مُسْتَطِيعٌ مُفَوَّضٌ إِلَيْهِ أَمْرُهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ ^(٥٩) ، وقوله : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ ^(٦٠) ، وقوله : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ ^(٦١) ، وقوله عليه السلام ^١ : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ حَتَّى يَكُونَ أَبَوَاهُ هُمَا اللَّذَانِ يَهُودَانِهِ أَوْ يَنْصَرَانِهِ أَوْ يمجَّسانِهِ » ^(٦٢) ، وقوله : « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى :

١. في م ، ط : ﷻ .

= « .. والشقي من شقي في بطن أمه ، وإن شر الروايا روايا الكذب » وليس فيه ذكر للسعيد . سنن الدارمي ١ : ٦٩ .

(٥٩) سورة الزمر ٢٩ : ٧ . الآية : ﴿ إِنَّ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ ، وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ، وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ، وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ .

(٦٠) سورة فصلت ٤١ : ١٧ . الآية : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

(٦١) سورة الإنسان ٧٦ : ٣ .

(٦٢) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الجنائز ٢ : ١٠٤ بلفظ : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ... الحديث » . وفي كتاب التفسير بلفظ ما من مولود ٦ : ٢٠ . وأخرجه مسلم من حديث أبي هريرة كذلك بلفظ : « ما من مولود » : ٢٠٤٧ .

خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلِّهِمْ فَأَجَّالْتُهُمْ^١ الشَّيَاطِينَ عَنْ دِينِهِمْ^(٦٣) قَبَنُوا مِنْ هَذَا النُّوعِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ مَقَالَةً ثَانِيَةً مُنَاقِضَةً لِلْمَقَالَةِ الْأُولَى ، أَصْلُهَا عَلَى أَنَّ الْعَبْدَ مُخَيَّرٌ مُفَوَّضٌ إِلَيْهِ أَمْرُهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَسْتَطِيعُ عَلَى مَا لَا يَرِيدُ^٢ رَبَّهُ ؛ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُهُ الْجَاهِلُونَ غُلُوءًا كَبِيرًا .

ثُمَّ عَمَدْتُ كُلَّ فِرْقَةٍ مِنْ هَاتَيْنِ الْفِرْقَتَيْنِ إِلَى مَا خَالَفَ مَذْهَبَهَا مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ فَطَلَبْتُ لَهُ التَّأْوِيلَ الْبَعِيدَ . وَرَدُّوا مَا أَمَكْنَهُمْ رَدُّهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمُنَاقِضَةِ لِمَذْهَبِهِمْ ، وَإِنْ كَانَ صَحِيحًا ، كَمَنْ يَرُومُ سِتْرَ ضَوْءِ النَّهَارِ ، وَيُؤَسِّسُ بَنِيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ !

وَلَمَّا تَأَمَّلْتُ طَائِفَةً ثَالِثَةً مَقَالَتِي^٣ الْفَرِيقَيْنِ^٤ مَعًا لَمْ يَرْتَضُوا بِوَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مُعْتَقِدًا لَأَنْفُسِهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهَا جَمِيعًا خَطَأٌ ، لِأَنَّ الْمَقَالَةَ الْأُولَى تَجْوِيزٌ لِلْبَارِي تَعَالَى ، وَإِبْطَالٌ لِلتَّكْلِيفِ . وَالْمَقَالَةُ الثَّانِيَةُ تَجْهِيلٌ لِلْبَارِي تَعَالَى بِأَمْرِ خَلْقِهِ ، وَتَعْجِيزٌ لَهُ عَنْ تَمَامِ مَشِئَتِهِ فِيهِمْ^٤ وَكِلَا الصَّفَتَيْنِ [١٩ أ] لَا يَلِيقُ بِمَنْ قَدْ وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ، وَأَقْدَرُ الْقَادِرِينَ . وَوَصَفَ نَفْسَهُ جَلَّ جَلَالُهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا نَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾^(٦٤) .

١ . فِي ط : فَاجْتَالْتُهُمْ .

٢ . فِي م ، ط : عَلَى مَا لَا يَرِيدُهُ .

٣ . فِي م : مَقَالَةٌ . — فِي م ، ط : الْفَرِيقَتَيْنِ .

٤ . (فِيهِمْ) لَمْ تَرِدْ فِي ن . — فِي م ، ط : وَكِلْتَا الصَّفَتَيْنِ لَا تَلِيقُ .

(٦٣) فِي صَحِيحِ مُسْلِمَ ، عَنْ عِيَاضِ بْنِ خَارِ الْجَاشَعِيِّ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ : « أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ بِمَا عَلِمَنِي يَوْمِي هَذَا : كُلُّ مَالٍ نَخَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالًا ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلِّهِمْ ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّتْ لَهُمْ ... » إِنْجِ الْحَدِيثِ . وَانْظُرْ مُخْتَصَرَ صَحِيحِ مُسْلِمَ ٢ : ٢٨٣ .

(٦٤) سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٦ : ٥٩ .

ورأوا أن الأخذ بالآيات والأحاديث الأول ليس بأولى من الأخذ بالآيات والأحاديث الآخر وأن الحق إنما هو في واسطة تنتظم الطرفين وتسلم من شناعة المذهبين ، واعتبروا القرآن والحديث ببصائر أصح من بصائر الفريقين فوجدوا آيات وأحاديث تجمع¹ شتيت المقالتين وتخبر بغلط الفريقين ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾^(٦٥) ، وقوله في سورة يوسف عليه السلام : ﴿ وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهِ وَهَمُّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾^(٦٦) ، وقوله : ﴿ وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾^(٦٧) فأثبت للعبد مشيئة لا تتم له² إلا بمشيئة ربه عز وجل . ووجدوا الأمة مجمعة على قولهم : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم³ ، وفي هذا إثبات حول وقوة للعبد لا يتيمان إلا بمعونة الله سبحانه⁴ إياه ، ووجدوا الأمة مجمعة على الرغبة إلى الله في العزمة والاستعاذة به من الخذلان . بقولهم⁵ : اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا فنعجز ولا إلى الناس فنضيع .

ورأوا الله تعالى قد أثبت لنفسه في مُحْكَمِ وَحْيِهِ عِلْمَ غَيْبٍ وَعِلْمَ شَهَادَةٍ

١. في ط : تجمع بين شتيت .

٢. في ط : لا تتم إلا . - في م ، ط : ربه تعالى .

٣. (العلي العظيم) من نسخة ن .

٤. (سبحانه) من نسخة ن .

٥. في م ، ط : وقولهم .

(٦٥) الإسراء ١٧ : ٧٤ .

(٦٦) سورة يوسف ١٢ : ٢٤ . الآية : ﴿ وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهِ وَهَمُّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ، إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ .

(٦٧) سورة الإنسان ٧٦ : ٣٠ . الآية : ﴿ وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ .

بقوله : ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾^(٦٨) . فَعِلْمُهُ الْغَيْبَ عِلْمُهُ الْأَشْيَاءَ^١ قَبْلَ كَوْنِهَا ، وَعِلْمُهُ الشَّهَادَةَ عِلْمُهُ بِالْأَشْيَاءِ وَقْتَ كَوْنِهَا . وَاعْتَبَرُوا أحوَالَ الْإِنْسَانِ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا التَّكْلِيفُ وَأحوَالُهُ الَّتِي لَمْ يَقَعْ فِيهَا تَكْلِيفٌ ، فوجدُوا اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَأْمُرْهُ بِأَلَّا يَسْمَعَ وَلَا يَبْصُرَ^٢ ، وَلَا يَأْكُلَ وَلَا يَشْرَبَ ، عَلَى الْإِطْلَاقِ إِنَّمَا أَمْرُهُ بَأَن يَسْتَعْمَلَ الْآلَةَ الَّتِي يَسْمَعُ بِهَا وَيَبْصُرُ بِهَا وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ^٣ ؛ فِي بَعْضِ الْأَشْيَاءِ ، وَلَا يَسْتَعْمِلُهَا فِي بَعْضٍ ؛ فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ فَرْقٌ ، وَلَا فَرْقَ هَهُنَا إِلَّا أَنَّهُ مُكَنَّ مِنْ أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ ، وَجَعَلَتْ لَهُ اسْتَطَاعَةً عَلَيْهِ وَلَمْ يُمْكِنْ مِنَ الْآخِرِ . وَكَذَلِكَ رَأَوْا حَرَكَةَ يَدِ الْمَفْلُوجِ تَخَالَفَ حَرَكَةَ يَدِ الصَّحِيحِ فَتَبَيَّنَ أَنَّ بَيْنَهُمَا فَرْقًا وَلَا فَرْقَ إِلَّا وَجُودُ الْاسْتَطَاعَةِ فِي إِحْدَاهَا دُونَ الْآخَرِ^٤ وَوَجَدُوا مَعَ هَذَا أَحَادِيثَ تَوَيَّدُ بَطْلَانَ قَوْلِ الْفَرِيقَيْنِ مَعًا ، وَتَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحَقَّ مَتَوَسِّطٌ بَيْنَ غُلُوِّ أَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ وَتَقْصِيرِ الْآخَرِ ؛ كَنَحْوِ مَا رَوَى عَنْ جَعْفَرِ الصَّادِقِ^٥ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (أَنْ رَجُلًا قَالَ لَهُ : هَلِ الْعِبَادُ مُجْبَرُونَ ؟ فَقَالَ^٦ : اللَّهُ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يُجْبِرَ عَبْدَهُ [١٩ ب] عَلَى مَعْصِيَتِهِ^٦ ثُمَّ يَعَذِّبُهُ عَلَيْهَا !! فَقَالَ لَهُ السَّائِلُ : فَهَلِ أَمْرُهُمْ مَفُوضٌ إِلَيْهِمْ ؟ فَقَالَ : اللَّهُ أَعَزُّ مِنْ أَنْ يَجُوزَ فِي مَلِكِهِ مَا لَا يَرِيدُ . فَقَالَ لَهُ السَّائِلُ : فَكَيْفَ ذَلِكَ إِذَا ؟ قَالَ : أَمْرٌ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ ؛ لَا جَبَرَ وَلَا تَفْوِيزَ) .

١ . فِي م ، ط : عِلْمُهُ بِالْأَشْيَاءِ .

٢ . فِي م ، ط : بِأَلَّا يَبْصُرَ وَلَا يَسْمَعَ .

٣ . مَقْطَعٌ (يَشْرَبُ) مِنْ ط .

٤ . فِي م ، ط : إِلَّا وَجُودَ الْاسْتَطَاعَةِ عَلَى وَجْهِ لَا يَقْتَضِي مَا تَوَقَّعْتَهُ الْقَدَرِيَّةُ مِنَ التَّفْوِيزِ .

٥ . فِي م ، ن : الطَّيَّارِ . وَالْمُثَبَّتِ مِنْ ط .

٦ . فِي م ، ط : فَقَالَ جَعْفَرٌ — عَلَى مَعْصِيَةٍ .

(٦٨) سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٦ : ٧٣ .

وكنحو ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أنه (لما انصرف من صفين) قام إليه شيخ فقال : يا أمير المؤمنين أرايتَ مسيرنا إلى صفين ، أبقضاء وقدر ؟ فقال علي رضي الله عنه¹ : والله ما علّونا جبلاً ، ولا هبطنا وادياً ، ولا خطّونا خطوةً ، إلا بقضاءٍ وقدرٍ ! فقال الشيخ : فعند الله أحسب عَنائي إذن ما لي من أجرٍ ! فقال له علي رحمه الله² : مه يا شيخ ! فإنّ هذا قول أولياء الشيطان وخُصماء الرحمن قدريّة هذه الأمة . إن الله أمر تخيراً ، ونهى تحذيراً ؛ لم يُعص مغلوباً ولم يُطع مكرهاً !! فضحك الشيخ ونهض مسروراً ثم قال :

أنتَ الإمامَ الذي نرجو بطاعته يومَ القيامة من ذي العرشِ رضواناً أوضحتَ من ديننا ما كان مُلتبساً جزاك ربك عَنّا فيه إحساناً

وقد روي عن ابن عباس - رضي الله عنه - نحو مقالة جعفر .

فلما وجدوا جميع هذا الذي ذكرناه جَمَعُوا الآياتِ والأحاديثَ وَبَنُوا بعضها على بعض فأنّج لهم من مجموعها مقالةً ثالثةً سليمةً من شناعةِ المقاتلين ، منتظمةً لكل واحدٍ من الطرفين ، ارتفعتُ عن تقصير الجبريّةِ وانحطّتُ عن غلوّ القدريّةِ فوافقت قوله ﷺ : « دينُ الله بين الغالي والمقصر »^(٦٩) بنوا تفريعها على أصلٍ ، وجُملة³ الغرضِ منه : أن الله تعالى علم غيب سبق بكل ما هو كائن قبل كونه ثم خلق الإنسان فجعل له عقلاً

١ . في م : فقال علي : والله ...

٢ . في م ، ط : فقال له علي : مه ..

٣ . في م : جملة . في ط : جمل .

يرشده واستطاعة يصحُّ بها تكليفه ثم طوى علمه السابق عن خلقه وأمرهم ونَهَاَهُمْ وأَوْجَبَ عليهمُ الحِجَّةَ من جهة الأمر والنهي الواقِعَيْنِ عليهم لا من جهة عِلْمِهِ السَّابِقِ فيهم ، فهم يتصرفون بين مطيع وعاصٍ وكلُّهم لا يعدو علم الله السابق فيه .

فمن علم الله تعالى منه أنه يختار الطَّاعة فلا يجوزُ أن يختار¹ المعصية ومن علم أنه يختار المعصية فلا يجوزُ أن يختار² الطَّاعة . ولو جاز ذلك لم يكن علم الله تعالى موصوفاً بالكمال ، ولكان كعلم الخلق³ الذي يُمكن أن يقع الأمر⁴ كما علم ، ويمكن أن يقع بخلاف ما علم . وليس في علم الله الأمور قبل وقوعها إجباراً على ما توهمته [٢٠ أ] المجبرون⁵ . ولا تتم لأحد استطاعة على ما يهيمُّ به من الأمور إلا بأن يعينه الله تعالى عليه أو يكلِّه إلى حوله ويسلِّمه إليه . فإن عصمة الله مما يهيمُّ به من المعصية⁶ كان فضلاً وإن وكله إلى نفسه كان عدلاً .

فإذا اعتبرتُ حال العبد من جهة الإضافة إلى علم الله السابق فيه الذي لا يعدوه وجد في صورة المجبر ، وإذا اعتبرتُ حاله من جهة الإضافة إلى الاستطاعة المخلوقة له والأمر والنهي الواقِعَيْنِ عليه وجد في صورة المفوض إليه .

١ . في م : يتخير .

٢ . في م : يتخير .

٣ . في ط : كعلم الخلقين .

٤ . (الأمر) لم ترد في ط .

٥ . (ولو جاز ... المجبرون) العبارة لم ترد في م .

٦ . في ط : المعاصي .

وليس هناك إجبارٌ مطلقٌ ، ولا تفويضٌ مطلقٌ ، إنما هو أمرٌ بين أمرين يدقُّ عن أفكارِ المعتبرين ويَحْيِرُ أذهانَ المتأملين .
وهذا هو معنى ما أشار إليه حُذَّاقُ أهلِ السُّنَّةِ رحمهم الله بقولهم : إن العبدَ لا مطلقٌ ولا موثَّقٌ .

فما ورد من الآيات والأحاديث التي ظاهرُها الإِجبارُ فهو مصروفٌ إلى أحدِ ثلاثة أشياء :

إما إلى العلمِ السَّابِقِ الذي لا مُخْرَجَ للعبدِ منه ولا يُمكنه أن يتخيَّرَ¹ غيره .

وإما إلى فعلِ فَعَلَهُ اللهُ تعالى به² على جهةِ العقابِ كقوله : ﴿ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾^(٧٠) .

وإما إلى الإخبارِ عَنْ قُدْرَتِهِ تعالى على ما يَشَاءُ ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْمَدْيِ ﴾^(٧١) .

وما ورد من الآيات والأحاديثِ ظاهرُهِ التفويضُ فهو مصروفٌ إلى الأمرِ والنهيِ الواقِعَيْنِ عليه ، وإِنَّا غَلِطَ القَدْرِيَّةُ في هذا لأنهم لا يُثبتونَ لله تعالى علماً سابقاً بالأمورِ قبلَ وَقوعِها . وعلمُ الله عندهم مُحدثٌ - تعالى اللهُ عَمَّا يَقولُه الجاهلون علواً كبيراً³ - فاعتَبَرُوا حالَ العبدِ من جهةِ الأمرِ والنهيِ والاستِطاعةِ المركَّبةِ فيه لا من جهةِ العلمِ السَّابِقِ⁴ .

1 . في م ، ط : يختار .

2 . (به) من ن .

3 . الجملة الاعتراضية لم ترد في م .

4 . (فاعتبروا ... العلم السابق) لم ترد في ط .

(٧٠) سورة النساء ٤ : ١٥٥ .

(٧١) سورة الأنعام ٦ : ٢٥ .

وغلطت الجبرية لأنهم اعتبروا حال العبد من جهة علم الله السابق فيه لا من جهة الأمر والنهي الواقعيين عليه ، وظنوا أن علم الله تعالى بجميع ما يفعله العبد قبل فعله إياه إجبار منه له على الفعل . وكلا القولين غلط لأنهم أخذوا بالطرف الواحد ، وتركوا الطرف الآخر¹ . فكان المذهب أحسن المذاهب لمن أثر الخلاص والسلامة¹ .

ورأى المشيخة وجلّة العلماء الوقف عن الكلام في ذلك والخوض فيه لقوله ﷺ : « إِذَا ذُكِرَ الْقَضَاءُ فَأُمْسِكُوا » .^(*) ولم يكن نهية ﷺ ونهي العلماء عن الكلام في ذلك من أجل أن هذا أمر لا تمكن معرفة الحقيقة منه ، وإنّا كان من أجل دقته وخفائه ، وأنه أمر : الخطأ فيه أكثر من الإصابة . فأنت ترى القدرية والجبرية إلى يومنا هذا يختصمون فيه ، ويناقض بعضهم بعضاً ، ولا يصلون منه إلى شفاء نفس . وكل فرقة من الفريقين يفضي مذهبها إلى شناعة إذا ألزمتها فرت عنها . وكلا الطائفتين قد أخطأت في التأويل ، وضلت عن نهج السبيل ، ووصفت الله تعالى بصفات لا تليق به عند ذوي العقول^{(*)2} .

وهذه - أعزك الله - جملة قليلة تفصيلها كثير . وهو باب ضيق المجال جداً ؛ والخائض فيه تسبق إليه الظنة بغير ما يعتقده ؛ فلذلك نتحامي الكلام فيه بأكثر مما نبهنا عليه ، مع أننا لم نضع كتابنا هذا للخوض في المقالات ؛ إنما وضعناه [٢٠ ب] لتبيين³ المواضع التي نشأ منها الخلاف . لكننا⁴ نقول : ينبغي لمن طلب هذا الشأن ولم يقنعه ما رآه العلماء ،

1 . لم ترد الفقرة السابقة في ط . - . تمة الفقرة لم ترد في م .

2 . ما بين نجمتين لم يرد في غير م .

3 . في ط : لتبيين .

4 . في ط : ولكننا .

وأَمَرُوا به من ترك الخوض فيه ، أن يُرَاعِيَ أَصْلَيْنِ فَإِنْ صَحَّ لَهُ من معتقده فليعلم أنه قد أَصَابَ فَصَّ الحق ؛ وإن أخطأها أو واحداً منها فليعلم أنه قد غَلِطَ فليراجع النظر .

أحدهما : أنه لا فاعلَ على الحقيقة إلا الله تعالى ، وأن كلَّ فاعلٍ غيره إنما يفعلُ بمَعُونَةٍ من عنده ومادَّةٍ يمدُّه بها من فيضِهِ وَحَوْلِهِ ، ولو وكله إلى نفسه لَمَا كَانَ له فعلٌ البتَّة .

والثاني : أن أفعالَ الباري - عزَّ وجلَّ - كُلُّهَا حِكْمَةٌ مُحْضَةٌ لا عبثَ فيها وعدلٌ مُحضٌ لا جَوْرَ فيه ، وحُسْنٌ مُحضٌ لا قبحَ فيه ، وخَيْرٌ مُحضٌ لا شَرَّ فيه . وأن هذه الأشياء¹ إنما تَعْرِضُ في أفعالنا إمَّا لَوُقُوعِ الأمرِ والنَّهي علينا² وإمَّا لما ركز في خِلْقَتِنَا³ من القُوَّةِ العَقْلِيَّةِ التي تُرِينَا بعضَ الأشياءِ حَسَنًا وبعضَهَا قَبِيحًا . وكِلَا⁴ الصِّفَتَيْنِ لا يُوصَفُ بِهِمَا الباري - سُبْحَانَهُ وتعالى - لأنه لا أَمْرَ فَوْقَهُ ولا نَاهِي ، وهو خَالِقُ العَقْلِ ومُوجِدُهُ .

وجملةُ ذلك أنه لا يشبه شيئاً من المخلوقاتِ في جهةٍ من الجهات . فكلُّ قولٍ أَدَاكَ إلى تشبيهِهِ بِخَلْقِهِ في ذاتٍ أو فعلٍ فارفضهُ رَفَضَ النِّوَاةِ وابْذَنهُ نَبَذَ القَذَاةِ⁴ . واعلم أن الحقَّ في غيره فابحث عليه حتى تظفرَ بِهِ ، وإنْ لم يَتَّفَقْ لَكَ فَهْمُ الغَرَضِ مِنْهُ والمَرَادِ ، فاشدد يدَكَ⁵ بِعُرْوَةِ هذا الاعتقادِ ولا تَتَّهِمْ بَارِيكَ في حِكْمَتِهِ ، ولا تُنَازِعُهُ في قُدْرَتِهِ . واعلمُ بأنَّهُ غنيٌّ عنكَ وأنتَ

1 . في م ، ط : الأفعال .

2 . في ن : عليها . - في م ، ط : خلقنا .

3 . في ط : وكلنا .

4 . في ط : القذاة ... النواة .

5 . في م : يديك .

مفتقر إليه ؛ ووارد بما تزوّدت من عملك عليه ، تبارك المنفرد¹ بأقضيته
وأحكامه ، الذي لا يُنازعُ في تقضيه وإبرامه . ولا يمتري العاقلون في
عدله ، ولا ييأسُ المذنبون من عفوهِ وفضله . لا ربّ سِواه ، ولا معبودَ
حاشاه .



1. في ط : المتفرد .

البَابُ الرَّابِعُ

في الخلاف العارض من جهة العموم والخصوص

هذا الباب نوعان :

أحدهما يعرضُ في مَوْضوعِ اللَّفْظَةِ الْمَفْرَدَةِ .

والثاني يعرضُ¹ في التَّركيبِ .

فأمَّا الذي يعرض في مَوْضوعِ اللَّفْظَةِ الْمَفْرَدَةِ فنَحْوُ الْإِنْسَانِ فَإِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَمُومًا وَخُصُوصًا .

أمَّا الْعَمُومُ فَكَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾^(١) [٢١ أ] ، وَقَوْلُهُ : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾^(٢) وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَفْظٌ عَامٌّ لَا يَخُصُّ وَاحِدًا دُونَ آخَرِ قَوْلُهُ : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾^(٣) فَاسْتَثْنَى مِنْهُ وَلَا يُسْتَثْنَى إِلَّا مِنْ جُمْلَةٍ . وَنَحْوُ هَذَا قَوْلُ الْعَرَبِ : (أَهْلَكَ النَّاسَ الدِّينَارَ وَالدِّرْهَمَ) ، وَقَوْلُهُمْ : (الْمَلِكُ أَفْضَلُ مِنَ الْإِنْسَانِ) ، وَ (الْإِنْسَانُ مُتَعَبِّدٌ دُونَ سَائِرِ الْحَيَوَانِ²) .

وَالْخُصُوصُ نَحْوُ قَوْلِهِمْ : (جَاءَ فِي الْإِنْسَانِ الَّذِي تَعْلَمُ وَلَقِيتُ الرَّجُلَ الَّذِي كَلَّمْتُكَ) . وَقَوْلُهُ : (شَرِبْتُ الْمَاءَ وَأَكَلْتُ الْخُبْزَ) ؛ وَلَمْ يَشْرَبْ جَمِيعَ

1 . (يعرض) من : م ، ط .

2 . في ط : الحيوانات .

(١) سورة الانفطار ٨٢ : ١٦ .

(٢) سورة العصر ١٠٣ : ٢ .

(٣) سورة العصر ١٠٣ : ٣ .

الماء ولا أكل جميع الخبز ، وهذا كثير مشهورٌ تُغني شهرته عن الإكثار منه .

وقد يأتي من هذا الباب في القرآن العظيم¹ والحديث أشياء يتفق الجميع² على عمومها أو على خصوصها وأشياء يقع فيها الخلاف .

فمن العموم الذي لم يختلف فيه قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾^(٤) ، و ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾^(٥) ، وقول النبي ﷺ : « الزَّعِيمُ غَارِمٌ وَالْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي وَالْيَمِينُ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ »^(٦) ونحو ذلك كثير .

ومن الخصوص الذي لم يختلف فيه قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾^(٧) وهذا القول لم يقله جميع الناس وإنما قاله رجل واحد ، وهو نعيم بن مسعود ؛ ولا جمع لهم جميع الناس ، وإنما جمع لهم جزء منهم .

1 . (العظيم) من : م ، ط .

2 . في م : الجمع .

3 . في ن : إنا .

(٤) سورة النساء ٤ : ١ . الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ .

(٥) سورة فاطر ٣٥ : ٥ . الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ .

(٦) سبق تخريج الحديث في موضع سابق .

(٧) سورة آل عمران ٣ : ١٧٣ . الآية : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ .

وبما وقع فيه الخلافُ فاحتاجَ إلى فضلِ نظرِ قوله تعالى : ﴿ إِن تَبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوا يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾^(٨) .

قال قومٌ : إن هذه الآية نزلتُ عموماً ثم خصّصت^١ بقوله ﷺ : « صَفَحَ لَأُمْتِي عما حَدَّثْتُ به نَفُوسَهَا مَا لَمْ تَكَلِّمْ به أَوْ تَعْمَلْ »^(٩) ، وَرَوَى عن عائشة ، رضي الله عنها ، أَنَّهَا قَالَتْ : هي خصوصٌ في الكافرِ يُحاسبه الله بما أَسَرَّ وأَعْلَنَ . والقول الأولُ أَصَحُّ وأَوْضَحُّ لقوله تعالى بِإِثْرِ ذَلِكَ : ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾^(١٠) ولا خلافَ في أَنَّ الكافرَ مُعَذِّبٌ غيرُ مغفورٍ له . فَدَلَّ هذا على أَنَّ الحِطَابَ وَقَعَ عَمُوماً لا خصوصاً ، ثم خصّصَ بما ذكرناه^٣ .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ كُلُّ لَه قَاتِتُونَ ﴾^(١١) قال قومٌ : هذا خصوصٌ في أهلِ الطَّاعَةِ ، واحتجُّوا بأن (كلاً) وإن كانت في غالبِ أمرها للعموم فإنها قد تأتي للخصوص^٤ كقوله تعالى : ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً

١ . في م : نسخت .

٢ . في م : أوضح وأصح .

٣ . ثم ... إلخ لم يرد في م .

٤ . في ط : للتخصيص .

(١٠٨) سورة البقرة ٢ : ٢٨٤ . الآية : ﴿ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوا يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ، وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

وانظر ما في الآية من أحكام : تفسير القرطبي ٣ : ٤٢٠ - ٤٢٤ .

(٩) من حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه ، وهو في مختصر صحيح مسلم ١ : ٢٣ : « إِنْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تَجَاوَزَ لَأُمْتِي مَا حَدَّثْتُ بِهِ هُنَا أَنْفُسَهَا مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ » .

(١١) سورة البقرة ٢ : ١١٦ . الآية : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ، بَلْ لَه مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، كُلُّ لَه قَاتِتُونَ ﴾ .

تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴿١٢﴾ [٢١ ب] ، وقوله : ﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ ﴿١٣﴾ ثُمَّ قَالَ : ﴿ فَأَصْبَحُوا لَا يَرَى إِلَّا مَسَاكِينَهُمْ ﴾ ﴿١٣﴾ وقال آخرون : هي عُمومٌ . واختلف القائلون بالعموم ؛ فقال قومٌ : أرادَ أَنَّهُمْ مُطِيعُونَ له يومَ القيامة . وهذا يُروى عن ابنِ عباسٍ ، رضيَ الله عنهما¹ . وقال آخرون : مُطِيعُونَ في الدُّنْيَا . واختلف القائلون بالطَّاعة في الدُّنْيَا فقال بعضهم : طاعةُ الكافرِ سُجودَ ظِلِّهِ لله عز وجل² واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ ﴿١٤﴾ وقال آخرون : معناه أَنَّهُ كُلُّ ما خَلَقَ اللهُ تعالى فيه أثرَ الصَّنعة قائمٌ وميسمُ العبودية³ شاهدٌ أَنَّهُ لَهُ خالقاً حكماً ، لأنَّ أصلَ القنوت في اللغة : القيام ؛ ويدلُّ عليه قوله ﷺ : « وَقَدْ سُئِلَ أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ فَقَالَ : طَوَّلُ الْقُنُوتِ »^(١٥) . فالخلقُ كُلُّهم : مؤمنهم وكافرهم قائمونٌ بالعبودية إمَّا إقراراً بالسنتهم وإمَّا بأثر الصَّنعة البينة فيهم⁴ .

1 . الجملة الدعائية من ط .

2 . عز وجل : من ط .

3 . في م ، ط : أثر للصنعة قائم وميسم للعبودية .

4 . في م : بأثر الصنعة فيهم . في ط : بأثار .

(١٢) سورة النمل ٢٧ : ٢٣ . الآية : ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ .

(١٣) سورة الأحقاف ٤٦ : ٢٤ - ٢٥ . الآيتان : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ غَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أُوْدَيْتِهِمْ ، قَالُوا هَذَا غَارِضٌ مُنْطَرِفًا ، بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ، تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يَرَى إِلَّا مَسَاكِينَهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ .

(١٤) سورة الرعد ١٣ : ١٥ .

(١٥) أخرجه مسلم من حديث جابر : ٥٢٠ ، وابن ماجه من حديث جابر ١ : ٤٥٦ . وأخرجه النسائي من حديث عبد الله بن حبشي الخثعمي ٥ : ٥٨ . والإمام أحمد في مسنده ٣ : ٣٠٢ .

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾^(١٦) . قال قوم :
(هذا خصوصاً في أهل الكتاب لا يُكرهون على الإسلام إذا أدّوا الجزية)
وهو قول الشعبي^(١٧) .

وكان ابن عباس ، رضي الله عنهما^١ ، يراه أيضاً خصوصاً وفسّره
فقال^(١٨) : (معناه أن المرأة من الأنصار كانت لا يعيش لها ولد فتندّر على
نفسها لئن عاش^٢ لتهودنه ! فلما أُجلي بنو النضير إذا فيهم ناس من أبناء
الأنصار . فقالت^٣ الأنصار : يا رسول الله ! أبناؤنا ! فأنزل الله تعالى^٤
هذه الآية) .

وقال قوم هي عموم ثم نسخت بقوله عز وجل^٥ : ﴿ جَاهِدِ الْكُفَّارَ
وَالْمُنَافِقِينَ ﴾^(١٩) .

ومن هذا الباب قوله تعالى^٦ : ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾^(٢٠)

١ . رضي ... لم ترد في ن .

٢ . في ط : لئن عاش ولدها .

٣ . في م ، ط : فقالت .

٤ . ٥ . ٦ . من ط .

(١٦) سورة البقرة ٢ : ٢٥٦ . الآية : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ، فَمَنْ يَكْفُرْ

بِالطَّاعَاتِ وَيُؤْمِنِ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَبِيحٌ عَلِيمٌ ﴾ .

وقد نقل القرطبي (٢ : ٢٨٠ - ٢٨٣) ما قيل في تفسير الآية ، وما ورد في أحكامها .

(١٧) قال القرطبي : هذا قول الشعبي وقتادة والحسن والضحاك .

(١٨) نسبه القرطبي إلى ابن عباس ، رواية عن أبي داود (٣ : ٢٨٠) .

(١٩) سورة التوبة ٩ : ٧٣ . الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ،

وَمَا أَوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَيُسْـَٔسِ الْمَصِيرُ ﴾ .

(٢٠) سورة العلق ٩٦ : ٥ .

فذهب قوم إلى أنه خصوص¹ واختلفوا في حقيقة ذلك فقال بعضهم : أراد آدم عليه السلام واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾^(٢١) . وقال بعضهم : أراد محمداً ﷺ واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ﴾^(٢٢) .

وقال آخرون : هي عموم في جميع الناس . وهذا هو الصحيح² ؛ وما تقدم لا يقوم عليه دليل³ !.

ومن ذلك قوله ﷺ : « المؤمن يأكل في معي واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء »^(٢٣) ، قال قوم : (هذا خصوص في جهجاه⁴ الغفاري ، ورد على النبي ﷺ يريد الإسلام فحلبت له سبع شياه فشرب لبنها . ثم أسلم فحلبت له شاة واحدة فكفته ؛ فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال هذه المقالة) .

فقال⁵ [٢٢] قوم إنه عموم في كل كافر ، واختلفوا في حقيقة معناه ؛

1. سقطت الجملة من ن ، سهواً .

2. في ط : وهو الصحيح .

3. العبارة من م .

4. رسم الامم في ن : جهجه .

5. في م ، ط : وقال .

(٢١) سورة البقرة ٢ : ٣١ . الآية : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

(٢٢) سورة النساء ٤ : ١١٣ . الآية : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ ، وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ .

(٢٣) أخرجه مسلم عن ابن عمر ، وأبي موسى ، وأبي هريرة : ١٦٣٠ - ١٦٣٣ . والبخاري من حديث ابن عمر وأبي هريرة ٦ : ٢٠٠ - ٢٠١ . وابن ماجه من حديث أبي هريرة (وعن ابن عمر بتقديم وتأخير في اللفظ) ٢ : ١٠٨٤ . والدارمي من حديث جابر وأبي هريرة ٢ : ٩٩ .

فقال قومٌ : معناه أن المؤمنَ يُسمِّي اللهَ تعالى على طعامِهِ فتكون^١ فيه البركةُ ، والكافر بخلاف ذلك .

وقال آخرون : إننا ضربَ هذا مثلاً للزُّهادةِ في الدُّنيا والحِرْصِ عليها فجعل المؤمنَ لقناعتهِ باليسيرِ من الدُّنيا كالآكلِ في معيٍّ واحدٍ ، والكافر لشدةِ رغبتهِ في الدُّنيا كالآكلِ في سبعةِ أمعاء .

وهذا القولُ أصحُّ الأقوال . ويشهدُ لصحتهِ ما رواه أبو سعيدٍ الخدري ، رضي الله عنه^٢ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أخوفَ ما أخافُ عليكم ما يخرجُ اللهُ لكم من بركاتِ الأرضِ ؛ فقال له رجلٌ : يا رسولَ الله ! هل يأتي الخيرُ بالشرِّ ؟ فسكتَ رسول الله ﷺ حتَّى ظننَّا أنه يُوحى إليه ، ثم مسحَ العرقَ عن جبينه وقال : أين السائل ؟ فقال : ها أنا ذا يا رسولَ الله ! فقال : إنَّ الخيرَ لا يأتي إلا بالخيرِ ، ثلاثاً ، ولكنَّ هذا المالَ خَصْرَةٌ حلوةٌ وإنَّ مما يُنبِت الربيعَ ما يَقْتُل حَبْطاً أو يُلْمُ إلا آكلةُ الخضرِ تأكلُ حتَّى إذا امتلأتْ خاصرتَها استقبلتِ الشَّمْسَ فبالتْ وثَلَطَتْ ، ثم عادتْ فأكلتْ ، إنَّ هذا المالَ خَصْرَةٌ حلوةٌ مَنْ أخذهَ بحَقِّهِ وَوَضَعَهُ في حَقِّهِ فَنَعِمَ المعونةُ هو^٣ ؛ وَمَنْ أخذهَ بغيرِ حَقِّهِ وَوَضَعَهُ في غيرِ^٤ حَقِّهِ كان كالذي يأْكُلُ ولا يَشْبَعُ » (٢٤) .

١ . في م : فيكون .

٢ . الجملة الدعائية لم ترد في ن .

٣ . الكلمة من ن .

٤ . في ط : بغير .

(٢٤) أخرجه البخاري ٢ : ١٢٧ ، ومسلم : ٧٢٨ ، والنسائي ٥ : ٩٠ من حديث أبي سعيد الخدري بالفاظ متقاربة . وانظر النهاية في غريب الحديث ٢ : ٤٠ . والجمهرة ١ : ٢٢٥ .

ونحو من هذا أيضاً قول أبي ذر رحمته الله : (تَخْضُمُونَ وَتَقْضُمُونَ وَالْمَوْعِدُ اللَّهُ)^(٢٥) .

والخَضْمُ : الأكل بالفم كله . فَضْرِبُهُ مثلاً للرغبة في الدنيا ، والقَضْمُ : الأكل بأطراف الأسنان ؛ فَضْرِبُهُ مثلاً للقناعة ونيل البلغة من العيش .

وقيل : الخضم أكل الرطب والقضم أكل اليابس . وهو نحو المعنى الأول .

وقد يأتي من هذا الباب ما موضوعه في اللغة على العموم ثم تخصصه الشريعة كالمِثْعَةِ فإنها عند العرب اسم لكل شيء استمتع به لا يخص به شيء^٢ دون آخر ، ثم نقلت عن ذلك واستعملت في الشريعة على ضربين : أحدهما : في المِثْعَةِ التي كانت مباحة في أول الإسلام ثم نهى عنها ونسخت بالنكاح والولي .

والثاني : ما تمتع به المرأة من مهرها ، كقوله تعالى : ﴿ وَامْتَعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرَهُ ﴾^(٢٦) ، ولأجل هذا الذي ذكرناه وقع الخلاف في قوله تعالى : ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾^(٢٧) .

١ . رحمه الله من ن . وفي ط : ونحو هذا قول أبي ذر .

٢ . في م : شيئاً .

(٢٥) النهاية ٢ : ٤٤ ، الخصائص ٢ : ١٥٧ .

(٢٦) سورة البقرة ٢ : ٢٣٦ . الآية : ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَامْتَعُوهُنَّ ، عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرَهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

(٢٧) سورة النساء ٤ : ٢٤ . الآية : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ، كِتَابَ اللَّهِ =

فكان ابن عباس يذهب بمعناه إلى المتعة الأولى . وذهب جماعة الفقهاء إلى أن المتعة الأولى منسوخة ، وأن هذه الآية كآتي من (البقرة) ؛ وأن معنى قوله [٢٢ ب] : ﴿ فَاتَّوَهُنَّ أَجُورَهُنَّ ﴾^١ إنما أراد المهر .
والدليل على صحة قول الجماعة قوله : ﴿ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ ﴾^(٢٨) فهذا المهر بإجماع^٢ .



١ . العبارة السابقة لم ترد في ط .

٢ . في ط : بالإجماع .

= عَلَيْكُمْ وَأَجَلٌ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ، فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ، وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيهَا تَرَاثِيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً .

(٢٨) سورة النساء ٤ : ٢٥ . الآية : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمَنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ قَتَاتِكُمُ الْمُؤْمَنَاتِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ ، بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ، فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ، فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

البَابُ الْخَامِسُ

فِي الْخِلَافِ الْعَارِضِ مِنْ جِهَةِ الرِّوَايَةِ

هذا الباب لا تتم الفائدة التي قصدناها منه إلا بمعرفة العِلَلِ التي
تعرض للحديث فتَحِيلَ معناه ؛ فربما أوهمت فيه معارضة بعضه لبعض ،
وربما ولدت فيه إشكالاً يُحَوِّج العلماء إلى طلب التأويل البعيد .

ونحن نذكر العِلَلِ كم هي ؟ ونذكر من كل نوعٍ منها مثلاً أو أمثلة
يُستدل بها على غيرها إن شاء الله تعالى .

اعلم أن الحديث المأثور عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه والتابعين لهم
بإحسان¹ ، رضي الله عنهم ، تعرض له ثلثي عِلَلٍ :
أولاهما² : فساد الإسناد .

والثانية : من جهة نقل الحديث على معناه دون لفظه .

والثالثة : من جهة الجهل بالإعراب .

والرابعة : من جهة التصحيف .

والخامسة : من جهة إسقاط شيءٍ من الحديث لا يتم المعنى إلا به .

والسادسة : أن يُنقل المحدث الحديث³ ويُغفل نقل السبب الموجب
له أو بساط الأمر الذي جرّ ذكره .

والسابعة : أن يسمع المحدث بعض الحديث ويفوته سماع بعضه .

والثامنة : نقل الحديث من الصحف دون لقاء الشيوخ .

1 . (يا أحسان) من ن فقط .

2 . في ن ، ط : أولها .

3 . في ط : بعض الحديث .

العلّة الأولى :

وهي فسادُ الإسناد وهذه العلّةُ أشهرُ العلل عند الناس ، حتّى إن كثيراً منهم يتوهّم أنه إذا صحَّ الإسناد صحَّ الحديث ؛ وليس كذلك ؛ فإنه قد يتفق أن يكونَ رِوَاةُ الحديث مشهورين بالعدالة ، معروفين بصحّة الدين والأمانة ، غير مطعون¹ عليهم ولا مُستَرابٍ بنقلهم وتعرض² مع ذلك لأحاديثهم أعراضٌ على وجوه شتى من غير قصدٍ منهم إلى ذلك ؛ على ما تراه في بقية هذا الباب ، إن شاء الله سبحانه وتعالى .

والإسنادُ يعرضُ له الفسادُ من أوجه³ :

منها الإرسالُ وعدمُ الاتصال .

ومنها أن يكونَ بعضُ رِوَاةِ صاحِبِ بدعة ، أو متّهماً بكذبٍ وقلة ثقة ، أو مشهوراً ببخله وغفلة ، أو يكونَ متعصباً لبعض الصّحابة منحرفاً⁴ عن بعضهم . فإنَّ مَنْ كانَ مشهوراً بالتّعصبِ ثم روى حديثاً في تفضيل مَنْ يتعصبُ له ولم يردْ من غير طريقه لزم أن يُستَرابَ به⁵ ، وذلك أن إفراطَ عصبية الإنسان لمن يتعصبُ له وشدة محبته [٢٣ أ] يحمله على افتعال الحديث ، وإن لم يفتعله بدّله وغير بعض حروفه ؛ كنحو ما

1 . في (ن) : غير مطعونين عليهم . في م ، ط : وغير مطعون .

2 . في ط : ويعرض .

3 . في م : من وجوه .

4 . في ن : متحرفاً .

5 . في ن : (في) .

6 . في ن : له .

فعلت الشيعة : فإنهم رَوَوْا أحاديثَ كثيرةً في تفضيل علي رضي الله عنه ، ووجوب الخلافة له يُنكرها أهلُ السُّنة ؛ مثل روايتهم^(١) : « أنَّ نَجْمًا سَقَطَ على عهدِ رسولِ الله ﷺ فقالَ : انظُرُوا ففي منزلٍ مَن وقع^١ فهو الخليفة بعدي ، فنظروا فإذا هو قد سَقَطَ في دارِ علي . فأكثرَ الناسُ في ذلكَ الكلامَ فأَنزَلَ اللهُ تعالى : ﴿ وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾^(٢) » فهذا حديثٌ لا يشكُّ^٢ ذُو لُبٍّ في^٣ أَنَّهُ مصنوعٌ مُرَكَّبٌ على الآية !

وكالذي فعلت المعتزلة فإنهم تجاوزوا تغيير الحديث إلى أن راموا تغيير القرآن^(٣) ، فلم يصحَّ لهم ذلك في القرآن لإجماع الأمة عليه ، وصحَّ في كثير من الحديث ، فغيروا في المصحف مواضع كثيرة كقراءتهم : (مِن شَرِّ مَا

1. زاد في (ن) : وقع فيه .

2. في ط : أحد ذو لب .

3. كلمة (في) لم ترد في ن .

(١) وفي الحديث المشار إليه : « فقال جماعة من الناس : قد غوى محمد في حب علي ، فأَنزَلَ اللهُ تعالى : ﴿ وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَحَيِّ يَوْحَى ﴾ » . ويجعلونه من رواية ابن عباس ، وأنس بن مالك .

والحديث باطل لا أصل له . (انظر : اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي ١ : ٣٥٧ - ٣٥٨ - الطبعة الأولى) .

(٢) سورة النجم ٥٣ : ١ - ٢ .

(٣) في كلام المؤلف مبالغة ، دعت إليها غيرته ، وفيه مجازفة أيضاً . ولا بدَّ من أن نفهم قوله - رحمه الله - : (فغيروا في المصحف ... إلخ) على معنى الأخذ بغير القراءات المشهورة ، وتوجيه المعنى عليها أحياناً .

خَلَقَ^(٤) بالتَّنوين ، وقراءتهم : (قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَسَاءَ)^(٥) بسين غير مُعجمة وفتح الهمزة . وقالوا في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ﴾^(٦) إِنَّ^(٧) معناه دفعنا . وأنشدوا قول المثلث^(٧) :

١ . (إن) لم ترد في ن .

(٤) قال أبو حيان الأندلسي في البحر المحیط (٨ : ٥٢٠) : قرأ عمرو بن فايد (مِنْ شَرٍّ) بالتَّنوين . ونقل عن ابن عطية المحاربي الأندلسي : قرأ عمرو بن عبید وبعض المعتزلة القائلين بأن الله تعالى لم يخلق الشرَّ (مِنْ شَرٍّ) بالتَّنوين (ما خَلَقَ) على النَّفي . قال : وهي قراءة مردودة ، مبنية على مذهب باطل . الله خالق كل شيء . ولهذه القراءة وجه غير النفي فلا ينبغي أن تَرَدَّ ، وهو أن يكون (ما خلق) بدلاً من (شر) على تقدير محذوف أي : مِنْ شَرٍّ شَرٌّ ما خلق . فحذف [كلمة شَرِّ الثانية] لدلالة (شر) الأولى .

(٥) الأعراف ٧ : ١٥٦ . قال ابن جني (المحتسب ١ : ٢٦١) : إنها قراءة الحسن البصري وعمرو بن فايد الأسواري . وفي البحر المحیط (٤ : ٤٠٢) : وقرأ زيد بن علي والحسن وطاووس وعمرو بن فايد (مَنْ أَسَاءَ) من الإساءة . ونقل عن أبي عمرو الداني أنه لا تصح هذه القراءة عن الحسن وطاووس . وقال ابن حيان : وللمعتزلة تعلق بهذه القراءة من جهة إنفاذ الوعيد ، ومن جهة خلق المرء أفعاله ، وأنَّ (أَسَاءَ) لا فعل فيه لله تعالى .

(٦) سورة الأعراف ٧ : ١٧٩ . الآية : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ .

ولم أقف على من قرأ (ذَرَأْنَا) بدال غير معجمة ، كما نقل المؤلف . ولم يتحدث عن مثل هذه القراءة : أبو حيان في البحر المحیط ، أو القرطبي في (الجامع) ، أو الزمخشري في (الكشف) ، أو ابن جني في (المحتسب) ، أو القاضي عبد الجبار في متشابه القرآن (١ : ٢٠٥) .

(٧) والبيت المثلث العبدى من مفضلية مشهورة (المفضليات : ٢٩٣) وفي شرح المفضليات للتبريزي (٢ : ١٠٣٣) . قال في الشرح : معنى درأت : دفعت وأزلت الشيء عن موضعه . والوضين بمنزلة الحزام . ودرأته : مددته وشدت به رحلها . والدين هنا : الدأب والعادة . تحدث الشاعر عن ناقته ، وشكواها من حله وترحاله وكثرة أسفاره . ولم يرو أحد من القدماء الثقات (ذرأت) بالمعجمة . وهذا تحريف لا شك .

تَقُولُ إِذَا ذَرَأْتَ لَهَا وَضِيفِي أَهَذَا دِينَهُ أَبَدًا وَدِينِي ؟
وليسَ كما زَعَمُوا ؛ إِنَّمَا يُقَالُ فِي الدَّفْعِ : (ذَرَأْتُ) بَدَالٍ غَيْرِ مُعْجَمَةٍ ،
وَكَذَلِكَ رُويَ بَيْتُ الْمُثَقَّبِ بَدَالٍ غَيْرِ مُعْجَمَةٍ ، وَإِنَّمَا (ذَرَأْنَا) بِالذَّالِ
مُعْجَمَةٌ بِمَعْنَى خَلَقْنَا .

وقد رُويَ عن بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَرَأَ : (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا) بِالذَّالِ غَيْرِ مُعْجَمَةٍ¹ .
وَمَا يَبْعَثُ عَلَى الْإِسْتِرَابَةِ بِنَقْلِ النَّاقِلِ أَنْ يُعْلَمَ مِنْهُ حِرْصٌ عَلَى الدُّنْيَا ،
وَتَهَافَتْ عَلَى الْإِتِّصَالِ بِالْمُلُوكِ وَنِيلِ الْمَكَانَةِ وَالْحِظْوَةِ عِنْدَهُمْ . فَإِنَّ مَنْ كَانَ
بِهَذِهِ الصِّفَةِ لَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهِ التَّغْيِيرُ وَالتَّبْدِيلُ ، وَالِافْتِعَالُ² لِلْحَدِيثِ ،
وَالْكَذِبِ ، حِرْصاً عَلَى مَكْسَبٍ³ يَحْصُلُ عَلَيْهِ ؛ أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ^(٨) :
وَلَسْتُ وَإِنْ قُرْبْتُ يَوْمًا بِبَائِعٍ خَلَاقِي وَلَا دِينِي ابْتِغَاءَ التَّحْبُوبِ
وَيَعْتَدُّهُ قَوْمٌ كَثِيرٌ تَجَارَةً وَيَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ دِينِي وَمَنْصِبِي
وَقَدْ نَبَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى نَحْوِ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ بِقَوْلِهِ : « إِنَّ
الْأَحَادِيثَ سَتَكْثُرُ بَعْدِي كَمَا كَثُرَتْ عَنْ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي فَمَا جَاءَكُمْ عَنِّي

1 . (بالذال غير المعجمة) لم ترد في ذ .

2 . في م و ط : أو الافتعال .

3 . في م : مكتسب .

(٨) البيتان من قطعة حماسية للبعيث الحنفي (شرح الحماسة للمرزوقي ١ : ٢٧٩) ولأبيه شعر أيضاً
في الحماسة . قال الأمازي في ترجمة البعث إنه شاعر محسن . وقال عن أبياته هذه إنها أبيات
جيدة مختارة .

والبيتان يترددان في كتب الأدب والاختيارات الشعرية في أثناء نصّه المختار . (وانظر أيضاً
المؤتلف والمختلف : ٧٢ ، وعيون الأخبار ١ : ٢٧٦) .
ورواية البيت الأول : (خلاقي ولا قومي ... إلخ) .

فَاعْرِضُوهُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فَمَا وَافَقَ كِتَابَ اللَّهِ¹ فَهُوَ عَنِّي ؛ قُلْتُهِ أَوْ
لَمْ أَقُلَّهُ «^(١) [٢٣ ب] .

وقد رُوي أَنَّ قَوْمًا مِنَ الْفُرْسِ وَالْيَهُودِ وَغَيْرِهِمْ لَمَّا رَأَوْا الْإِسْلَامَ قَدْ ظَهَرَ
وَعَمَّ وَدَوَّخَ وَأَذَلَّ² جَمِيعَ الْأُمَمِ وَرَأَوْا أَنَّهُ³ لَا سَبِيلَ إِلَى مُنَاصَبَتِهِ رَجَعُوا إِلَى
الْحِيلَةِ وَالْمَكِيدَةِ فَأَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ عَنْ غَيْرِ⁴ رَغْبَةٍ فِيهِ وَأَخَذُوا أَنْفُسَهُمْ
بِالتَّعَبِّدِ وَالتَّقَشُّفِ فَلَمَّا حَمَدَ النَّاسُ طَرِيقَتَهُمْ وَلَدُّوا الْأَحَادِيثَ وَالْمَقَالَاتِ ،
وَفَرَّقُوا النَّاسَ فِرَقًا . وَأَكْثَرَ ذَلِكَ فِي الشَّيْعَةِ كَمَا يَحْكِي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَبَأٍ
الْيَهُودِي : (أَنَّهُ أَسْلَمَ وَاتَّصَلَ بِعَلِيٍّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَصَارَ مِنْ شِيعَتِهِ فَلَمَّا
أُخْبِرَ بِقَتْلِهِ وَمَوْتِهِ قَالَ : كَذَبْتُمْ وَاللَّهِ لَوْ جِئْتُونِي⁵ بِدِمَاعِهِ مَضْرُورًا فِي
سَبْعِينَ صُرَّةً مَا صَدَّقْتُ⁶ بِمَوْتِهِ ؛ وَلَا يَمُوتُ حَتَّى يَمْلَأَ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا
مُلِئْتُ جَوْرًا ، نَجِدُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ) ! فَصَارَتْ مَقَالَةٌ يُعْرِفُ أَهْلُهَا

١ . فِي (ن) : كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى .

٢ . (وَأَذَلَّ) لَمْ تَرُدْ فِي ن .

٣ . فِي م ، ط : وَرَأَوْا أَنَّ لَا سَبِيلَ ...

٤ . فِي م ، ط : مِنْ غَيْرِ .

٥ . فِي م ، ط : جِئْتُونَا .

٦ . فِي م ، ط : مَا صَدَّقْنَا .

(٩) فِي الْمَوَافِقَاتِ لِلشَّاطِطِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ (٤ : ١٨) مَا نَصَهُ : (وَرَبِّمَا ذَكَرُوا حَدِيثًا يُعْطِي - يُفِيدُ -
أَنَّ الْحَدِيثَ لَا يُتْلَفُ إِلَيْهِ إِلَّا إِذَا وَافَقَ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى . وَذَلِكَ مَا رَوَى أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ قَالَ : « مَا أَتَاكُمْ عَنِّي فَاعْرِضُوهُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ ، فَإِنْ وَافَقَ كِتَابَ اللَّهِ فَأَنَا قُلْتُهِ ، وَإِنْ
خَالَفَ كِتَابَ اللَّهِ فَلَمْ أَقُلَّهُ أَنَا . وَكَيْفَ أَخَالَفَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَبِهِ هِدَايَةُ اللَّهِ ؟ » قَالَ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ : الزَّنَادِقَةُ وَالْخَوَارِجُ وَضَعُوا ذَلِكَ الْحَدِيثَ .

قَالُوا : وَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ لَا تَصَحُّ عَنْهُ ﷺ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِصَحِيحِ النُّقْلِ مِنْ سَقِيهِ (.) . انْتَهَى .
قُلْتُ : وَبَيْنَ الرَّوَايَتَيْنِ عِنْدَ الْبَطْلِيِّوسِي وَالشَّاطِطِيِّ خِلَافٌ فِي نَهَايَةِ الْخَبَرِ . وَلَمْ أَقِفْ عَلَى الصَّيْغَةِ
الَّتِي أَوْرَدَهَا الْمُؤَلِّفُ فِي الْإِنْصَافِ لِهَذَا الْخَبَرِ .

بالسُّبِّيَّة ؛ وأنه قال : (إِنَّ عَلِيًّا هُوَ الْإِلَٰه ، وأنه يُحْيِي الْمَوْتَى ، وأنه غَابَ ولم يَمُتْ !) .

وإذا كان عُمر بن الخطاب^١ رضي الله عنه يتشدد^٢ في الحديث ، ويتوعد عليه والزَّمانُ زمانَ ، والصَّحابةُ متوافرون ، والبدعُ لم تظهر والنَّاسُ في القرن الذي أثنى عليه رسولُ الله ﷺ فما ظنُّكَ بالحالِ في الأزمنة التي دَمَّها رسولُ الله ﷺ^٣ وقد كَثُرَت البدعُ وقَلَّت الأمانة ؟

وللبخاري^٤ - رحمه الله - في هذا الباب غناء^٥ مشكورٌ وسعيٌّ مبرورٌ ؛ وكذلك لمُسلم^(١٠) وابنُ مَعِين^٦ ؛ فإنهم انتقدوا الحديث ، وحرَّروه ، ونبهوا على ضُعفاء المحدثين والمتَّهمين بالكذب ، حتَّى ضَجَّ من ذلك مَنْ كان في عصرهم . وكان ذلك أحد الأسباب التي أوغرتُ صدورَ الفقهاء على البخاري ، فلم يَزَالوا يرصدون له المكاره حتى أمكنتهم فيه فُرصةٌ بكلمةٍ قالها فكفَّروه بها^٧ وامتحنوه وطردوه من موضعٍ إلى موضعٍ ، وحتَّى حمل

١ . (بن الخطاب) لم ترد في ن .

٢ . في (ن) : يشدد .

٣ . (رسول الله ﷺ) عبارة لم ترد في غير ن .

٤ . في م ، ط : وللبخاري أبي عبد الله .

٥ . في م ، ط : غناء .

٦ . في ط : ولا بن معين .

٧ . كلمة (بها) من م ، ط .

(١٠) الإمام البخاري محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦) .

والإمام مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١) .

وابن معين ، وهو : يحيى بن معين بن عون الغطفاني (مولا هم) البغدادي أحد الأئمة الأعلام ، ومن أعلم الناس بصحيح الحديث ، وسقيه . وفي طبقات الحنابلة : قال يحيى بن معين : كتبنا عن الكذابين وسجرنا به التتور وأخرجنا به خبزاً نضيجاً !!

(طبقات الحنابلة ١ : ٤٠٢ ، وطبقات الحفاظ : ١٨٥ ، تاريخ بغداد ١٤ : ١٧٧) .

بعض الناس قلقه من ذلك على أن قال^(١١) :

ولابن معين في الرجال مقالة سَيَسْأَلُ عَنْهَا وَالْمَلِيكَ شَيْدُ
فَإِنْ يَكُ حَقًّا قَوْلُهُ فَهُوَ غِيْبَةٌ وَإِنْ يَكُ زُورًا فَالْعِقَابُ شَدِيدٌ !
وما أخلق قائلَ هذا الشعر بأن يكونَ دفعَ مَغْرَمًا ، وأسرَّ حَسُوءًا في
ارتغاء^(١٢) ، لأنَّ ابنَ مَعِينٍ فيما فَعَلَ أَجْدَرُ بأن يكونَ مَأْجُورًا مِنْ أَنْ
يكونَ موزورًا ، وألَّا يكونَ في ذلك [٢٤أ] مَلُومًا بل مشكورًا^(١٣) .

العلة الثانية :

وهي تقلُّ الحديثِ على المعنى دون لفظِ الحديث^١ بعينه . وهذا البابُ
يَعْظُمُ الغلطُ فيه جدًّا . وقد نشأت منه بين الناسِ شُغُوبٌ شَنِيعَةٌ ؛ وذلك
أن أكثرَ المُحَدِّثِينَ لَا يُرَاعُونَ أَلْفَاظَ النَّبِيِّ ﷺ التي نطقَ بها ، وإنما ينقلون
إلى مَنْ بعدهم معنى ما أَرَادَهُ بِالْفَاظِ آخَرُ^٢ . ولذلك تجددَ الحديثُ الواحدُ في
المعنى الواحدِ يَرِدُ بِالْفَاظِ شَتَّى وَلُغَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ يَزِيدُ بعضُ أَلْفَاظِهَا على
بعضٍ وينقصُ بعضها عن بعضٍ^٣ . على أنَّ اختلافَ أَلْفَاظِ الحديثِ قدُ

١ . في ط : دون اللفظ . وفي م : دون لفظ الحديث .

٢ . في ط : أخرى ... نجد .

٣ . (وينقص بعضها عن بعض) ناقصة في ط .

(١١) لم أقف على قائل الشعر .

(١٢) قول المؤلف : (أسرَّ حسوًا في ارتغاء) هذا مثلٌ . وعبارته في كتب الأمثال : (يسر

حسوًا ... إلخ) . ويضرب في الرجل يُبْدي (يظهر) أمرًا وهو يريد غيره ! قال الأصمعي :

وأصله : الرجل يؤقُّ باللبن فيظهر أنه يريد الرغوة خاصة ... وهو في ذلك ينال (يشرب من

اللبن !) . فصل المقال : ٧٦ .

(١٣) نقل الخطيب البغدادي في ترجمة يحيى بن معين قول بعض المحدِّثين فيه :

ذهبَ العَلِمُ بعيب كلِّ محدِّثٍ وبكلِّ مختلفٍ من الإنسانِ

وبكلِّ وهمٍ في الحديثِ ومشكِّلٍ يُعَيِّ بِه علماء كلِّ بلادٍ

يَعْرِضُ من أجل تكرير النبي ﷺ (في)¹ مجالسَ عدةٍ مُختلفة . وما كان من الحديثِ بهذه الصِّفة فليس كلامنا فيه ، وإنما كلامنا في اختلافِ الألفاظِ التي² تعرضُ من أجلِ نقلِ الحديثِ على المعنى .

ووجه الغلط الواقع من هذه الجهة أنَّ الناس يتفاضلون في قرائحهم وأفهامهم كما يتفاضلون في صورهم وألوانهم وغير ذلك من أمورهم وأحوالهم فربما اتفق أن يسمع الراوي الحديثَ من النبي ﷺ أو من غيره فيتصوّر معناه في نفسه على غير الجهة التي أرادها فإذا عبّر³ عن ذلك المعنى الذي تصوّر في نفسه بألفاظٍ أُخر كان قد حَدَّثَ بخلافِ ما سمعَ عن⁴ غيرِ قصدٍ منه إلى ذلك . وذلك أنَّ الكلامَ الواحدَ قد يحتملُ معنيين وثلاثة . وقد تكون فيه اللفظةُ المشتركةُ التي تقعُ على الشَّيءِ وضدّه كقوله ﷺ : « قَصُّوا الشَّوَارِبَ⁵ وَأَعْفُوا اللَّحَا^(١٤) » . فقوله : « أَعْفُوا » يحتملُ أن يريد : وَفَّروا وكَثَّروا⁶ . (وَيَحْتَمِلُ أن يريد به : قَلَّلُوا وخَفَّفُوا)⁷ فلا يُفهم مراده من ذلك إلا بدليلٍ من لفظ آخر ؛ والمعنيان جميعاً موجودان في كلام العرب . يُقال : عَفَا وَبَرَّ الناقةَ إذا كَثَّرَ ، وكذلك : عَفَا⁸ لِحَمَلِها . قال الله

1 . لم ترد في : ن .

2 . في ط : الذي يعرض .

3 . في م ، ط : وإذا عبّر .

4 . في م ، ط : من غير .

5 . في م ، ط : الشارب .

6 . في م ، ط : أن يريد به كَثَّروا ووفَّروا .

7 . لم ترد العبارة في ن .

8 . كلمة (عفا) لم ترد في م ، ط .

(١٤) سبق تخريجه .

عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ حَتَّى عَفَوْا ﴾^(١٥) أَي كَثُرُوا . قال جرير^(١٦) :
ولكنَّا نَعُضُّ السيفَ منها بأسوقٍ عافياتِ اللُّحْمِ كُومٍ
ويقال عفا المنزل إذا درس . قال زهير^(١٧) :

عَفَا مِنْ آلِ فاطمةَ الجِوَاءُ فِيمَنْ فالقِوادمُ فالحِساءُ^١
ففي مثل هذا يجوز أن يذهبَ النبي ﷺ إلى المعنى الواحد [٢٤ ب] ،
ويذهب الراوي عنه إلى المعنى الآخر ؛ فإذا أدَّى معنى ما سمع دون لفظه
بعينه كان قد رَوَى عنه ضدًّا ما أَرَادَهُ غيرَ عامد .

ولو أدَّى لفظه بعينه لأوشك أن يفهمَ منه الآخر ما لم يفهم الأول .
وقد علم ﷺ أن هذا سيعرضُ بعده فقال مُحذِّراً من ذلك^(١٨) : « نَضَّرَ

١ . ورد في ط ، م : الشطر الأول فحسب .

(١٥) سورة الأعراف ٧ : ٩٥ . والآية : ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ . وفي القرطبي عن ابن عباس : حتى عفوا : أي حتى كثروا .

(١٦) ورد البيت قبل هذا الموضع وهو للشاعر لبيد في ديوانه : ١٠٤ (ط الكويت) الصفحة : ٣٦ .

(١٧) ديوان زهير (صنعة ثعلب) : ٥٦ .

(١٨) أخرجه ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت الأنصاري : « نَضَّرَ الله امرأ سمع منا حديثاً فبلغه . فرب مبلغ أحفظ من سامع » وبالألفاظ أخرى . وأخرجه من حديث عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه . وعن جبير بن مطعم ، والخطبة فيه في ٢ : ١٠١٥ . وفي كتاب العلم (فتح الباري ١ : ١٣٠) : « فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَنِّي أَنْ يَبْلُغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ » .
وفي الدارمي ١ : ٧٤ : « قَرَحِمَ اللهُ مَنْ سَمِعَ مَقَالَتِي الْيَوْمَ قَوَّعَاهَا قُرْبَ حَامِلٍ فَقِهِ وَلَا فِقَةَ لَهُ . وَرَبَّ حَامِلٍ فَقِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ » . (عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه) .

الله امرأً سَمِعَ مَقَالَتي فَوَعَاها وَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا قَرَبٌ مُبْلَغٌ أَوْعَى مِنْ مُبْلَغٍ»¹ .

ومن نحو هذا ما روي عنه عليه السلام : « أَنْ رجلاً جَاءَهُ فقال : أَيْجُوزُ إِيَّانِ المرأةَ فِي دُبْرِها فقالَ : نَعَمْ ، فلما أدْبَرَ الرجلُ قالَ : رُدُّوه عَلَيَّ فلما رجع قالَ : فِي أيِّ الخُرْطَتَيْنِ² أردتَ ، أَمَا من دُبْرِها فِي قُبْلِها فَنَعَمْ وَأَمَا من دُبْرِها فِي دُبْرِها فلا »^(١٩) .

وقد غلط قوم في حديث عائشة رضي الله عنها في هذا المعنى : « إذا حاضت المرأة حرَّم الجُحران »^(٢٠) فتوهَّموا أن هذا الكلام ينفكُّ منه جواز الإتيان في الدُّبُر ! وهذا غلطٌ شديدٌ مَن تأوَّله .

وَقَدْ³ رواه بعضهم : (الجُحرانُ) بضم النُّون ، وزعم أن الجُحران : الفرجُ . ذكر ذلك ابن قتيبة .

والرواية الأولى هي المشهورة ، وليس في الحديث شيءٌ ممَّا توهَّموه . وإنما كان يلزم ما قالوه لو كانت الطهارة من الحيض شرطاً في جواز إتيان المرأة في جُحرِها معاً ، فكان يلزم عند ذلك أن يكون ارتفاع الطهارة

1 . في ط : من سامع .

2 . الخربتين في ط .

3 . في م : وقال .

(١٩) باب النهي عن إتيان النساء في أدبارهن (ابن ماجه ٦١٩ - ٦٢٠) . وانظر : النهاية في غريب الحديث (خرب) .

(٢٠) أورده بألفاظه في النهاية (جحر) ، وقال : يروى بكسر النُّون على التثنية ، تريد الفرج والدُّبُر ، ويروى بضم النون وهو اسم الفرج بزيادة الألف والنون تمييزاً له عن غيره من المحجرة . وقيل : المعنى أن أحدهما حرام قبل الحيض ، فإذا حاضت حرماً جميعاً .

سَبَباً لِتَحْرِيمِهَا مَعاً ، كَمَا كَانَ شَرْطاً فِي تَحْلِيلِهَا مَعاً . فَإِذَا لَمْ يَجِدُوا سَبِيلاً إِلَى تَصْحِيحِ هَذِهِ الدَّعْوَى لَمْ يَلْزَمُوا مَا قَالُوهُ .

وَإِنَّمَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ فَرْجَ الْمَرْأَةِ يُخَالِفُ دُبَّهَا فِي إِبَاحَةِ أَحَدِهِمَا وَتَحْرِيمِ الْآخَرِ . وَالْإِبَاحَةُ الَّتِي خَالَفتَ بَيْنَهُمَا مَعْلُوقَةٌ بِشَرْطِ الطَّهَّارَةِ مِنَ الْحَيْضِ ، فَإِذَا ارْتَفَعَ شَرْطُ الطَّهَّارَةِ ارْتَفَعَتِ الْإِبَاحَةُ الَّتِي كَانَتْ مَعْلُوقَةً بِهِ ، فَاسْتَوِيَا مَعاً فِي التَّحْرِيمِ لِارْتِفَاعِ السَّبَبِ الَّذِي فَرَّقَ بَيْنَهُمَا . وَهَذَا كَقَوْلِ قَائِلٍ لَوْ قَالَ : (إِذَا أُسْكِرَ النَّبِيذُ حَرَّمَ الشَّرَابَانِ) ؛ يَرِيدُ الْحَرَّمَ وَالنَّبِيذَ ، أَيْ اسْتَوِيَا فِي التَّحْرِيمِ . لِأَنَّ النَّبِيذَ إِنَّمَا خَالَفَ الْحَرَّمَ بِشَرْطِ عَدَمِ الْإِسْكَارِ ؛ فَلَمَّا ذَهَبَ السَّبَبُ وَالشَّرْطُ الَّذِي فَرَّقَ بَيْنَهُمَا تَسَاوَيَا مَعاً فِي التَّحْرِيمِ² فَكَمَا أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ إِبَاحَةُ الْحَرِّ قَبْلَ وَجُودِ الْإِسْكَارِ فِي النَّبِيذِ فَكَذَلِكَ قَوْلُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا لَا يَلْزَمُ مِنْهُ إِبَاحَةُ نِكَاحِ الدُّبْرِ قَبْلَ وَجُودِ الْحَيْضِ فِي الْفَرْجِ .

وَنَظِيرُ هَذَا أَيْضاً [٢٥أ] أَنَّ³ رَجُلًا لَوْ كَانَ مَعَهُ ثَوْبَانِ : أَحَدُهُمَا فِيهِ نَجَاسَةٌ تَحَرَّمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ بِهِ ، وَالْآخَرُ طَاهِرٌ يَجُوزُ لَهُ الصَّلَاةُ بِهِ . ثُمَّ أَصَابَتِ الثَّانِي نَجَاسَةٌ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ : قَدْ حَرُمَتِ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ⁴ بِالثَّوْبَيْنِ . إِنَّمَا أَرَادَ أَنَّ الثَّوْبَ الثَّانِي قَدْ صَارَ مِثْلَ الْأَوَّلِ فِي التَّحْرِيمِ ؛ لِعَدَمِ الشَّرْطِ الْمَفْرُقِ بَيْنَهُمَا .

وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ مَا يَنْحُونَحُو هَذَا ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ

1 . فِي سَائِرِ النُّسخِ : فِي حَدِيثِ . وَالْمُثَبَّتُ مِنْ (ن) .

2 . فِي التَّحْرِيمِ : سَقَطَتْ مِنْ م .

3 . فِي م ، ط : لَوْ أَنَّ رَجُلًا .

4 . فِي م ، ط : عَلَيْكَ الصَّلَاةُ بِالثَّوْبَيْنِ إِنَّمَا الرَّادُ .

من جميع الوجوه . وذلك ما روي عنه من قوله عليه السلام : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنْ وَحَرٍ صَدْرِهِ فَلْيَصُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ »^(٢١) . يُريد بشهر الصبر شهر^٢ رمضان . وليس المراد أن شهر الصبر مباح الأكل فيه لمن لم يسره ذهاب وحر صدره ؛ وإنما معناه فليضيف إلى شهر الصبر الواجب صومه على كل حال ثلاثة أيام يصومها من كل شهر .

ومن طريف الغلط الواقع في اشتراك الألفاظ ما روي (من)^٤ : « أَنْ النَّبِيَّ ﷺ وَهَبَ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِمَامَةً تَسْمَى السَّحَابَ فَاجْتَازَ عَلِيٌّ رَحِمَهُ اللَّهُ^٥ مُتَعَمِّمًا بِهَا فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ^٦ لِمَنْ كَانَ مَعَهُ : أَمَا رَأَيْتُمْ عَلِيًّا فِي السَّحَابِ »^(٢٢) أو نحو هذا من اللفظ ، فسمعه بعض المتشيعين لعل رضي الله عنه فظن أنه يريد السحاب المعروف . فكان ذلك سبباً لاعتقاد الشيعة أن علياً في السحاب^٧ ! ولذلك قال إسحاق بن سويد الفقيه^(٢٣) :

- ١ . في م ، ط : وذلك ما روي منه ﷺ من قوله :
- ٢ . كلمة (شهر) من ن فقط .
- ٣ . في م ، ط : ظريف ، بالمعجمة .
- ٤ . (من) لم ترد في ن .
- ٥ . في م ، ط : رضي الله عنه .
- ٦ . في م ، ط : ﷺ لمن كان معه رأيتم .
- ٧ . في م ، ط : زيادة : إلى يومنا هذا .

(٢١) النسائي في باب صوم ثلاثة أيام من الشهر . والمجازات النبوية : ٢٧٢ باللفظ نفسه . قال ابن الأثير : (وَحَر) : هو غشه ووساوسه . وقيل : الحقد والغيط . وقيل : العداوة . وقيل : أشد الغضب .

(٢٢) في النهاية (سحب) فيه : « كان اسم عمامة النبي ﷺ سحاباً سميت به تشبيهاً بسحاب المطر لانسحابه في الهواء » .

(٢٣) هو إسحاق بن سويد العدوي ، فقيه محدث ، معدود في رجال البصريين ؛ من ثقات المحدثين . (الجرح والتعديل ٢ : ٢٢٢) .

برئتُ من الخَوارجِ لستُ مِنْهُمْ من الغَزَالِ مِنْهُمْ وابنِ بابٍ
ومن قُومٍ إذا ذَكَرُوا عَلِيًّا يردُّونَ السَّلَامَ على السَّحَابِ
ولكني أَحَبُّ بَكلِّ قَلْبِي وَأَعْلَمُ أَنَّ ذَاكَ مِنَ الصَّوَابِ
رسول الله والصَّديقُ حَبِّاً به أرجو غداً حُسْنَ الثَّوَابِ^(٢٤)

وقد جعل بعض^١ العلماء من هذا الباب الحديث المروي في خلق آدم على صورة الرحمن . قالوا : وإنما قال رسول الله^٢ ﷺ : « خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ »^(٢٥) والهاء راجعة إلى آدم ، فتوهم بعض السامعين أنها عائدة على الله سبحانه وتعالى ، فنقله على المعنى دون اللفظ ؛ وهذا الذي قالوه لا يلزم . وستتكلّم على هذا الحديث إذا انتهينا^٣ إلى موضعه من هذا الباب إن شاء الله تعالى .

فهذه أمثلة من هذا النوع تنبّه على بقيّته إن شاء الله تعالى .

العلة الثالثة :

وهي الجهلُ بالإعراب ومعاني كلام العرب [٢٥ ب] ومجازاتها ، وذلك أن كثيراً من رواة الحديث قومٌ جُهَالٌ بلسانِ العرب^٤ لا يفرّقون بين

١ . في ط : بعض من العلماء .

٢ . في ط : قال ﷺ .

٣ . في م ، ط : إذا أتينا .

٤ . في م ، ط : باللسان العربي .

(٢٤) الشعر في الكامل للمبرد ٣ : ١٩١ - ١٩٢ . والعقد لابن عبد ربه ٢ : ٤٠٥ . والبيتان ١ - ٢

في : الفرق بين الفرق : ١١٩ .

والغزال لقب واصل بن عطاء أحد متقدمي المعتزلة .

وابن باب هو عمرو بن عبيد بن باب : أحد رؤوس المعتزلة ، وكان زاهداً ورعاً .

(٢٥) سبق تخريج الحديث .

المرفوع ، والمنصوب ، والمخفوض ؛ ولعمري لو أن العرب وضعت لكل معنى لفظاً يؤدّي عنه لا يلتبسُ بغيره لكان لهم عذرٌ من^١ ترك تعلّم الإعراب ، ولم يكن لهم^٢ حاجةٌ إليه في معرفة الخطأ من الصواب .

ولكن العرب قد تفرق بين المعنيين المتضادّين بالحركات فقط واللفظ واحد . ألا ترى أن الفاعل والمفعول ليس بينهما أكثر من الرفع والنصب فربّما حدّث المحدث بالحديث فرفع لفظة منه ينوي بها أنّها فاعلة ونصب أخرى ينوي بها أنّها مفعولة فنقل عنه السامع ذلك الحديث فرفع ما نصب ونصب ما رفع جهلاً منه بما بين الأمرين فانعكس المعنى إلى ضدّ ما أراه المحدث الأول .

ألا ترى أن قوله ﷺ : « لا يَقْتُلْ قُرَشِيٌّ صَبْرًا بَعْدَ الْيَوْمِ »^(٢٦) إذا جزمت اللام من (يقتل) كان له معنى ، وإذا رفعت كان له معنى آخر . ولو أن قارئاً قرأ :

﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ﴾^(٢٧) ففتح الحاء لكان قد كفر وأشرك بالله^٣ ، وإذا كسر الحاء آمن ووحّد ، فليس بين الإيمان والكفر غير حركة .

١ . في م ، ط : في ترك .

٢ . في ط : بهم .

٣ . في غ : بالله تعالى .

(٢٦) في صحيح مسلم (٣ : ١٤٠٩) من حديث عبد الله بن مطيع عن أبيه قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم فتح مكة : لا يَقْتُلْ قُرَشِيٌّ صَبْرًا بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة » .

وقتل الصبر هو أن يمسك (يحبس) شيء من ذوات الروح ثم يُرمى بشيء حتّى يموت !
(٢٧) سورة الحديد ٥٧ : ٣ . والآية : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

ولذلك قال ﷺ : « رَحِمَ اللَّهُ امراً أَصْلَحَ مِنْ لِسَانِهِ »^(٢٨) . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « تَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ وَالسُّنَّةَ وَاللَّحْنَ كَمَا تَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ »^(٢٩) .

واللحن : اللغة ، قال الشاعر^(٣٠) :

وما هاج هذا الشوق إلا حماسةً تَبَكَّتْ عَلَى خَصَاءِ سُرِ قِيُودِهَا
صدوح الضحى معروفة اللحن لم تزل تقود الهوى من مُسْعِدٍ ويقودها
وكذلك قوله تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ﴾^(٣١) ليس بين
الإيمان والكفر فيه غير فتح الواو وكسرهما . وكذلك قوله تعالى :
﴿ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾^(٣٢) .

ولو أن رجلين تقدما إلى حَكَمٍ يدعي أحدهما على صاحبه بثوب
فقرره الحكم على ذلك ، فإنه إن قال : (ما أخذت له ثوب) فَرَفَعَ^١ أَقَرَّ

١ . في ط : بالرفع .

(٢٨) في الفتح الكبير (للجلال السيوطي) : « رحم الله امراً أصلح لسانه » . (انظره في ٢ : ١٣٢) وتخريجاته ثمة .

(٢٩) في سنن الدارمي (٢ : ٢٤١) في خبر أسنده ، قال عمر بن الخطاب : « تعلموا الفرائض واللحن والسنن كما تعلمون القرآن » .

وفي النهاية في غريب الحديث (٤ : ٢٤١) في حديث عمر : « تعلموا السنة والفرائض واللحن كما تعلمون القرآن » ، أي اللغة . وقال الزمخشري (الفائق في غريب الحديث ٢ : ٤٥٨) المعنى : تعلموا الغريب واللحن لأن في ذلك علم غريب القرآن ، ومعانيه ومعاني الحديث والسنة .

واللحن : اللغة والنحو ، واللحن أيضاً : الخطأ في الإعراب ، فهو من الأضداد .

(٣٠) البيتان لعلي بن عميرة في الأمالي (لأبي عليّ البغدادي) ١ : ٥ . وفيه : (تَغَنَّتْ عَلَى ...) .

(٣١) سورة الحشر ٥٩ : ٢٤ . الآية : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ ، الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

(٣٢) سورة المرسلات ٧٧ : مواضع عدة منها .

بالثوب على نفسه ، ولزمه إحضار ثوب ! وإن قال : (ما أخذت له ثوباً) ، فنصب لم يقرّ بشيء ، ولزمته اليمين إن لم تقم عليه به بيّنة .

وكذلك لو قال رجل لامرأته : (أنت طالق ان دخلت الدار) ، فإنه إن فتح الهمزة طلقت عليه في ذلك الوقت [٢٦أ] دون تأخير ، وإن كسر الهمزة لم تطلق عليه في ذلك الوقت ، وإنما تطلق عليه فيما يستقبل إن كان منها دخول في الدار^١ .

ويروى أن الكسائي رحمه الله كتب إليه : (ما تقول في رجل قال^(٣٣) :

فإن ترفقي يا هند فالرفق أئين وإن تخرقي يا هند فالخرق أشأم
فأنت طلاق والطلاق عزيمة ثلاث ومن يخرق أعق وأظلم) ؟

فقال الكسائي رحمه الله :

(إن كان رفع العزيمة ونصب الثلاث فهي ثلاث تطليقات . وإن كان نصب العزيمة ورفع الثلاث فهي واحدة . يريد أنه إذا رفع العزيمة ونصب الثلاث صار التقدير : فأنت طالق ثلاثاً ، والطلاق عزيمة على التقديم والتأخير . وإذا نصب العزيمة ورفع الثلاث لم ينو ثلاث التقديم ، وصار التقدير : فأنت طلاق^٢ . وتم الكلام ؛ ثم قال : والطلاق في حال

١ . في ط : الدار . وفي خ : للدار .

٢ . في خ وط : طالق .

(٣٣) انظر المغني (١ : ٥٤) . والخزانة (٢ : ٦٩ ، ٧٥) . وشرح شواهد المغني (١ : ١٦٨) وبعد هذين البيتين :

فبيني هـ أن كنت غير رفيقة وما لامرئ بعد الثلاث مقتم !
وهي أبيات لم يعرف قائلها .

عزيمة المطلق عليه ثلاثٌ ، فلم يكن في هذا الكلام ما يدلُّ على أن هذا المطلق عزم على الثلاث فيقضى¹ عليه بوحدة .

وقد يمكن أيضاً أن يرفع الثلاث والعزيمة معاً ، فيكون التقدير : فأنت طالق ثلاثٌ ، والطلاق عزيمة ، فيلزم من ذلك ثلاث تطليقات ، والله أعلم) .

العلة الرابعة :

وهي التصحيف . وهذا أيضاً بابٌ عظيم الفساد في الحديث جداً . وذلك أن كثيراً من المحدثين لا يضبطون الحروف ، ولكنهم يرسلونها إرسالاً غير مقيّدة ، ولا مثقفة ، اتكالا على الحفظ ؛ فإذا غفل المحدث عما كتب مدّة من زمانه ، ثم احتاج إلى قراءة ما كتب ، أو قرأه غيره فربما رفع المنصوب ونصب المرفوع كما قلنا ، فانتقلت المعاني إلى أضدادها .

وربما تصحّف له الحرف بحرف آخر لعدم الضبط فيه فانعكس المعنى إلى نقيض المراد به . وذلك أن هذا الخطّ العربي شديد الاشتباه وربما لم يكن بين المعنيين المتضادين غير الحركة أو النقطة كقولهم : (مكرم) بكسر الراء إذا كان فاعلاً ، و (مكرم) بفتح الراء إذا كان مفعولاً . ورجل أفرع بالفاء إذا كان تامّ الشعر ، وأقرع بالقاف : لا شعر في رأسه ! وفي الحديث : « كان رسول الله ﷺ أفرع »^(٣٤) .

١ . في غ وط : يقضي .

(٣٤) النهاية ٣ : ٤٣٦ وفي حديث عمر : « قيل له : الفرعان أفضل أم الصلعان ؟ فقال : الفرعان . قيل : فأنت أصلع . قال : كان رسول الله ﷺ أفرع » . قال ابن الأثير : (الفرعان : ج الأفرع ، وهو الوافي الشعر . وقيل : الذي له جمّة . وكان النبي ﷺ ذا جمّة) .

وقد جاءت من هذا الباب أشياء كثيرة طريفة عن^١ المحدثين ، نحو ما يروى عن يزيد بن [٢٦ ب] هارون^(٣٥) : (أنه روى : كنا جلوساً حول بشر بن معاوية) وإنما هو حول سرير معاوية^٢ .

وكما روى عبد الرزاق^(٣٦) : (يُقاتلون خور كرمان) وإنما هو خوز بالزاي^(٣٧) معجمة .

وكما صحَّف شعبة^(٣٨) التَّلْبَّ العنبري^(٣٩) ، فرواه بشاء مثلثة مكسورة

١ . في ط : أشياء طريفة من .

٢ . في ط : بسر بن معاوية .

(٣٥) هو يزيد بن هارون الواسطي (١١٨ - ٢٠٦) ، السلمي (مولى لهم) ، قال فيه الإمام أحمد : كان حافظاً متقناً للحديث ، وقال فيه : ثقة ، صدوق في الحديث . وكان يزيد يقول : أحفظ أربعة وعشرين ألف حديث بإسنادها ، ولا فخر . (ونقل الزركلي في الأعلام أن البلخي أشار إلى (كتاب) فيه أحاديثه رآه عبد الرحمن بن مهدي ووجد فيه غلطاً) انتهى . انظر فيه تاريخ بغداد ١٤ : ٣٣٧ ، وتهذيب التهذيب ١١ : ٣٦٦ ، طبقات الحفاظ ١ : ١٣٢ .

(٣٦) هو عبد الرزاق بن همام الصنعائي (١٣٦ - ٢١١ هـ) من حفاظ الحديث الثقات . من كتبه : (المصنَّف في الحديث) وهو مطبوع .

(تهذيب التهذيب ٦ : ٢١٠ ، طبقات الخبابة ١ : ١٥٢ ، وفيات الأعيان ٣ : ٢١٦) .

(٣٧) في معجم البلدان (خوز) : الخوز هم أهل خوزستان ونواحي الأهواز بين فارس والبصرة وواسط وجبال اللور المجاورة لأصبهان .

(٣٨) هو شعبة بن الحجاج العتكي الأزدي (مولاهم) (٨٢ - ١٦٠) الواسطي ثم البصري ، من أئمة رجال الحديث حفظاً ودراية وثبتاً . وهو أول من فتش في العراق عن أمر المحدثين ، وجانب (أهل) الضعفاء والمتروكين .

(تاريخ بغداد ٩ : ٢٥٥ ، تهذيب التهذيب ٤ : ٣٣٨ ، حلية الأولياء ٧ : ١٤٤) .

(٣٩) التَّلْبَّ العنبري : في كتاب الجرح والتعديل (٤ : ٤٤٨) : تلْب بن ثعلبة ، عنبري ويقال : تمي ، له صحبة ، روى عنه ابنه . وفي (شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف) للعسكري : ٣٩٢ أن في شعراء بني تميم : التَّلْبَّ العنبري . وقد أشار إلى ما وقع في اسمه من تصحيف .

والبيت للتلب العنبري نفسه ، صنعه ليستعدي به على رجل من قومه كان يُهاجيه . وكان معاصراً لسيدنا عمر بن الخطاب . رضي الله عنه .

ولام ساكنة ، وإنما هو التَّلَبُّ بالتاء ، معجمة ، باثنتين ، وكسر التاء واللام وتشديد الباء ، على وزن طِمِرَّ . ويدلُّ عليه قول الشاعر^(٤٠) :

إِنَّ التَّلَبَّ لَهُ عِرْسٌ يَمَانِيَّةٌ كَأَنَّ فُسُوتَهَا فِي الْبَيْتِ إِغْصَارُ !

وروى بعضهم : (دخلتُ الجنةَ فرأيتُ فيها حبائلَ اللؤلؤِ)^(٤١) ولا وجه للحبائل ههنا لأنَّ الحبائلَ عند العرب الشِّبَاكُ التي يُصَادُ بها الوُحُوشُ ، واحدها حباله . ومن كلام العرب : (خش ذؤالة بالحباله)^(٤٢) . وإنما هو جَنَابِدُ اللؤلؤِ والجَنَابِدُ : جمع جنبذة وهي القَبَّةُ .

١. في م ، ط : تصاد .

(٤٠) العرس بكسر العين : الزوجة .

وانظر في (خوز) النهاية في غريب الحديث (٢ : ٨٧) ، وفي (التلب) ، اللسان (٢ : ٢٢٥ - ٢٢٦) .

(٤١) ورد الحديث بهذه الصيغة في صحيح البخاري (٢ : ٩٣) . وعبارته بنصّها : (ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبائل اللؤلؤ وإذا تُرابها مسك) . وفي مسند الإمام أحمد (٥ : ١٤٤) : جنابذ اللؤلؤ .

قال ابن الأثير (النهاية ٢ : ٣٣٣) : (وفي صفة الجنة : فإذا فيها حبائل اللؤلؤ . هكذا جاء في كتاب البخاري ، والمعروف جنابذ اللؤلؤ . قال : فإذا صحت الرواية فيكون أراد به مواضع مرتفعة كحبال الرمل كأنه جمع حباله ، وحباله : جمع حبل ، وهو جمع على غير قياس) .

وانظر الفتح الكبير (٢ : ١١٠) .

(٤٢) المثل في فصل المقال : ٤٤٩ في باب تخويف الجبان وإجابته عند إيعاده . قال : إذا أرادوا أن يأمرُوا بالتبريق (التخويف) قيل : خشّ ... إلخ . وتقل الميداني في توجيه المعنى رأيين :

١ - أن معنى المثل : توعّد غيري فأني أعرفك !

٢ - أن المثل يقوله من يأمر بالتبريق والإيعاد .

وهذا النوع كثير جداً . وقد وضع فيه الدارقطني^(٤٣) رحمه الله^١ كتاباً مشهوراً سماه (تصحيف الحفاظ)^(٤٤) .

ومن ظريف ما وقع منه في كتاب مسلم ومسنده الصحيح : (نحنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ على كذا انظر)^(٤٥) وهذا شيء لا يتحصل له معنى وهكذا نجده في أكثر النسخ ، وإنما هو : (نحن يوم القيامة على كوم) والكوم : جمع كومة ، وهو المكان المشرف . فَصَحَّفَهُ بعضُ النُّقَلَة ، فكتب : نحن يوم القيامة على كذا ؛ فقرأ مَنْ قرأ فلم يفهم ما هو ، فكتب في طَرَّة الكتاب : (انظر) : يأمرُ مَنْ قرأ [الكتاب] بالنظر فيه [وينبهه عليه]^٤ ، فوجده ثالثُ فظنه أنه من الكتاب ، فألحقه بمتنه !

العِلَّةُ الخامسة :

وهي إسقاطُ شيء من الحديث لا يتم المعنى إلّا به وهذا النوع أيضاً قد

١ . (رحمه الله) زيادة من م ، ط .

٢ . في ط : في كثير من .

٣ . في م ، ط : يأمر قارئ الكتاب .

٤ . ما بين معقوفتين من م ، ط .

(٤٣) الدارقطني : علي بن عمر (٢٠٦ - ٢٨٥ هـ) إمام أهل عصره في علم الحديث . وله كتب في الحديث والرجال .

(٤٤) وانظر مثلاً ما كتبه محمد بن إسماعيل الصنعاني في توضيح الأفكار (٢ : ٤١٩) في مسألة التصحيف . ونبه إلى كتاب الدارقطني في التصحيف .

(٤٥) هذه قطعة من حديث جابر في مسند الإمام أحمد (٣ : ٣٤٥) وفيه : « ... عن أبي الزبير أنه سأل جابراً عن الورود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : نحن يوم القيامة على كوم فوق الناس فيدعى بالأمم ... إلخ الحديث » .

وانظر مختصر صحيح مسلم (١ : ٣٢) . وفي النهاية في غريب الحديث (٤ : ٢١١) : « يجيء (وفي نسخة) : نجيء يوم القيامة على كوم فوق الناس » .

وردت منه أشياء كثيرة في الحديث كنعو ما رواه قوم عن ابن مسعود رضي الله عنه¹ : أنه سئل عن ليلة الجن فقال : (ما شَهِدَهَا مِنَّا أَحَدٌ)^(٤٦) . وروى عنه من طريق آخر : (أنه رأى قوماً من الزُّط^(٤٧) فقال : هؤلاء أشبه مَنْ رَأَيْتُ بِالْجَنِّ لَيْلَةَ الْجَنِّ) ، فهذا الحديث يدل على أَنَّهُ شَهِدَهَا ، والأول يدل على أَنَّهُ لم يشَهِدَهَا ، فالحديثان كما ترى مُتَعَارِضَان . وإنما أوجب التعارض بينهما أَنَّ الذي رَوَى الحديث الأول أسقط منه كلمة رواها غيره ، وإنما الحديث : (ما شَهِدَهَا مِنَّا أَحَدٌ غَيْرِي) .

العلة السادسة :

وهي² أن ينقل المحدث الحديث ، ويغفل عن نقل [٢٧] السَّبَب الموجب له ، فيعرض من ذلك إشكال في الحديث ، أو معارضة لحديث آخر ، كنعو ما رواه قوم من : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى بِالْعَرَنِيِّينَ^(٤٨) الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ وَأَغَارُوا عَلَى لِقَاحِ النَّبِيِّ فَأَمَرَ بِقَطْعِ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ وَسَمَلِ³ عِيُونَهُمْ وَتَرَكَوْا بِالْحَرَّةِ يَسْتَسْقُونَ فَلَا يُسْقُونَ ، حَتَّى مَاتُوا » .

1. رضي الله عنه ، من م ، ط .

2. في ن : وهو .

3. في م : وسمر .

(٤٦) أخرجه مسلم والترمذي وأبو داود . انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٤ : ١٦٨ وتحقيق عبد الباقي : ٣٣٢ . وفي (مسلم) : (أن علقمة سأل ابن مسعود هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن ؟ قال : لا ... الحديث) .

وفي الترمذي : (عن علقمة بن مسعود أنه كان مع النبي ﷺ ليلة الجن ... الحديث) .

(٤٧) في القاموس (زط) الزُّط : جيل من الهند ، معرب جت .

(٤٨) في السيرة ٤ (ط عبد الحميد) : ٣١٨ - ٣١٩ سرية كرز بن جابر لقتل البجليين الذين قتلوا

يساراً . وانظر القرطبي ٦ : ١٤٧ - ١٤٨ ففيه تفصيل واف .

وقد وردت عنه الروايات من طريق شتى : « أنه نهى عن المثلثة »^(٤٩) . وإنما عرض هذا التعارض من أجل أن الذي روى الحديث الأول أغفل نقل سببه الذي أوجبه . ورواه غيره فقال : إنما فعل بهم ذلك لأنهم مثّلوا براعيه فجزاهم^١ بمثل فعلهم . ومن الفقهاء من يرى أن هذا كان في أول الإسلام قبل أن تنزل الحدود ثم نسخ .

وقد ذهب بعض العلماء في قوله ﷺ : « إن الله خلق آدم على صورته »^(٥٠) إلى أنه مما أغفل الناقل ذكر السبب الذي قاله من أجله .

ورَوَوْا : أن النبي ﷺ مرَّ برجلٍ^٢ يلطمُ وجهَ عبده وهو يقول : (قَبَّحَ اللهُ وجهك ووجه من أشبهك) . فقال النبي ﷺ : « إذا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ عَبْدَهُ فليَتَّقِ الوجهَ ؛ فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ »^(٥١) .

قالوا : فالهاءُ إنما تعودُ على العبد . فلما رَوَى الراوي الحديثَ وأغفل روايةَ السَّببِ أوْهمَ ظاهره أنها تعودُ على اللهِ سبحانه وتعالى ؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً^٣ .

١ . في م : برعائه فجازاهم .

٢ . في ط : برجل وهو .

٣ . العبارة الأخيرة من م ، ط .

(٤٩) عن عمران بن الحصين قال : « ما خطبنا رسول الله ﷺ إلَّا أمرنا فيها بالصدقِ ونهانا عن المثلثة » الدارمي ١ : ٣٩٠ . وعن أبي سعيد الخدري قال : « نهى رسول الله ﷺ أن يمثّل بالبهائم » ابن ماجه : ١٠٦٣ . وعن أنس بن مالك قال : « نهى رسول الله ﷺ عن صبر البهائم » ابن ماجه : ١٠٦٣ .

(٥٠، ٥١) في الحديث : أخرج الدارمي من حديث عبد الرحمن بن عائش : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « رأيت ربي في أحسن صورة ... » الدارمي ٢ : ١٢٦ .

قُولِهِمْ ، وَأَعْلَمْنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَهُ وَخَلَقَ جَمِيعَ أَعْمَالِهِ . فهذا ما في الهاء من القولِ إذا كانت عائدة¹ على آدمَ ﷺ .

وإذا كانت عائدة على الله تعالى كانت إضافة صورة آدم إليه على وجه التشريف والتّنويه والتخصيص ، لا على معنى آخر مما يسبق إلى الوهم من معاني الإضافة² ، فيكون كقولهم في الكعبة إنها بيت الله وقد علمنا أن البيوت كلها لله عَزَّ وَجَلَّ ، وكقوله³ : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾^(٥٣) وقد علمنا أن جميع البشر من مؤمن وكافر عباده . وإنّا خصصه بالإضافة إلى الله تعالى دون غيره ؛ لأن الله تعالى شرفه بما لم يشرف به غيره . وذلك أنه عز وجلّ شرف الحيوان على الجماد ، وشرف الإنسان على جميع⁴ الحيوان . وشرف الأنبياء - عليهم السلام - على جميع نوع الإنسان ، وشرف آدم على جميع بنيهِ بأنّ خلقه دفعة من غير ذكر ولا أنثى⁵ ، ودون أن ينتقل من النطفة إلى العلقة ، ومن العلقة إلى المضغة وسائر أحوال الإنسان التي يتصرّف فيها إلى حين كماله . ونسب خلقه إلى نفسه دون سائر البشر فقال : ﴿ لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ ﴾^(٥٤) ، ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ

1 . في م ، ط : راجعة .

2 . في م ، ط : الإضافات .

3 . في ط : وكقوله تعالى .

4 . في ط : سائر الحيوانات .

5 . في ط : ذكر وأنثى .

(٥٣) سورة الفرقان ٢٥ : ٦٣ . والآية : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ .

(٥٤) سورة ص ٢٨ : ٧٥ . الآية : ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ ، أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ .

من رُوحِي ﴿^(٥٥)﴾ . وأسجدَ له ملائكتَه ، ولم يأمرهم بالسُّجودِ لغيره .
فَنَبَّهْنَا عليه السلام بإضافة صورته إلى الله تعالى على هذه المنزلة التي تفرَّد
بها دون غيره . ويدلُّ^١ على صحَّة هذا التأويل قوله^٢ : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ
من رُوحِي ﴾ ، وقوله : ﴿ وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾^(٥٦) ، [أ٢٨]
وقوله : ﴿ لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدِي ﴾ فكما لا تدلُّ إضافة هذه الأشياء إليه^٣ على
أنَّ له نفساً وروحاً ويدين فكذلك إضافة الصُّورة إليه لا تدلُّ على أنَّ له
صورة . وقد يجوز في إضافة الصورة إلى الله تعالى وجهٌ فيه غُمُوض
ودقَّة ، وذلك أن العرب تستعمل الصورة على وجهين :
أحدهما : الصورة التي هي شكل مخطط محدود بالجهات الست^٤ ،
كقولك : صورة زيدٍ وصورة عمرو .

والثاني : يريدون به صفة الشيء الذي لا شكل له^٥ يحس ولا
تخطيط ولا جهات محدودة كقولك : ما صورة أمرك وكيف كانت صورة
قصتك ؟ يريدون بذلك الصِّفة . فقد يجوز أن يكون معنى خلق آدم على
صورته أي على صفته فيكون مصروفاً إلى المعنى الثاني الذي لا تحديد فيه

١ . في ط : ويدلك .

٢ . في ط : قوله تعالى .

٣ . (إليه) نقصت من م .

٤ . كلمة (الست) لم ترد في م ، ط .

٥ . في ط : فيه .

(٥٥) سورة ص ٢٨ : ٧٢ . الآية : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ .
(٥٦) سورة المائدة ٥ : ١١٦ . الآية : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي
وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ، إِنْ كُنْتُ
قُلْتُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ .

فإن قلت : ما معنى¹ هذه الصفة ؟ وكيف تلخيص القول فيها ؟ فالجواب أن معنى ذلك أن الله تعالى جعله خليفة في أرضه ، وجعل له عقلاً يعلم به ويفكر ويسوس ويدبر ويأمر وينهي ، وسلط² على جميع ما في البر والبحر وسخر له ما في السموات والأرض .

وقد قال في نحو هذا بعض المحدثين يمدح بعض خلفاء بني أمية^(٥٧) :

أمره من أمر من ملكه ————— فإذا ما شاء عافى وابتلى
فيكون معنى قولنا في آدم ﷺ : أنه خلق على صورة الله تعالى³ كعنى قولنا فيه : إنه خليفة الله تعالى ، وهذه التأويلات كلها لا تقتضي تشبيهاً ولا تحديداً .

فإن قلت : كيف تصنع بالحديث المروي عنه ﷺ : « رأيت ربّي في أحسن صورة » وهذا لا يمكنك فيه شيء من التأويل المتقدّم ، ولا يصح لك حمله عليه ؟! فالجواب : أن هذا الحديث ورد بلفظ مشترك يحتمل معنيين :

أحدهما : أن يكون قوله في أحسن صورة راجعاً إلى الرائي لا إلى المرئي فيكون معناه : رأيت ربّي وأنا في أحسن صورة .

والثاني : أن يكون قوله : « في أحسن صورة » راجعاً إلى المرئي ،

1 . في م : لها .

2 . في ن : (وسلط) بالبناء لغير الفاعل . وفي م ، ط : وسلطه .

3 . (تعالى كعنى) لم ترد في ن .

(٥٧) لم أقف عليه .

وهو الله تعالى^١ ، فيكون معناه : رأيتُ ربِّي على أحسنِ صفةٍ . فتكون الصورةُ بمعنى الصِّفة التي لا توجبُ تحديداً كما ذكرنا . وهذا في العربية كقولك : (رأيتُ زيدا في الدار) فيجوز أن يكون قولك : (في الدار) لك : [٢٨ ب] كأنك قلت : (رأيتُ زيدا وأنا في الدار) . ويجوز أن يكون المعنى : (رأيتُ زيدا وهو في الدار) وعلى هذا تقول : (رأيتُ زيدا قاعداً قائماً) ، (ولقيتُ زيدا راكبين) . قال الشاعر^(٥٨) :

فإذا^٢ لقيتك خالين لتعلمن أئبي وأئيك فارس الأحزاب

فإذا كانَ التَّقديرُ : « رأيتُ ربِّي وأنا في أحسنِ صورةٍ » كان معناه : أن الله تعالى حَسَّن صورته ونقله إلى هيئة^٣ يمكنه معها رؤيته إذ كان البشرُ لا تمكنهم^٤ رؤية الله تعالى على الصُّورة التي همُّ عليها ، حتَّى يُنقلوا إلى صُورة^٥ أخرى غير صورهم . ألا ترى أن المؤمنين يرون الله تعالى على الصُّورة التي هم عليها^٦ في الآخرة ، ولا يرونه في الدُّنيا لأن الله

١ . في ط : عز وجل .

٢ . في م ، ط : فلئن .

٣ . في م ، ط : صفة .

٤ . في م ، ط : لا يمكنهم .

٥ . في ط : صور .

٦ . زاد من ن : « على الصورة التي هم عليها » .

(٥٨) البيت مجهول القائل . ويرد في بعض كتب النحو شاهداً في باب الحال . وهو مثال على الحال

حين تكون من الفاعل ومن المفعول معاً . والشاهد في قوله : (خالين) . وهو من شواهد

باب الإضافة أيضاً (أي وأبيك) .

وهو في العيني على هامش الخزانة ٣ : ٤٢٢ ، والدرر اللوامع ٢ : ٦٢ ، والأشعوني ٢ : ٣١٧ .

وعجز البيت في مع الهوامع ٢ : ٥١ .

تعالى ؛ ينقلهم عن صفاتهم إلى صفات أخرى أعلى وأشرف . فعجّل الله تعالى لنبيّه ﷺ هذه الكرامة قبل يوم القيامة خصوصاً دون البشر ، حتى رآه وشاهده . والله يُؤتي فضله مَنْ يشاء ، ويختصُّ بكرامته مَنْ يُريد لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون¹ .

وإذا كان ذلك راجعاً إلى الله تعالى كان معناه : أنه رأى ربّه على أحسن ما عوّده من إنعامه وإحسانه وإكرامه وامتنانه . كما تقول للرجل² : كيف كانت صورة أُمرك عند لقاء الملك ؟ فيقول : خير صورة ! أعطاني ، وأنعم عليّ ، وأدنانني من محل كرامته ، وأحسن إليّ .

فهذان تأويلان صحيحان خارجان على أساليب كلام العرب دون تكلف ولا خروج من مُستعمل إلى تعسف³ .

وقد جاء في بعض الحديث⁴ : أنها كانت رؤية في المنام⁵ . فإذا كان الأمر كذلك كان التأويل واضحاً لأنه لا يُنكر⁶ رؤية الله تعالى في المنام⁷ .

ورواه بعضهم : « رأيتُ ربّي » بكسر الباء ، وقالوا : هو غلام كان لعثمان رآه في النوم . ورواه آخرون : « رأيتُ ربّي » . والرئي ما يتراءى

1 . في ن : من يشاء . ونقصت بقية العبارة .

2 . (للرجل) ناقصة من ط .

3 . في ط : متعسف .

4 . في ط : الأحاديث .

5 . في م ، ط : النوم .

6 . في م : لا تنكر .

7 . زاد هنا في م ، ط : وبالله التوفيق .

للإنسان من مَلَكٍ أو شيطان . أراد بذلك أنه رأى جبريل عليهما السلام .
وبالله التوفيق ، لا ربَّ غيره ¹ .

العلة السابعة :

وهي أن يسمع المحدثُ بعض الحديث ويفوته سماعُ بعضه كنعو ما
رُوي من : أنَّ عائشة رضي الله عنها أخبرت أنَّ أبا هريرة حدَّث أن رسول
الله ﷺ قال ^(٥٩) : « إن يكن الشَّؤمُ ففي ثلاثٍ : الدار والمرأة والفرس » .
وهذا الحديث معارضٌ لقوله [٢٩أ] ﷺ : « لا عدوى ولا هامة ولا صفر
ولا غول » ^(٦٠) وقد رُويت عنه في أحاديث ² كثيرة : « أنه ﷺ نهى عن
التطير ، فغضبت عائشة رضي الله عنها وقالت : والله ما قال هذا رسولُ
الله ﷺ قطُّ ، وإنَّا قال : كان أهل الجاهلية يقولون : إن يكن الشَّؤمُ
ففي ثلاثٍ : الدار والمرأة والفرس . فدخل أبو هريرة فسمع آخر ³ الحديث :

1 . العبارة جميعاً من (ن) فقط .

2 . في ط : في أحاديث عنه كثيرة .

3 . (آخر) نقصت من ط .

(٥٩) في سنن الترمذي ٤ : ٢٠٨ باب ما جاء في الشَّؤم ، عن ابن عمر رضي الله عنهما : « الشَّؤمُ في
ثلاثة : المرأة والمسكن والدابة » . وفي الباب عن سهل بن سعد وعائشة وأنس رضي الله عنهم :
« إن كان الشَّؤمُ في شيء ففي المرأة والدابة والمسكن » .

وقد روى حكيم بن معاوية ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا شَّؤم . وقد يكون
اليمن في الدار والمرأة والفرس » .

وفي البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما : « إن الشَّؤمُ في ثلاثة : في الفرس والمرأة والدار » .
وفي مختصر صحيح مسلم عن ابن عمر : « إن يك من الشَّؤم شيء حق ففي الفرس والمرأة
والدار » . وانظر كشف الخفاء ٢ : ١٢ .

(٦٠) في صحيح مسلم : ١٧٤٢ عن أبي هريرة (رضي الله عنه) : « لا عدوى ولا صفر ولا هامة » .
وفي حديث جابر (١٧٤٤) : « لا عدوى ولا طيرة ولا غول » . وانظر مختصر صحيح مسلم
٢ : ١٥١ - ١٥٢ .

ولم يسمع أوله . « وهذا غير مُنكر أن يعرضَ لأن النبي ﷺ كان يذكر في مجالسه¹ الأخبارَ حكايةً ويتكلم بما لا يريد به نهياً ولا أمراً² ، ولا أن يجعله أصلاً في دينه وشيئاً يُستَنُّ به . وذلك معلومٌ من فعله ، ومشهورٌ من قوله .

العلة الثامنة :

وهي نقل الحديث من الصُّحف³ دون لقاء الشيوخِ والسَّماع من الأئمة . وهذا بابٌ أيضاً⁴ عظيم البلية والضرر في الدين ، فإن كثيراً من الناس يتسامحون فيه جداً وأكثرهم إنَّما⁵ يعوّل على إجازة الشيخ له دون لقائه والضبط عليه . ثم يأخذ بعد ذلك علمه من الصُّحف المَسوَّدة والكتب التي لا يعلم صحيحها من سقيمها⁶ ، وربّما كانت مخالفةً لرواية شيخه ؛ فيصحّف الحروف ويبدّل الألفاظ ، وينسب جميع ذلك إلى شيخه ظالماً له . وقد صار علم أكثر الناس في زمننا⁷ هذا على هذه الصفة : ليس بأيديهم من العلم إلا أسماء الكتب⁸ !!

وإنما ذكرتُ لك هذه العِللَ العارضة للحديث لأنّها أصول لنقّاد الحديث المهتبلين بمعرفة صحيحه من سقيه . فإذا ورد عليهم حديثٌ بشع المسموع أو مخالفٌ للمشهور نظروا أولاً في سنده فإن وجدوا في نقلته

1 . في ط : مجلسه .

2 . في م ، ط : أمراً ولا نهياً .

3 . في ط : المصحف . [قلت : ومن معاني المصحف الكتاب مطلقاً] .

4 . (أيضاً) لم ترد في ط .

5 . في ن : أيضاً بدلاً من إنَّما .

6 . في م : صحتها من سقيمها .

7 . في ط : زماننا هذا .

8 . في م ، ط : غير أسماء الكتب .

[وِرَوَاتِهِ] رجلاً مَّتَّهَمًا ببعض تلك الوجوه التي ذكرتها لك¹ استرابوا به ولم يجعلوه أصلاً يعول عليه وإن وجدوا رجاله الناقلين له ثقات مشهورين بالعدالة ، معروفين بالفقه والأمانة ، رجعوا إلى التأويل والنظر ؛ فإن وجدوا له تأويلاً يحمل عليه قَبْلُوه ولم يُنكروه ، وإن لم يجدوا له تأويلاً إلا على استكراهٍ شديدٍ نسبوه إلى غلطٍ وقع فيه من بعض² تلك الوجوه المتقدمة الذكر .

فهذه³ جملة القول في هذا الباب . وبالله التوفيق⁴ . والله أعلم .



1 . في ط : ذكرناها .

2 . (بعض) لم ترد في م .

3 . في م : فهذا .

4 . لم ترد هذه العبارة في ط .

البَابُ السَّادِسُ

في الخلاف العارض من قبل الاجتهاد والقياس

[٢٩ ب] هذا النوعُ إنّما يكون فيما يعدم فيه وجود نصٍّ من قرآن أو حديث ، فيفرغُ الفقيه عند ذلك إلى استعمال القياس والنظر ، كما قال الشاعر^(١) :

إذا أعْيى الفقيه وجود نصٍّ تعلّق لا محالة بالقياس !
والخلاف العارض من هذا الباب^١ نوعان :

أحدهما : الخلاف الواقع بين المنكرين للاجتهاد^٢ والقياس^(٢) ،
والثبتين له^٣ .

والنوع الثاني : خلاف يعرض بين أصحاب القياس في قياسهم
كاختلاف المالكيين والشافعيين والحنفيين^٤ فتعرض من ذلك أنواع من
الخلاف عظيمة وهذا الباب أشهر من أن نطيل .

☆ ☆ ☆

١ . في م : من هذا الموضع . وفي ط : من هذا النوع .

٢ . في ن : من الاجتهاد .

٣ . في ط : لهما .

٤ . في م ، ط : المالكية ، والشافعية ، والحنفية .

(١) لم أقف على قائله .

(٢) أشهر الذين أنكروا القياس أصحاب المذهب الظاهري ، وأتباعه ، وفي رأس المؤلفين على هذا المذهب الإمام ابن حزم الظاهري .

انظر رسالته : (ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل) ومقدمة
أستاذنا سعيد الأفغاني له .

البَابُ السَّابِعُ

في الخلاف العارض من قبل النسخ

الخلاف العارض من هذا النوع يتنوع أولاً نوعين :

أحدهما : خلاف عارض¹ بين مَنْ أنكر النسخ وبين مَنْ أثبتته^(١) . وإثباته هو الصحيح ، وجميع أهل السنّة مُثبتون له . وإنما خالف في ذلك مَنْ لا يُلْتَفَت إلى خلافه لأنه بمنزلة دفع الضرورات وإنكار العيان .

والنوع الثاني : خلاف عارض بين القائلين بالنسخ . وهذا النوع الثاني ينقسم ثلاثة أقسام :

أحدها : اختلافهم في الأخبار هل يجوز فيها النسخ كما يجوز في الأمر والنهي أم لا .

والثاني : اختلافهم² : هل يجوز أن تنسخ السنّة القرآن أم لا ؟

والثالث : اختلافهم في أشياء من القرآن والحديث . فذهب³ بعضهم إلى أنها نُسخَت ، وبعضهم إلى أنها لم تُنسخ .



1 . في م ، ط : يعرض .

2 . في ط : في هل .

3 . في م ، ط : فذهب .

(١) انظر مثلاً كتاب الدكتور أبو زيد عن (النسخ في القرآن الكريم) جزآن .

البَابُ الثَّامِنُ

فِي الْخِلَافِ الْعَارِضِ مِنْ قَبْلِ الْإِبَاحَةِ

هذا النوع من الخلاف يعرض من قبل أشياء وَسَّعَ^١ الله تعالى فيها على عباده وأباحها لهم على لسان نبيه ﷺ كاختلاف الناس في الأذان والتكبير على الجنائز ، وتكبير التشريق ، ووجوه القراءات السبع ونحو ذلك .
فهذه أسباب الخلاف الواقع بين الأمة قد نبَّهتُ عليها وأرشدتُ قارئِي كتابي هذا إليها .

وهذا الكتاب وإن كان صغير الجرم يسير الحجم فإن فيه تنبيهاً^٢ على [٣٠أ] أشياء جليلة يحسن مسمعا^٣ ، ويحلو من نفس الذكي موقعها^٤ ، وأنا أستغفر الله من زلل إن كان عَرَضَ ، وأسأله عوناً على ما به تُعَبَّدُ^٥ وفرض .

وصلَّى الله على محمدٍ وعلى آله وسلَّم أفضلَ التَّسليم .

كَمَلْ بِحَمْدِ اللَّهِ وَحَسَنِ عَوْنِهِ^(١)

١ . في ط : أوسع .

٢ . في م ، ط : تنبيهات .

٣ . في ط : مسمعا .

٤ . في ط : مراقبتها .

٥ . في م ، ط : ما تُعَبَّدُ به .

(١) عبارة الختام في م : (وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله [وصحبه] وسلم تسليماً إلى يوم الدين . والحمد لله رب العالمين) .
وكلمة [صحبه] من : ط .

١ - مسرد الآيات

سورة البقرة (٢)

الآية	رقبها	الصفحة
ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة	٧	١٣١
وعلم آدم الأسماء كلها	٣١	١٥٠
فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين	٩١	٨٣
كل له قانتون	١١٦	١٤٧
فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون	١٣٢	١٠٩
وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا	١٣٥	٤٩
يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون	١٨٣	٦٦
وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان	١٨٦	١١٤
يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها إثم كبير ومنافع للناس	٢١٩	١١٦
ثلاثة قروء	٢٢٨	٤٠
والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين	٢٣٣	٩٤
لاتضار والدة بولدها ولا مولود له بولده	٢٣٣	٥٥
ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره	٢٣٦	١٥٢
لا إكراه في الدين	٢٥٦	١٤٩
فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت	٢٦٦	٤٥
أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى	٢٨٢	١٢٠
ولا يضار كاتب ولا شهيد	٢٨٢	٥٤

الآية	رقمها	الصفحة
وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء	٢٨٤	١٤٧
سورة آل عمران (٣)		
الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم	١٧٣	١٤٦
سورة النساء (٤)		
يا أيها الناس اتقوا ربكم	١	١١٣-١٤٦
واللائي يأتين الفاحشة من نسائك فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً	١٤	١١٥
حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللائي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائك وربائبكم اللائي في حجوركم من نسائك اللائي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفوراً رحيماً	٢٣	٦١-٦٢
فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة	٢٤	١٥٢
فانكحوهن بإذن آلهن	٢٥	١٥٣
وعلمك ما لم تكن تعلم	١١٣	١٥٠
وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللائي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن	١٢٧	٥٥
يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله	١٣٥	١١٣
بل طبع الله عليها بكفرهم	١٥٥	١٣١-١٣٨
ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً	١٥٧	٦٦

الآية	رقها	الصفحة
وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً	١٧٤	٨٨

سورة المائدة (٥)

من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل	٣٢	٥٢
إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً		
أن يقتلوا أو يصلبوا	٣٣	٤٨
فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده	٥٢	٩٩
يا أيها الذين آمنوا إننا الحمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من		
عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن		
يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الحمر والميسر ويصدكم عن ذكر		
الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون	٩١، ٩٠	١١٦
ولا أعلم ما في نفسك	١١٦	١٨٣

سورة الأنعام (٦)

ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين	٣٥	٢٦ - ١٣١
		١٣٨ -
بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء	٤١	١١٤
وماتسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض		
ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين	٥٩	١٣٣
عالم الغيب والشهادة	٧٣	١٣٥
ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله	٩٣	٨٦
أو من كان ميتاً فأحييناه	١٢٢	١٢٥

سورة الأعراف (٧)

يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ولباس		
التقوى	٣٦	٨٠

الآية	رقمها	الصفحة
قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم	٣٣	١١٦
أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين	٨٠	١١٧
حتى عفوا	٩٥	١٦٦-٤٧
قال عذابي أصيب به من أساء	١٥٦	١٦٠
ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس	١٧٩	١٦٠

سورة الأنفال (٨)

يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحبيكم	٢٤	١٢٥
---	----	-----

سورة التوبة (٩)

جاهد الكفار والمنافقين	٧٣	١٤٩
------------------------	----	-----

سورة يونس (١٠)

ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً	٩٩	٩٨
--	----	----

سورة هود (١١)

وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى	٣	١٢١
إنك لأنك الحليم الرشيد	٨٧	١٠٥
ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم	١١٨-١١٩	٢٦

سورة يوسف (١٢)

نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين	٣	١١٩
ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه	٢٤	١٣٤
تالله إنك لفي ضلالك القديم	٩٥	١٢٠

الآية	رقبها	الصفحة
سورة الرعد (١٣) ·		
والله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال	١٥	١٤٨
سورة إبراهيم (١٤)		
وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه	٤	٧١
وإن كان مكرم لتزول منه الجبال	٤٦	٧٨
سورة الحجر (١٥)		
ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ·	٢	١٠٦
ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ إخواناً على سرر متقابلين	٤٧	٢٧
سورة النحل (١٦)		
فأتى الله بنيانهم من القواعد	٢٦	٨٣-٧٥
وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعداً عليه		
حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، ليبين لهم الذي يختلفون فيه		
وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين	٢٨-٣٩	٢٦
فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون	٦١	١٢١
سورة الإسراء (١٧)		
من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد	١٨	١١٤
ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً	٧٤	١٣٤
عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً	٧٩	٩٩
ونزلناه تنزيلاً	١٠٦	٨٦
سورة مريم (١٩)		
أسمع بهم وأبصر	٣٨	٩٥

الآية	رقمها	الصفحة
سورة طه (٢٠)		
لا يضل ربي ولا ينسى	٥٢	١٢٠
سورة الأنبياء (٢١)		
فظن أن لن تقدر عليه	٨٧	١٠٢
سورة النور (٢٤)		
الله نور السموات والأرض	٣٥	٨٨-٨٧
ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم	٣٥	٨٦
وينزل من السماء من جبال فيها من برد	٤٣	٨٤
سورة الفرقان (٢٥)		
وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا	٦٣	١٨٢
سورة الشعراء (٢٦)		
فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم	١٠١-١٠٠	١٠٩
بلسان عربي مبين	١٩٥	٧١
سورة النمل (٢٧)		
إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء	٢٣	١٤٨
سورة القصص (٢٨)		
ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله	٧٣	٥٠
سورة العنكبوت (٢٩)		
وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون	٤٣	٩٠

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الروم (٣٠)		
يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين	١٩	١٢٩
	٢٢	٢٥
سورة السجدة (٣٢)		
ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها	١٣	٩٨
سورة الأحزاب (٣٣)		
سراجاً منيراً	٤٥	٨٨
سورة سبأ (٣٤)		
بل مكر الليل والنهار	٣٣	٩٢
سورة فاطر (٣٥)		
يا أيها الناس إن وعد الله حق إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله	٥	١٤٦
	١٠	٥٨
	٤٣	٧٦
سورة يس (٣٦)		
إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون	٨	٧٤
سورة ص (٣٨)		
ونفخت فيه من روحي لما خلقت بيدي	٧٢	١٨٢-١٨٣
	٧٥	١٨٢
سورة الزمر (٣٩)		
ولا يرضى لعباده الكفر	٧	١٣٢
الإنصاف (١٤)		

الآية	رقمها	الصفحة
بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت	٥٩	٤١
الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها	٤٢	١٢٧
سورة غافر (٤٠)		
وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب	٣٦	٧٦
سورة فصلت (٤١)		
وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى	١٧	١٣٢
سورة الشورى (٤٢)		
من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد		
حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب	٢٠	١١٤
سورة الأحقاف (٤٦)		
ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى		
إلا مساكنهم	٢٥	١٤٨
سورة محمد ﷺ (القتال) (٤٧)		
فاذا عزم الأمر	٢١	٩١
سورة الفتح (٤٨)		
لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين	٢٧	١٠٣
سورة ق (٥٠)		
وأحيينا به بلدة ميتاً	١١	١٢٦
سورة النجم (٥٣)		
والنجم إذا هوى * ماضل صاحبكم وما غوى	٢-١	١٥٩

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الحديد (٥٧)		
هو الأول والآخر	٣	١٧١
سورة الحشر (٥٩)		
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا	٧	١١٦
هو الله الخالق البارئ المصور	٢٤	١٧٢
سورة التغابن (٦٤)		
وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول	١٢	١١٣
سورة الطلاق (٦٥)		
ومن قدر عليه رزقه	٧	١٠٢
سورة القلم (٦٨)		
فأصبحت كالصريم	٢٠	٤٣
سورة نوح (٧١)		
أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون * يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر	٤-٣	١٢١
سورة المدثر (٧٤)		
فما تنفعهم شفاعة الشافعين	٤٨	١٠٩
سورة الإنسان (٧٦)		
إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً	٣	١٣٢
وماتشاورون إلا أن يشاء الله	٣٠	١٣٤

الآية	رقمها	الصفحة
سورة المرسلات (٧٧)		
ويل يومئذ للمكذبين	[عدة مواضع من السورة]	١٧٢
سورة الانفطار (٨٢)		
إذا السماء انفطرت	١	١٠٣
يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم	١٦	١٤٥
سورة الضحى (٩٣)		
ووجدك ضالاً فهدى	٧	١١٩
سورة العلق (٩٦)		
علم الإنسان ما لم يعلم	٥	١٤٩
سورة العصر (١٠٣)		
إن الإنسان لفي خسر	٢	١٤٥
إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات	٣	١٤٥
سورة الفلق (١١٣)		
من شر ما خلق	٢	١٦٠-١٥٩

٢ - مسرد الأحاديث النبوية

الحديث الصفحة
« أ »

- إذا ذكر القضاء فأمسكوا . ١٣٩
أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً . ٥١
أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم . ٩٠
افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، فواحدة في الجنة وسبعون في النار ، ٣١-ح ٣٢ ح
وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة ، فإحدى وسبعون في النار
وواحدة في الجنة ، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين
فرقة ، واحدة في الجنة وثلثتان وسبعون في النار ، قيل يا رسول الله من هم ؟
قال : الجماعة .
أقعدني عن الصلاة أيام أقرائك . ٣٩
أمرني رسول الله ﷺ أن أشتري بريرة فأعتقتها . ١١٨
إن الأحاديث ستكثر بعدي كما كثرت عن الأنبياء قبلي ، فما جاءكم عني ١٦٢-١٦١
فاعرضوه على كتاب الله تعالى فما وافق كتاب الله فهو عني ، قلته أو لم أقله .
إن أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله من بركات الأرض ، فقال له رجل : ١٥١
يا رسول الله هل يأتي الخير بالشر فسكت رسول الله ﷺ حتى ظننا أنه
يوحى إليه ، ثم مسح العرق عن جبينه وقال : أين السائل ؟ فقال : ها أنا
ذا يا رسول الله ، فقال : إن الخير لا يأتي إلا بالخير ثلاثاً . ولكن هذا المال
خضرة حلوة ، وإن مما ينبئ الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم إلا آكلة الخضر تأكل
حتى إذا امتلأت خاصرتها استقبلت الشمس فبالت وثلطت ، ثم عادت

الحديث

الصفحة

فأكلت . إن هذا المال خضرة حلوة ، من أخذه بحقه ووضع في حقه ، فنعيم المعونة هو ، ومن أخذه بغير حقه ووضع في غير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع .

٤٦ إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء .

١٦٧ أن رجلاً جاءه فقال : أيجوز إتيان المرأة في دبرها ؟ فقال : نعم . فلما أدبر الرجل قال : ردوه علي . فلما رجع قال : في أي الخرطتين أردت . أما من دبرها في قبلها فنعيم . وأما من دبرها في دبرها فلا .

١٦ ، ٥٩ ، ١٧٩ إن الله تعالى خلق آدم على صورته .

١٧٨ أن النبي ﷺ أتى بالعربيين الذين ارتدوا عن الاسلام وأغاروا على لقاح النبي ﷺ ، فأمر بقطع أيديهم وأرجلهم وسمل عيونهم وتركوا بالحرية ، يستسقون فلا يسقون حتى ماتوا .

١٦٩ أن النبي ﷺ وهب لعلي رضي الله عنه عمامة تسمى السحاب ، فاجتاز علي رضي الله عنه متعمماً بها ، فقال النبي ﷺ لمن كان معه : أما رأيتم علياً في السحاب .

١٨٧ إن يكن الشؤم ففي ثلاث : الدار والمرأة والفرس .

« ب »

١١٨ بعث النبي ﷺ بعيراً وشرط لي حملانه إلى المدينة .

١١٣ البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه .

« خ »

٤٧ ح خالفوا المشركين أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى

٤٦ ح خالفوا المشركين وفروا اللحى وأحفوا الشوارب ، وفي بعض الروايات : أنهكوا الشوارب و : جزوا

١١٥ خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً : البكر بالبكر جلد مئة وتغريب عام ،

الصفحة	الحديث
	والثيب بالثيب جلد مئة والرجم .
١٨٠	خلق آدم على صورة الرحمن
٥٩ ح	خُلِقَ آدم على صورة الرحمن .
١٧٠	خلق الله آدم على صورته .
١٣٠	خير الأمور أوساطها .
	« د »
١٧٦	دخلت الجنة فرأيت فيها حبال للؤلؤ .
١٣٦، ١٣٠	دين الله بين الغالي والمقصر .
	« ر »
١٨٤، ١٨٠، ٥٩ ح	رأيت ربي في أحسن صورة .
١٧٢	رحم الله امرأً أصلح من لسانه .
	« ز »
١١٣	الزعم غارم .
١٤٦	الزعم غارم والبيئة على المدعي واليمين على المدعى عليه .
	« س »
١٣١	السعيد من سعد في بطن أمه ، والشقي من شقي في بطن أمه .
	« ص »
١٤٧	صفح لأمتي عما حدثت به نفوسها ما لم تكلم به أو تعمل .
	« ط »
١٤٨	طول القنوت- قوله ﷺ وقد سئل أي الصلاة أفضل .

« ع »

عجبت لقوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل . ٧٢

« ق »

قال : رجل لم يعمل خيراً قط فإذا مات فحرقوه-وفي رواية: قال لأهله: إذا أنا مت فأحرقوني-واذروا نصفه في البر ونصفه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبه الله عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين، فأمر الله البحر فجمع ما فيه... الحديث.

....قالت: قلت كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المتقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون.

قرأ رسول الله ﷺ بلى قد جاءتك.... فكذبت.... واستكبرت.... ٤١ ح
وكنيت.... في كل .

قصوا الشوارب وأعفوا اللحى . ٤٦-١٦٥

قيل لعمر رضي الله عنه الفرعان أفضل أم الصلعان؟ فقال: الفرعان . قيل: ١٧٤ ح
فأنت أصلع . قال: كان رسول الله ﷺ أفرع .

« ك »

كان رسول الله ﷺ أفرع . ١٧٤

كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه ها اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه . ١٣٢

« ل »

لاعدوى ولاهامة ولاصفر ولاغول . ١٨٧

لايحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: بكفر بعد إيمان، أو بزنا بعد إحسان، أو يقتل نفساً بغير نفس فيقتل . ٤٩ ح

لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: زنا بعد إحصان، أو كفر بعد إيمان، ٤٩، ٤٨
أو قتل نفس بغير حق.

لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ٤٩ ح
ثلاث الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة.

لا يقتل قرشي صبراً بعد اليوم. ١٧١

« م »

ما خطبنا رسول الله ﷺ إلا أمرنا فيها بالصدقة ونهانا عن المثلة. ١٧٩

مر- النبي ﷺ - برجل يلطم وجه عبده وهو يقول: قبح الله وجهك ووجه ١٧٩-٥٩
من أشبهك، فقال النبي ﷺ: إذا ضرب أحدكم عبده فليتنق الوجه. فإن الله
خلق آدم على صورته.

من سره أن يذهب كثير من وحر صدره فليصم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل ١٦٩
شهر.

من سره النساء في الأجل والسعة في الرزق، فليصل رحمه. ١٢٤

المؤمن يأكل في معي واحد. والكافر يأكل في سبعة أمعاء. ١٥٠

« ن »

نحن يوم القيامة على كوم فوق الناس، فيدعى بالأمم... إلخ الحديث. ١٧٧

نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها وأداها كما سمعها، فرب مبلغ أوعى من مبلغ. ١٦٧، ١٦٦

نهى رسول الله ﷺ أن يمثل بالبهائم. ١٧٩ ح

نهى رسول الله ﷺ عن بيع وشرط. ١١٨ ح

نهى رسول الله ﷺ عن التطير، فغضبت عائشة رضي الله عنها وقالت: والله ١٨٨-١٨٧

ما قال هذا رسول الله ﷺ قط وإنما قال: كان أهل الجاهلية يقولون: إن

يكن الشؤم ففي ثلاث: الدار والمرأة والفرس فدخل أبو هريرة فسمع آخر

الحديث ولم يسمع أوله.

نهى رسول الله ﷺ عن صبر البهائم. ١٧٩ ح

الحديث

الصفحة

نهى رسول الله ﷺ عن المثلة.

١٧٩

« ي »

يقول الله تعالى: خلقت عبادي حنفاء كلهم فأجابتهم الشياطين عن دينهم . ١٣٣-١٣٢

ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا ثلث الليل الأخير فيقول: هل من سائل ٨٢، ٨١
فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟

٣ - مسرد الشعر والرجز

« أ »

- | | | |
|-----|--|---------------------|
| ٤٧ | تحمل أهلها منها فبانوا
على آثار من ذهب العفاء | زهير |
| ١٦٦ | عفا من آل فاطمة الجواء
فين فالقوادم فالجساء | زهير |
| ١٢٤ | ليس من مات فاستراح بميت
إنما الميت من يعيش كئيباً | عدي بن رعاء الغساني |

« ب »

- | | | |
|-----|---|-------------------------------|
| ٨١ | إذا سقط السماء بأرض قوم
رعيناه وإن كانوا غضابا | معاوية بن مالك - معود الحكماء |
| ١٠٥ | هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا
وماذا يرد الليل حين يؤوب | كعب بن سعد الغنوي |
| ١٠٠ | وداع دعا يامن يجيب إلى الندى
فقلت: ادع أخرى وارفع الصوت دعوة | كعب بن سعد الغنوي |
| ١٧٠ | يجيبك كما قد كان يفعل إنه
من الفزال منهم وابن باب | كعب بن سعد الغنوي |

<p>رسول الله والصديق حياً فإذا لقيتك خالين لتعلمن ولست وإن قربت يوماً ببائع ويقوده قوم كثير تجارة</p>	<p>به أرجو غداً حسن الثواب إسحاق بن سويد العدوي أبي وأيك فارس الأحزاب ١٨٥ مجهول خلاق ولاديني ابتغاء التحبب ١٦١ ويعني من ذاك ديني ومنصي البعيث الحنفي</p>
---	--

« ت »

<p>إذا شئت أداني صروم مشيع يطوف بها من جانبيها ويتقي ومجلودة بالسوط فيه حياتها بأيدي رجال لم يشموا سيوفهم</p>	<p>معي وعقام تتقي الفحل مقلت ١٢٣ بها الشمس حي في الأكارع ميت غير معروف فإن زال عنها الجلد بالسوط ماتت ١٢٦ غير معروف ولم تكثر القتلى إذا هي سلت ٩٦ الفرزدق</p>
---	---

« ج »

<p>أما النهار ففي قيد وسلسلة والليل في بطن منحوت من الساج ٩٢ مجهول</p>	
--	--

« ح »

<p>شئت العقر عقر بني شليل قد كنت أرجو أن تموت الريح</p>	<p>إذا هبت لقارئها الرياح ٤٠ مالك بن الحارث الهذلي فأرقد اليوم وأستريح ١٢٥ غير معروف</p>
---	--

« د »

- فأثنوا علينا لا أبا لأبيكم
بأفعالنا إن الثناء هو الخلد ١٢٤
الحادرة قطب بن أوس
- فإن تمس مهجور الفناء فربما
أقام به بعد الوفود وفود ١٠٨
أبو عطاء السندي
- يموت الهوى مني إذا لقيتها
ويحيا إذا فارقتها فيعود ١٢٦
جميل بثينة
- ولابن معين في الرجال مقالة
سيسأل عنها والمليك شهيد ١٦٤
وإن يك حقاً قوله فهو غيبة
غير معروف
- وماهاج هذا الشوق إلا حمامة
تبتكت على خضراء سمر قيودها ١٧٢
تقود الهوى من مسعد ويقودها
علي بن عميرة
- ذهب العليم بعيب كل محدث
وبكل وهم في الحديث ومشكل ١٦٤ ح
ويكل مختلف من الإنسان
يعني به علماء كل بلاد
بعض المحدثين

« ر »

- لعمرك ما سعد بخلة آثم
ولأننا يوم الحفاظ ولا حصر ٤٦
امرؤ القيس
- تركنتي اليوم في خجلة
أموت مراراً وأحيا مرارا ١٣٠
أبو الطيب المتنبي
- على لاحب لا يتسدى بمناره
إذا ساقه العود النباطي جرجرا ١١٠
امرؤ القيس
- كثور العذاب الفرد يضربه الندى
تعلی الندى في متنه وتحذرا ٨٠
ابن أحمر

- فقلت له ارفعها إليك وأحيها ١٢٨ بروحك واقتته لها قيتة قدرا
ذو الرمة
- هو المنزل الألاف من جو ناعط ٨٤ بني أسد حزنأ من الأرض أوعرا
امرؤ القيس
- إن التلب له عرس يمانية ١٧٦ كأن فسوتها في البيت إعصار
غير معروف
- يا جعفر يا جعفر يا جعفر ٤٢ إن أك دحداحاً فأنت أقصر
أو أك ذا شيب فأنت أكبر
ومقننـع من الحرير أصفر
غرك سربال عليك أحر
وتحت ذاك سواة لو تذكر
أعرابي
- وكان أبو عمرو معاراً حياته ١٢٤ بعمر و فلما مات مات أبو عمرو
غير معروف
- لأعرفن ربرباً حوراً مدامعها ١١٠ كأن أبكارها نعاـج دوار
النايفة
- بين حفافي جدول مسحور ١٢٧ كالسيف أو كالخية المذعور
ابن الرومي
- من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم ٨٩ مثل النجوم التي يسري بها الساري
العرنـدس

« س »

- وبدلت قرحاً دامياً بعد صحة ١٠١-٩٩ لعل مناينا تحولن أبوسا
امرؤ القيس
- أنزلوها بحيث أنزلها الله ٨٦ بـدار الهوان والإتعاس
سديف بن ميمون
- إذا أعيى الفقيه وجود نص ١٩٣ تعلق لاحالة بالقياس
لم يوقف على قائله

« ض »

يارب ذي ضغن علي فارض له قروء كقروء الحائض ٣٩
 يارب مولى حاسد مبالغض علي ذي ضغن وضب فارض ٣٩ ح
 له قروء كقروء الحائض

مجهول

أنزلني الدهر على حكمه من شاهق عالٍ إلى خفض ٨٧، ٨٥
 خطاب بن المعلي

« ع »

ولم يك أكثر الفتيان مالا ولكن كان أطولهم ذراعا ٥٢
 أبو زياد الأعرابي
 أخادع نفسي بالأمانى تعللاً على العلم مني أنها ليس تنفع ١٠١
 غير معروف
 ظننتم بأن يخفى الذي قد صنعتم وفينا نبي عنده الوحي واضعاً ٦٠
 حسان بن ثابت
 فلما رأين الليل والشمس حية حياة الذي يقضي حشاشة نازع ١٢٣
 ذو الرمة

« ق »

وقلت لسيدنا يناحلي هم إنك لم تأس أسوأ رفيقاً ١٠٥
 غير معروف
 ولو أن لقمان الحكيم تعرضت لعينيه مي ، حاسراً كاد يبرق ٤٣
 ذو الرمة
 وأنت لما ظهرت أشرقت الأر ض وضاءت بنورك الأفق ٨٨
 العباس بن عبد المطلب

« ك »

- وفي كل عام أنت جاشم غزوة
مورثة مالاً وفي الحي رفعة
٣٨ تشد لأقصاها عزم عزائكا
لما ضاع فيها من قروء نساءكا
الأعشى

« ل »

- حق لحقنا بهم تعوي فوارسنا
كأنتنا رعن قف يرفع الآلا
١٠٢
النابعة الجعدي
أنازلة يأسم أم غير نازلة
أبيني لنا يأسم ماأنت فاعلة
٨٧
عامر بن الطفيل
أقبل سيل جاء من أمر الله
يجرد حرد الحية المغلة
١٢٦
قطرب
فليس كمهد الدار يأم مالك
ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل
٧٤
أبي خراش الهذلي
وأشبرنيه الهالكي كأنه
غدير جرت في متنه الريح سلسل
٧٤
أوس بن حجر
كناطح صخرة يوماً ليفلقها
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل
٧٩
الأعشى
إذا أنت لم تعرض عن الجهل والحننا
أصبت حليماً أو أصابك جاهل
١٠٤
أوس بن حجر
فإلا يكن جسمي طويلاً فيأتي
له بالفعال الصالحات وصول
١٠٣
رجل من الفزاريين
فإن تحي لأملل حياتي وإن تمت
فما في حياة بعد موتك طائل
١٠٠
النابعة
لنا جبل يحتله من نجيره
منيع يرد الطرف وهو كليل
٧٩

رسا أصله تحت الثرى وسحابه	إلى النجم فرع لا ينال طويلُ السموئل بن عاديا
مطوية الأقراب أما نهارها	فسبت وأما ليلها فذميلُ ٩٣ حميد بن ثور الهلالي
وزهاء إن كفتها فهو عيشها	وإن لم أكفنها فموت معجلُ ١٢٨ غير منسوب
وأهل خباء صالح ذات بينهم	قد احتربوا في عاجل أنا آجلُ ٥٣ خوات بن جبير الأنصاري
بكرت عليه غدوة فرأيتـه	قعوداً لسيده بالصرم عواذلُ ٤٤ زهير
نظرت إليه نظرة فرأيتـه	على كل حال مرة هو حاملُ ٥٩ زهير
حذيفة ينيه وبدر كلاهما	إلى باذخ يعلو على من يطاولُ ٧٨ زهير
فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة	كفاني ولم أطلب قليل من المالِ ٩٨ وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي
ولكنما أسعى لمجد مؤثل	امرؤ القيس
قبيلة لا يغدرون بـذمة	ولا يظلمون الناس حبة خردلِ ٦٥ النجاشي الحارثي
لأدمانة من وحش بين سويقة	وبين الجبال العفرذات السلاسلِ ٧٥ ذو الرمة
أزهير إن يشب القذال فلإنني	رب هيضل مرس لفقت بهيضلِ ١٠٧ أبو كبير الهذلي
شربت الإثم حتى زال عقلي	كذاك الإثم يذهب بالعقولِ ١١٦ غير معروف

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى

ونمت وماليل المطي بنائيم ٩٢
جرير

« م »

إيت الطريق واجتب أرماما
خويرين ينقفان الهاما

إن بها أكتل أورزاما ٦٤ ح
لم يترك لمسلم طعماما
غير معروف

إن بها أكتل أورزاما

خويرين ينقفان الهاما ٦٤
غير معروف

لعلني إن مالت بي الريح ميلة

على ابن أبي زبان أن يتندما ٩٩
غير معروف

فما كان قيس هلكه هلك واحد

ولكنه بنيان قوم تهدما ٧٧
عبدة بن الطيب

حياك ربي فإن لا يحل لنا

لهو النساء وإن الدين قد عزما ٩١
النايفة

حتى غدا في بياض الصبح منصلاً

يقرو الأماعز من لبنان والأما ٤٤
النايفة

فإن ترفقي ياهند فالرفق أيم

وإن تخرق ياهند فالخرق أشأم ١٧٣
ثلاث ومن يخرق أعق وأظلم
وما لمرئ بعد الثلاث مقدم
غير معروف

فأنت طلاق والطلاق عزيمة

فبيني بها أن كنت غير رفيقة

كأننا والرحال على صوار

برمل خزاق أسلمه الصريم ٤٤
برج بن مسهر الطائي

سحائب لامن صيف ذي صواعق

ولا خرفات ماؤهن حيم ١٢٩
بكين بها حتى يعيش هشيم
ابن ميادة

إذا ماهبطن الأرض قد مات عودها

- كأن قلوب الطير رطباً ويابساً
لدى وكرها العناب والحشف البالي ٥٠
امرؤ القيس
- أبلغ أبا مالك عني مغلفة
وفي العتاب حياة بين أقوام ١٢٨
غير منسوب
- أقرّ حشاً امرئ القيس بن حجر
بنو تميم مصاييح الظلام ٨٩
امرؤ القيس
- ويرغب أن يبني المعالي خالد
ويرغب أن يرضى صنيع الألائم ٥٦
غير معروف
- أمن عمل الجراف أمسى وظلمه
أميري عداء إن حبسنا عليها
وعدوانه أعتبتونا براسم ٦٤
بهائم مال أوديا بالبهائم
غير معروف
- وكم من عائب قولاً صحيحاً
ولكن نأخذ الأذان منه
وأقتسه من الفهم السقيم ١٠٨
على قدر القرائح والعلوم
أبو الطيب المتنبي
- لا يبعد الله جيراناً تركتهم
مثل المصاييح تجلو ليلة الظلم ٨٩
النابعة الذبياني
- ولكننا نعض السيف منها
بأسؤق عافيات اللحم كوم ١٦٦-٤٧
جرير أو لبيد
- رأتني قد شحبت وسل جسي
طلاب النازحات من الهموم ٤٧ ح
لبيد
- تهوي هوي أنجم الصميم ٤٤
راجز
- فإن أك قد فارقت نجداً وأهله
فأعهد نجد عندنا بنعيم ١٠٤
غير معروف

« ن »

- الحمد لله العزيز المنان
صار الثريد في رؤوس العيدان ٨١
صعصة بن بجير الهلالي
يخزون من ظلم أهل الظلم مغفرة
ومن إساءة أهل سوء إحسانا ٦٥
بعض شعراء بلعنبر
أنت الإمام الذي نرجو بطاعته
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً
يوم القيامة من ذي العرش رضوانا ١٣٦
جزاك ربك عنا فيه إحسانا
شيخ في صفين
إذا سيل عنه حدا شبهة
فليس براضي ولا ساخط
ولا هو سواه ولا سره
وعى الجواب على السائلينا ٥٧
ولافي النهاية ولا الأمرينا
ولا بد من بعض ذا أن يكونا
كعب بن جعيل
رأتني بأشلاء اللجام وبعلمها
فإن أك معروق العظام فإنني
من القوم أبزى بادن متباطن ٧٢
إذا ماوزنت القوم بالقوم وازن
كثير عزة
قد غيب الدافنون اللحد إذ دفنوا
بدير سمعان قسطاس الموازين ٧٢
مجهول
فلما رأى سفيان أن قد عزلته
عن الماء مرمى الحائم الوجداني ٧٨
عبدة بن الطيب
رماني بأمر كنت منه ووالدي
برياً ومن جال الطوي رماني ٧٧
ابن أحرر
تقول إذا ذرات لها وضيئي
أهنا دينه أبداً وديني ١٦١
المتقّب العبدى
فيلا يكنها أو تكنه فإنه
أخوها غذته أمه بلبانها ٢٩
أبو الأسود الدؤلي

« ي »

١٢٧	ولا بد يوماً أن نموت ولا نحيا	نموت ونحيا كل يوم وليلة
	غير منسوب	
٩٤	وحسبك من غنى شبيع وري	فتوسع أهلها أقطاً وسمناً
	امرؤ القيس	
٥١	فلسنا من الأموات فيها ولا الأحياء	خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها
	عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا	إذا جاءنا السجان يوماً لحاجة
	بعض المسجونين	

« الألف اللينة »

٥١ ح	وفي يده كشف المضرة والبلوى	إلى الله أشكو إنه موضع الشكوى
	فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى	خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها
	عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا	إذا دخل السجان يوماً لحاجة
	ولد صالح بن عبد القدوس	
١٨٤	فإذا ماشاء عافى وأبتلى	أمره من أمر من ملكه
	لم تقف على قائله	

٤ - مسرد الأمثال والأقوال

الصفحة	النص
	١ - الأمثال :
	« أ »
٨٧	- أنزلني الدهر على حكمة .
١٤٥	- أهلك الناس الدينار والدرهم .
	« خ »
١٧٦، م٧	- خش ذوالة بالحباله
	« ن »
٩٢	- نهارك صائم وليك قائم .
	٢ - أقوال الصحابة :
	« أ »
١٦٧	- إذا حاضت المرأة حرم الجحران .
	عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها .
٥٦	- أيها الناس تزعمون أنني قتلت عثمان ؟ ألا وإن الله قتله وأنا معه .
	علي رضي الله عنه
	« ت »
١٥٢	- تخضمون وتقضم والموعد لله .
	أبو ذر رضي الله عنه
	- ٢٣٠ -

-تعلموا الفرائض والسنة واللحن كما تتعلمون القرآن.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

« ط »

-طوبى لمن مات في النأنة.

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

« م »

-ما شهدها منا أحد غيري .

ابن مسعود رضي الله عنه عندما سئل عن
ليلة الجن

« هـ »

-هؤلاء أشبه من رأيت بالجن ليلة الجن .

ابن مسعود عند رؤيته قوماً من الزط

« و »

-والله ما أمرت ولا نهيت، ولا رضيت ولا سخطت، ولا ساءني ولا سرني

علي إذا ذكر له قتل عثمان رضي
الله عنهما

-والله ما علونا جبلاً، ولا هبطنا وادياً، ولا خطونا خطوة، إلا بقضاء وقدر.

فقال الشيخ: فعند الله أحسب عنائي إذن مالي من أجر. فقال له علي رضي
الله عنه: مه يا شيخ. فإن هذا قول أولياء الشيطان وخصماء الرحمن قدرية
هذه الأمة. إن الله أمر تخييراً ونهى تحذيراً. لم يعص مغلوباً، ولم يطع

مكرهاً. فضحك الشيخ ونهض مسروراً، ثم قال:
 أنت الإمام الذي نرجو بطاعته يوم القيامة من ذي العرش رضوانا
 أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً جزاك ربك عنا فيه إحسانا
 روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما انصرف من صفين وقام إليه
 شيخ فقال: يا أمير المؤمنين أرايت مسيرنا إلى صفين أبقضاء وقدر؟

٣ - أقوال : أنبياء وعظماء وعلماء وأئمة .

« أ »

-إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اذروا رمادي في اليم، فلعلي أضل الله، فوالله لئن ١٠١
 قدر الله علي ليعذبني عذاباً شديداً.

الرجل المحرق لبنيه

-إن أمير المؤمنين كتب إلي أن ألعن علياً، فalcنوه، لعنه الله. ٥٧، ٥٨

خالد بن عبد الله القسري على المنبر

-أن موسى عليه السلام شكأ إلى الله تعالى بعدو له، فأوحى الله تعالى إليه: ١٢٢
 أني سأميته فلما كان بعد زمن رآه فقيراً ينسج الحصير. فقال: يارب ألم تعدني
 أن تميته؟ فقال: أوليس قد أفقرته.

جاء في بعض الحديث

-علمني ديناً وسطاً لا ساقطاً سقوطاً ولا ذاهباً فروطاً. فقال: أحسنت خير ١٣١
 الأمور أوسطها.

رجل للحسن البصري رحمه الله

« ق »

-قدمت مكة فألفيت فيها أبو حنيفة فقلت له: ماتقول في رجل باع يبعأ ١١٧-١١٨
 وشرط شرطاً فقال: البيع باطل والشرط باطل. فأتيت ابن أبي ليلى فسألته

عن ذلك فقال: البيع جائز والشرط باطل. فأتيت ابن شبرمة فسألته عن ذلك فقال: البيع جائز والشرط جائز، فقلت في نفسي: يا سبحان الله! ثلاثة من فقهاء العراق لا يتفقون على مسألة، فعدت إلى أبي حنيفة فأخبرته بما قال صاحبه فقال: ما أدري ما قال لك، حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: «نهى رسول الله ﷺ عن بيع وشرط» فالبيع باطل والشرط باطل. فعدت إلى ابن أبي ليلى فأخبرته بما قال صاحبه. فقال: ما أدري ما قال لك حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أمرني رسول الله ﷺ أن أشتري بريرة فأعتقها» البيع جائز والشرط باطل. قال: فعدت إلى ابن شبرمة، فأخبرته بما قال صاحبه، فقال: ما أدري ما قال لك. حدثني مسعر بن كدام عن محارب بن وثار عن جابر قال: «بعت النبي ﷺ بغيراً وشرط لي حملانه إلى المدينة» البيع جائز والشرط جائز.

عبد الوارث بن سعيد

« هـ »

- هل العباد مجبرون؟ فقال: الله أعدل من أن يجبر عبده على معصيته ثم يعذبه ١٣٥
عليها فقال له السائل: فهل أمرهم مفوض إليهم؟ فقال: الله أعز من أن يجوز
في ملكه مالا يريد. فقال له السائل: فكيف ذلك إذا؟ قال: أمر بين
الأميرين لا جبر ولا تفويض.

روي أن رجلاً قاله لجعفر الصادق

« ي »

- يا بني جالس العلماء وازحمهم بركبتيك، فإن الله يحيي القلب الميت بالكلمة ١٢٥
من الحكمة يسمعها كما يحيي الأرض بالمطر.

لقمان

الصفحة

النص

- يفعل الله ما يشاء ، وهذا تلويح يحتاج إلى تصريح ، وخفي إشارة يحتاج إلى ٨٢
تبيين عبارة .

الأوزاعي

- ينزل أمره كل سحر ، فأما هو عز وجل فإنه دائم لا يزول ولا ينتقل ، سبحانه ٨٢
لا إله إلا هو .

مالك

☆ ☆ ☆

٥ - مسرد الأعلام والأمكنة

« 1 »

« ١ »

آدم عليه السلام ٥٩، ١٥٠، ١٧٠، ١٨٠،
١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤

آل سليمان ٤٢ ح
الأمدي ١٦١ ح
أباغ ١٢٤ ح
أبان بن عثمان ٣٨ ح
ابن أبي الأصع ٥٠ ح
ابن أبي ليلى ١١٨
ابن الأثير ١٧٤ ح
ابن الأعرابي ٧٧ ح
ابن بشكوال ١١ م
ابن باب : انظر عمرو بن عبيد بن باب .
ابن تيمية ١٤ م، ١٥ م
ابن جني ٥٤ ح، ١٠٥
ابن حزم الظاهري ٢٨ ح، ١٩٣ ح
ابن حيان ١٦٠ ح
ابن خزيمة ١١٨ ح
ابن درستويه ١٠٧ ح
ابن الدهان ٤٠ ح
ابن زيد ٤٧ ح

ابن سفيان : انظر : أبو محمد ابن سفيان .
ابن السيد البطليوسي : انظر عبد الله بن
محمد بن السيد البطليوسي
ابن سيده ١١٧ ح
ابن سيرين ١٢٧
ابن شزمة ١١٨
ابن صالح بن عبد القدوس ٥١ ح
ابن عباس : انظر عبد الله بن عباس .
ابن عطية المحاربي الأندلسي ١٦٠ ح
ابن عمر : انظر عبد الله بن عمر رضي الله
عنهما .
ابن الغرس ١٣٠ ح
ابن الفرج : انظر أبو محمد ابن الفرج .
ابن فورك ١٨٠
ابن قتيبة ٧٧ ح، ١٦٧، ١٨٠
ابن القيم ٣٩ ح
ابن لبون : انظر : أبو عيسى .
ابن ماجه ٣١ ح
ابن مسعود : انظر عبد الله بن مسعود .
ابن المعتز ١٢٣ ح
ابن معين : انظر يحيى بن معين .

- ابن منظور ١١٧ ح
ابن هشام ٦٥ ح
أبو الأسود الدؤلي ٢٩
أبو أمامة ١١٢ ح
أبو بكر البطليوسي ٤٥ ح، ٩١ ح
أبو بكر الصديق رضي الله عنه ٣٩ ح، ٤٥، ١٧٠
أبو حاتم ١٢٦ ح
أبو حنيفة-النعمان بن ثابت ٢٩ ح، ٢٨ ح، ٤٨، ١١٧، ١١٨
أبو الحسن الأخفش ٤٣ ح، ٦٣، ٩٨
أبو داود ١٤٩ ح
أبو الدرداء رضي الله عنه ٣٩ ح، ١٢٠ ح
أبو ذر رضي الله عنه ١٥٢
أبو ذؤيب ٧٤ ح
أبو سعيد الخدري رضي الله عنه ١٥١، ١٧٩ ح
أبو العباس السفاح ٨٦ ح
أبو عبد الله بن أبي الخصال ١١ م
أبو عبيد ٤٦
أبو عطاء السندي ١٠٨
أبو عمرو بن العلاء ٧٧
أبو عمرو الداني ١٦٠ ح
أبو عيسى-ابن لبون ١١ م
أبو عيسى ١١٣ ح
أبو مجلز ٤٨
أبو محمد-ابن سفيان ١١ م
أبو محمد-ابن الفرّج ١١ م
أبو المغوار بن سعد الغنوي ١٠٠
أبو موسى الأشعري رضي الله عنه ٢٨ ح، ٣٩ ح، ١٥٠ ح
أبو نعيم ٧٣ ح
أبو هريرة رضي الله عنه ٢١ ح، ٧٣ ح، ١٠٣ ح، ١٣٢ ح، ١٤٧ ح، ١٥٠ ح، ١٨٧
أحمد بن حنبل ١٧٥ ح
أحمد بن هود-المستعين ١١ م
أحمد حسن كحيل ٥ م
أحمد شاکر ١٢٤ ح
أحمد عمر المحمصاني ٦ م، ٧ م
أحمد هارون ١٢٤ ح
الأخفش-انظر: أبو الحسن
الأزرق بن طرف-ة بن عمرو
الفراحي ٧٧ ح
الأزهر ٥ م
استانبول ١٦ م
إسحاق بن سويد العدوي الفقيه
المحدث ١٦٩
أشعرية ٣٠ ح
أصبهان ١٧٥ ح
الأعشى ٢٨
أكتل ٤٢

الإمارات العربية المتحدة ٥٥ م

أم حبيبة بنت جحش ٣٩ م

أم غيلان ٩٢

امروء القيس ٤٦

أموية ٩ م

الإنجيل ٦٧

أندلس ٩ م، ١٠ م، ١٢ م، ٣٠ ح

أنس بن مالك- الصحابي رضي الله

عنه ٨٨ ح- ١١٣، ١٢٤ ح، ١٥٩ ح،

١٧٩ ح، ١٨٦ ح

الأنصار ١٤٩

أهل الجاهلية ١٨٧

أهل الحجاز: انظر الحجازيون

أهل السنة ١٣٨، ١٥٩، ١٩٧

أهل العراق: انظر العراقيون

أهل الكتاب ١٤٩

أهل الكوفة: انظر الكوفيون

الأهواز ٢٩ ح، ١٧٥ ح

الأوزاعي ١٣ م، ٢٩، ٣٠ ح، ٨٢، ٨٣

« ب »

البخاري - محمد بن إسماعيل - أبي عبد

الله ١٦٣

بريرة رضي الله عنها ١١٨

بسر بن معاوية ١٧٥

بشر بن معاوية ١٧٥

بصرى ١٧٥ ح

البصرة ٧٥، ١٧٥ ح

البصريين ١٦٩ ح

بطليوس ١٠ م، ١١ م

بعلبك ٣٠ ح

بغداد ١٢ م، ١٣ م

البلخي ١٧٥ ح

بلنسية ١٢ م، ١٧ م

بنو أبريق ٦٠ ح

بنو أسد ٨٤

بنو الأفطس- أصحاب بطليوس ١١ م

بنو أمية ٣١ ح، ٨٦ ح، ٩٣ ح، ١٨٤

بنو تميم ١٧٥ ح

بنو ثعلبة بن سعد ١٢٤ ح

بنو ذي النون- أصحاب طليطلة ١١ م

بنو رزين- أصحاب السهلة- شتيرية

الشرق ١١ م

بنو العباس ٥١ ح، ٨٦ ح

بنو العجلان ٦٥ ح

بنو مازن ٦٥ ح

بنو النضير ١٤٩

بيت الله: انظر الكعبة

بيروت ٣٠ ح

« ت »

الطلب العنبري ١٧٥، ١٧٦

تميم بن أبي بن مقبل ح٦٥

تميم-قبائل ح١٢٤

تميمي ح١٧٥

« ث »

ثعالي ح٣٨

ثعلب ح٨١

« ج »

جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ح١١٨،

ح١٤٧، ح١٥٠، ح١٧٧، ح١٨٧

جابر بن مالك-الشليل ح٤٠

جبال اللور ح١٧٥

الجبري م١٣، ٣٠

الجبرية ح٣٠، ح١٣٦، ح١٣٧، ح١٣٩

جبريل عليه السلام ٨٦، ١٨٧

جبير بن مطعم ح١٦٦

الجراف ٦٣، ٦٤

جرير م٦

جرير بن عبد الله البجلي ح٤٠

الجزائر م٦

الجزيرة الأندلسية م٩

جعفر الصادق ١٣٥، ١٣٦

الجن ١٧٨

جهجاه الغفاري ١٥٠

جهم بن صفوان الراسبي ح٣٠

الجهمي ٣٠

الجهمية ح٣٠

جو ح٨٣

« ح »

الحاكم ح١١٨

حجاج بن أرطأة ٤٨

الحجازيون ح٢٧، ح٢٨، ح٤٠، ح٥٠، ح٥٤

الحرة ١٧٨

الحسن ح٢٦، ح٥٥، ح١٤٩، ح١٦٠

الحسن البصري ٤٨، ١٣١، ح١٦٠

حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ح٥٩،

ح٧٩

حكيم بن معاوية ح١٨٧

حمزة ح٥٥

حمزة عبد الله النشري م٥

حميد بن ثور ح٩٣

الحنفي م١٣، ٢٩

الحنفية ح١٩٣

الحنفيين ١٩٣

الحنيفية ٢٩

« خ »

خالد بن عبد الله القسري ٥٧، ٥٨

الخطيب البغدادي ح١٦٤

الخليل ح٦٤

الخوارج ٥٦، ح١٦٢، ح١٧٠

خوركرمان ١٧٥

زيد بن ثابت رضي الله عنه ٣٨، ٣٩ ح،

١٦٦ ح

زيد بن علي ١٦٠ ح

زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي

طالب ٣١ ح

الزبيدي ٣١

زينب أم المؤمنين رضي الله عنها ٥١، ٥٢

« س »

السبئية ٣١ ح، ١٦٣

السبئي ٣١

السدي ٢٨ ح، ٥٠ ح، ١٢٩

سرقسطة ١١ م

سمرة ١١٣ ح

سهل بن سعد ١٨٧ ح

السهلة ١١ م

سوار بن أوفى القشيري ١٠٢ ح

سودة- أم المؤمنين رضي الله عنها ٥٢ ح

السوفسطائية ٢٨

سيبويه ٦٠، ٦٣

سيف الدولة ١٢٩ ح

السيوطي ٣٧ ح، ٤٦ ح

« ش »

الشافعي ١٣ م، ٢٩، ٣٠ ح، ٢٨ ح، ٤٨،

٥١ ح،

الشافعية ١٨٠ ح، ١٩٣ ح

خوزستان ١٧٥ ح

خوزكرمان ١٧٥

« د »

دار الفكر ٥ م، ٦ م، ٧ م

الدارقطني ١٧٧ ح

دمشق ٥ م، ٨ م، ١٣ م، ٧٣ ح

الدهرية ١٨٠، ١٨١

الدولة المروانية ١٠ م

الدول الإسبانية ٩ م

دوما ٨ م

الديار الشامية ٣٠ ح

ديار طيء ٦٤ ح

دير سمعان ٧٣

الديلمي ١٣٠ ح

« ر »

راسم ٦٣ ح، ٦٤

الرافضة ٣١ ح

الرافضي ٣١

رزام ٦٤

« ز »

الزط ١٧٨

الزخشي ٥٤ ح

الزنادقة ١٦٢ ح

زهيرة بنت أبي كبير الهذلي ١٠٧

الشافعيين ١٩٣

الشام ٣٠ ح

شبل بن عبد الله ٧ م، ٨٦ ح

شلب ١٠ م

الشليل : انظر جابر بن مالك

شعبة بن الحجاج العتكي الأزدي ١٧٥

الشعبي ١٤٩

شهاب الدين محمود الحلبي ٤٩ ح

شيخ الإسلام ابن تيمية : انظر ابن تيمية .

الشيعة ٣١ ح، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٩

« ص »

صالح بن عبد القدوس ٥١ ح

الصدیق : انظر أبو بكر الصديق

صفوان بن أمية ١١٣ ح

صفين ١٣٥

الصوفية ١٢٠

« ض »

الضحاك ٢٦ ح، ١٤٩ ح

« ط »

طليطلة ١١ م

الطوائف ٩ م، ١١ م، ١٢ م

طاووس ١٦٠ ح

« ظ »

الظافر ١١ م

الظاهري ١٩٣ ح

« ع »

١ عاصم ٥٥ ح

عاصم بن أيوب البطليوسي - أبو بكر ٧ م، ١٠ م

عائشة - أم المؤمنين - رضي الله عنها ٣٨،

٣٩ ح، ٤٨، ٥١، ١٠٣ ح، ١١٨، ١٤٧،

١٦٧، ١٦٨ ح، ١٨٧

عبادة بن الصامت رضي الله عنه ٣٩ ح،

١١٥ ح

عبد الرحمن بن عائش ١٧٩ ح

عبد الرحمن بن عبد الله ١٦٦ ح

عبد الرحمن بن عمرو : انظر الأوزاعي

عبد الرحمن بن مهدي ١٦٢ ح، ١٧٥ ح

عبد الرزاق بن همام الصنعاني ١٧٥

عبد شمس ٨٦ ح

عبد الله بن حبشي الخثعمي ١٤٨ ح

عبد الله بن سبأ ٣١ ح، ١٦٢

عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ٢٦ ح،

٣٩ ح، ٤٣ ح، ٤٧، ٤٨، ٥٤ ح، ٨٨ ح،

٩٠ ح، ١١٥ ح، ١٣٠ ح، ١٣٦، ١٤٨،

١٤٩ ح، ١٥٣، ١٥٩ ح، ١٦٦ ح

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ٣٨ ح،

٣٩ ح، ٤٦ ح، ٤٧ ح، ٥٤، ٧٢،

١٥٠ ح، ١٨٧ ح

عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي -

مالك بن أنس - الإمام ٢٩ ح، ٤٨، ٥١،

٨٢، ٨٣

المالكي ١٣ م، ٢٩، ٣٠ ح

المالكية ١٩٣ ح

المالكيين ١٩٣

مالك بن الحارث الهذلي ٤٠ ح

المبرد ٤٣ ح

المتق ١٦٠، ١٦١

مجاهد ٢٦ ح

المجبرون : انظر الجبرية

المجسة ٨٢، ٩٠

محارب بن دثار ١١٨

المحصاني : انظر أحمد عمر المحمصاني

محمد بن جبير بن مطعم ١٦٦ ح

محمد بن الحسن بن فورك : انظر ابن

فورك

محمد بن عبد الله بن الحسن بن

الحسن ٣١ ح

محمد بن كعب الغنوي ١٠٠ ح

المحمدي ٣١

المحمدية ٣١ ح

الخمس ٣١

الخمسة ٣١ ح

المدينة المنورة ١٧ م

المرابطين ٩ م

المرزوقي ٥٢ ح

الفرزدق ٩٢ ح

الفرس ١٦٢

فرعون ٧٦

« ق »

القادر ١١ م

القاضي عبد الجبار ٢٦ ح

القاهرة ٥ م، ٦ م، ١٢ م، ١٣ م، ١٦ م،

١٨ م

قتادة ٢٦ ح، ١٤٩ ح

القدرى ١٢ م، ٣٠

القدرية ٣٠ ح، ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٨٠

قيس بن عاصم ٧٧ ح

« ك »

الكسائي ٥٥ ح، ١٧٣

الكعبة المشرفة ١٨٢

كفافة ١٢٤ ح

الكوفة ٣١ ح

الكوفيون ٣٨ ح، ٥١ ح، ١٠٦ ح

« ل »

ليد بن ربيعة ٦ م

لقمان الحكيم ٤٣، ١٢٥

« م »

مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ٦٥ ح

المستعين : انظر أحد بن هود

مسعر بن كدام ١١٨

مسلم بن الحجاج ١٦٣، ١٧٧

المسيح ٦٧

المشاركة ١٧م

المشبه ١٢م، ٣٠

المشبهة ٣٠ح

مصر ١٢م، ١٣م، ١٦م

معاذ بن جبل رضي الله عنه ٣٩ح

معاوية ١٧٥

معتزلة ١٥٩، ١٦٠ح، ١٧٠ح

المعلّى أحد بني تيم ٨٩ح

مغربي ١٧م

مكة المكرمة ٩١، ١١٧

المناذرة ١٢٤ح

المنذر بن ماء السماء ٨٩ح

المنصور ١٠٨ح

موسى عليه السلام ١٢٢، ١٢٤

موسوعات ٦م، ١٦م

مي ٤٣

الميداني ١٧٦ح

المني ١٢٦ح

« ن »

النابعة ٧م

ناصر الدين الألباني ١٢٤ح

ناعط ٨٤

نافع ٥٥ح

نصاري ٤٩، ٦٧

نصرانية ٤٩

النعمان بن ثابت : انظر أبو حنيفة

نعم بن مسعود ١٤٦

النروذ بن كنعان ٧٦ح، ٧٨

نوح عليه السلام ١٢١

« هـ »

هامان ٧٦

هشام بن عروة - المحدث ٢١ح، ١١٨

همدان ٨٤ح

الهند ٩٢ح، ١٧٨ح

هود عليه السلام ١٢١

هوذة بن علي الحنفي ٣٨ح

« و »

واسط ١٧٥ح

واسطي ١٧٥ح

واصل بن عطاء - الغزال ١٧٠ح

الوراق - أبو سعيد ١٠م

وهران ٦م، ١٢م

« ي »

يحيى بن معين بن عوف الغطفاني

البغدادي - ابن معين ١٦٣، ١٦٤

اليهود ٤٩، ١٦٢، ١٨٠، ١٨١	يزيد بن عمر بن هبيرة ١٠٨ ح
اليهودي ١٦٢	يزيد بن هارون ١٧٥
اليهودية ٤٩	يعقوب بن السكيت ٣٩
يوسف عليه السلام ١١٩، ١٢٠، ١٣٤	اليامة ٢٨ ح، ٨٤ ح
يونس - المحدث ٥٥ ح	يمان ٢٦ ح

☆ ☆ ☆

٦ - مسرد الكتب المذكورة في متن الكتاب

ت

تصنيف الحفاظ - للدارقطني .

مسند وكتاب الإمام مسلم بن الحجاج .

٧ - مسرد مراجع التحقيق

« أ »

- أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء للدكتور مصطفى الخن .
 - إرشاد الساري .
 - أزهار الرياض للمقري .
 - أسرار البلاغة .
 - الاسم والمسمى - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق .
 - الاشتقاق لابن دريد .
 - الأشموقي .
 - إصلاح الخلل الواقع في أبيات الجمل .
 - الأصمعيات .
 - الأضداد لابن الأنباري .
 - الأضداد للأصمعي .
 - الأضداد لقطرب .
 - الاعتصام للشاطبي .
 - الأعلام للزركلي .
 - الأغاني دار الثقافة .
 - الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن قتيبة طبعة مصر .
 - الأمالي لأبي علي .
 - أمالي المرتضى .
 - إنباه الرواة .
 - الانتصار من عدل عن الاستبصار - طبعة القاهرة .
- ٢٤٦ -

الإنصاف في بيان سبب الاختلاف في الأحكام الفقهية ، تأليف شاه ولي الله أحمد بن عبد
الرحيم . الفاروقي الدهلوي .
الأوسط للطبراني .
الإيضاح .

« ب »

البحر المحيط لابن حيان الأندلسي .
البداية والنهاية لابن كثير .
بغية الملتبس للضبي .
البيان والتبيين .

« ت »

تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة .
تاريخ بغداد للسمعاني .
تاريخ الفكر الأندلسي .
تاريخ النقد الأدبي في الأندلس .
التبصير في الدين لاسفراييني .
التبصير في الدين للملطي .
تحرير التحبير .
تشبيهات القرآن - طبعة الكويت .
تعريفات الجرجاني .
التفسير للبخاري .
تفسير الطبري - تحقيق أحمد شاکر .
تفسير القرطبي .
التنبيه للبكري .
التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي .
تهذيب التهذيب .

توضيح الأفكار لمحمد بن إسماعيل الصنعاني .

« ج »

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي .

الجامع الصحيح .

الجرح والتعديل .

جهرة أشعار العرب .

« ح »

الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة . نشره وقدم له الشيخ زاهد الكوثري ،

مصر ١٩٤٦ ، مطبوعات عزة العطار .

حسن التوسل إلى صناعة الترسل .

الخلل في شرح أبيات الجمل - طبع القاهرة .

حلية الأولياء .

الحوادث والبدع لأبي بكر الطرطوشي .

الحيوان .

« خ »

الخزانة - ط بولاق .

الخصائص لابن جني .

« د »

الدرر اللوامع .

الديباج المذهب لابن فرحون - مصر .

ديوان ابن خفاجة .

ديوان ابن الرومي .

ديوان أبي الأسود الدؤلي .

ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري .
ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي .
ديوان امرئ القيس بشرح الأعلام الشنتري - تحقيق محمد بدر الدين النعساني - المكتبة
التجارية بمصر .
ديوان أوس بن حجر .
ديوان تميم .
ديوان جميل .
ديوان حسان .
ديوان ذي الرمة .
ديوان الفرزدق .
ديوان كثير عزة - تحقيق الدكتور إحسان عباس .
ديوان لبيد - تحقيق الدكتور إحسان عباس - طبعة الكويت .
ديوان المعاني .
ديوان النابغة - ط السعادة بمصر .
ديوان النابغة تحقيق الدكتور شكري فيصل .
ديوان النابغة بشرح الأعلام الشنتري .
ديوان النابغة بشرح عاصم بن أيوب البطليوسي .
ديوان الهذليين .

« ر »

الرسالة للإمام الشافعي - تحقيق الدكتور أحمد شاکر - طبعة البابي الحلبي ١٩٤٠ .
رسالة الغفران .
رفع الملام عن الأئمة الأعلام لشيخ الإسلام ابن تيمية .

« ر »

زاد المعاد لابن القيم .
زهر الآداب .

« س »

- سبل السلام .
- سمط اللآلي للبكري .
- سنن ابن ماجة .
- سنن أبي داود .
- سنن البيهقي .
- سنن الترمذي .
- سنن الدارمي .
- سنن النسائي بشرح السيوطي - طبعة مصطفى محمد .
- السيرة لابن كثير .
- السيرة - طبعة عبد الحميد .

« ش »

- شرح الأعلام الشنتري على ديوان زهير - طبعة دار المعارف .
- شرح التبريزي للمفضليات .
- شرح حديث النزول لشيخ الإسلام ابن تيمية . ط المكتب الإسلامي - دمشق ١٩٦٩م
- شرح الحماسة للمرزوقي .
- شرح ديوان الأعشى للدكتور م . محمد حسين .
- شرح ديوان زهير لثعلب .
- شرح سقط الزند للمعري وشيء من اللزوميات - طبع في القاهرة في جزأين من شرحي التبريزي والحوارزمي .
- شرح شواهد أدب الكتاب لابن السيد البطليوسي .
- شرح شواهد كتاب سيبويه للأعلام الشنتري .
- شرح شواهد المغني .
- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف للعسكري .
- شرح المختار من لزوميات أبي العلاء - طبع القسم الأول منه في القاهرة .

شرح الموطأ .
شعر ابن أحر - جمع وتحقيق الدكتور حسين عطوان .
شعر النابغة الجعدي .
الشعر والشعراء .

« ص »

الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس .
صحيح البخاري - طبعة استانبول .
صحيح مسلم بشرح النووي وتحقيق عبد الباقي .
الصلة لابن بشكوال - مصر ١٩٥٥

« ط »

الطبراني .
طبقات الحفاظ .
طبقات الحنابلة لابن معين .
طبقات فحول الشعراء .

« ظ »

ظهر الإسلام لأحمد أمين - طبعة ١٩٦٢ م .

« ع »

العقد الفريد لابن عبد ربه .
العمدة .
العيبي على هامش الخزنة .
عيون الأخبار .

« ف »

الفائق في غريب الحديث للزمخشري .

- فتح الباري .
- الفتح الكبير للجلال السيوطي .
- الفرق بين الحروف الخمسة - مخطوط .
- الفرق بين الفرق للبغدادى .
- الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم .
- فصل المقال للأصمعي .
- فضائح الباطنية .
- فهرس الفهارس للكتاني .
- فهرسة ابن خير الإشبيلي - طبعة بيروت .

« ق »

- قلائد العيان لابن خاقان : مصر ١٢٨٤ .

« ك »

- الكامل للمبرد .
- كتاب سيبويه .
- كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي .
- الكشاف للزمخشري .
- كشف الخفاء .
- كليات أبي البقاء .
- الكنائيات للشعالبي .
- كنايات الجرجاني .

« ل »

- اللائى المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي - ط ١

« م »

- متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار .

- المثلث في اللغة . تحقيق الداية وحمودي في جامعة وهران - وطبع أيضاً ببغداد .
مجاز القرآن .
المجازات النويية - ط الزيني - مؤسسة الحلبي .
مجالس ثعلب .
مجمع الزوائد .
المحسن والأضداد للجاحظ .
محاضرات في أسباب اختلاف الفقهاء للأستاذ الشيخ علي الخفيف .
المحتسب لابن جني .
مختارات ابن الشجري .
مختصر صحيح مسلم .
المزهر .
مسائل في العربية .
المسائل والأجوبة - طبع جزء منه ببغداد نشره الدكتور إبراهيم السامرائي .
مسند الإمام أحمد ابن حنبل .
مشكل الحديث وغريبه .
المصنف في الحديث .
المطرب لابن دحية - مصر ١٩٥٤ م .
مطلع الفوائد ومجمع الفرائد لابن نباتة .
المعاني الكبير .
معاهد التنصيص .
معجم الأدباء .
معجم البلدان .
معجم ما استعجم .
المغرب لابن سعيد - الطبعة الأولى .
المغني لابن هشام .
مقالات الإسلاميين للأشعري .

المقتضب للمبرد .

ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل للإمام ابن حزم الظاهري
ومقدمة سعيد الأفغاني له .
الملل والنحل للشهرستاني .
الموافقات للشاطبي الأندلسي .
المؤتلف والمختلف .

« ن »

نقح الطيب للمقري - مصر .
النقد الأدبي في الأندلس .
النهاية لابن الأثير .
النهاية في غريب الحديث .

« هـ »

همع الموامع .

« و »

وفيات الأعيان لابن خلكان - مصر ١٩٤٨ م .

٨ - مسرد الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الكلمة الأولى	٥
مقدمة التحقيق	٩
مقدمة المؤلف	٢٥
ذكر الأسباب الموجبة للخلاف	٢٣
الباب الأول: في الخلاف العارض من جهة اشتراك الألفاظ واحتمالها للتأويلات الكثيرة	٢٥
هذا الباب ينقسم ثلاثة أقسام :	٢٧
الاشتراك العارض في موضوع اللفظة المفردة نوعان	٢٧
الأول كالقرء	٢٧
حجة الحجازيين	٢٨
حجة العراقيين	٢٩
وقوع الأسماء على المسميات في كلام العرب أربعة أقسام	٤١
أحدها	٤١
والآخر	٤١
والثالث	٤٢
والرابع	٤٢
من الألفاظ المشتركة الواقعة على الشيء وضده	٤٣
قوله تعالى ﴿ فَأَصْبَحْتُ كَالْصَرِيمِ ﴾	٤٣
ومن هذا النوع قول أبي بكر رضي الله عنه « طوبى لمن مات في	
النأاة »	٤٥

الموضوع	الصفحة
ومن هذا النوع قوله ﷺ « قصوا الشوارب وأعفوا اللحى »	٤٦
اللفظ المشترك الواقع على معان مختلفة غير متضادة	٤٨
قوله تعالى ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ... أن يقتلوا أو يصلبوا ﴾	٤٨
العرب تلف الكلامين المختلفين وترمي بتفسيرهما جملة ثقة بأن السامع	
يرد إلى كل مخبر عنه ما يليق به	٤٩
من هذا النوع قوله تعالى ﴿ من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل ﴾	٥٢
الاشتراك العارض من قبل اختلاف أحوال الكلمة دون موضوع لفظها	٥٣
مثل قوله تعالى ﴿ ولا يضار كاتب ولا شهيد ﴾	٥٤-٥٣
ومثل هذا قوله تعالى ﴿ ولا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده ﴾	٥٥
الاشتراك العارض من قبل تركيب الكلام ، وبناء بعض الألفاظ على	
بعض . منه ما يدل على معان مختلفة متضادة . ومنه ما يدل على معان	
مختلفة غير متضادة .	٥٥
من النوع الأول قوله تعالى ﴿ وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى	
النساء ... ﴾	٥٥
من هذا النوع قول علي رضي الله عنه « أيها الناس تزعمون أنني قتلت	
عثمان .. »	٥٦
ونظير هذا الضمير في احتماله التأويلين معاً قول خالد بن عبد الله	
القسري على المنبر « إن أمير المؤمنين كتب إلي .. »	٥٧
هذا النوع من الضمائر كثير في الكلام	٥٨
من هذا النوع من الضمائر قول زهير	٥٩
من هذا النوع من الضمائر قوله ﷺ « إن الله تعالى خلق آدم على	
صورته »	٥٩
من الضمائر المشتركة قول حسان بن ثابت	٦٠
من هذا النوع المشترك التركيب قول الله تعالى ﴿ حرمت عليكم	

الموضوع	الصفحة
أمهاتكم ﴿	٦١
نظيره من الشعر قوله	٦٥
وكذلك قول الآخر	٦٥
التركيب الدال على معانٍ مختلفة غير متضادة قوله تعالى ﴿ وماقتلوه	
يقيناً ﴿	٦٦
من هذا النوع قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما	
كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴿	٦٦
الباب الثاني: في الخلاف العارض من جهة الحقيقة والمجاز	٦٩
ذهب قوم إلى إبطال المجاز، وذهب آخرون إلى إثباته	٧١
الكلام فيه على مذهب من أثبته لأنه الصحيح	٧١
المجاز ثلاثة أنواع	٧١
نوع يعرض في موضوع اللفظة المفردة	٧١
ونوع يعرض في أحوالها المختلفة عليها من إعراب وغيره	٧١
ونوع يعرض في التركيب وبناء بعض الألفاظ على بعض	٧١
مثال النوع الأول: الميزان	٧٢
من ذلك السلسلة	٧٣
من هذا النوع قولهم : فلان على الجبل	٧٥
وهذا كثير جداً ومنه قوله تعالى ﴿ فألقى الله بنيانهم من القواعد ﴿	٧٥
يشبه هذا المعنى الذي ذهبوا إليه قول ابن أحرر	٧٧
من هذا النوع قوله عز وجل ﴿ وإن كان مكرم لتزول منه الجبال ﴿	٧٨
من هذا الباب قوله تعالى ﴿ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً ... ﴿	٨٠
ونحوه قولهم للمطر : سماء . وللتبث ندى . وللشحم ندى	٨٠
ونحوه قول الراجز	٨١
ومن هذا الباب قوله ﷺ « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا ... »	٨١
لهذا الحديث تأويلان . أحدهما	٨٢

الموضوع	الصفحة
التأويل الثاني	٨٤
الاستعارة والمجاز على أربعة أوجه :	٨٤
أحدها : الإقبال على الشيء بعد الإعراض عنه . والمقاربة بعد المباعدة	٨٤
الأقسام الباقية من معنى النزول	٨٥
منها ما يراد به ترتيب الأشياء ووضعها مواضعها اللائقة	٨٥
ومنه قول الشاعر	٨٦
منها ما يراد به الإعلام والقول	٨٦
من هذا إنزال الوحي	٨٦
منها ما يراد به الانحطاط من المرتبة والذلة	٨٦
قد تستعمل العرب النزول في النماء والزيادة	٨٧
بما غلطت فيه المجسمة قوله تعالى ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾	٨٧
الحقيقة والمجاز العارضان من قبل أحوالها	٩١
من ذلك قولهم (مات زيد)	٩١
ومنه قوله تعالى ﴿ فإذا عزّم الأمر ﴾	٩١
وتقول : أعطي ثوباً زيداً .	٩٢
نحوه قوله عز وجل ﴿ بل مكر الليل والنهار ﴾	٩٢
المجاز والحقيقة العارضان من طريق التركيب وبناء بعض الألفاظ على	
بعض	٩٣
الأمر الوارد بصيغة الخبر	٩٤
الخبر الوارد بصيغة الأمر	٩٤
الإيجاب الوارد بصيغة النفي	٩٥
النفي الوارد بصورة الإيجاب	٩٧
ورود الواجب بصورة الممكن	٩٩
ورود الممتنع بصورة الممكن	٩٩

الموضوع	الصفحة
ورود المدح في صورة الذم	١٠٤
ورود الذم في صورة المدح	١٠٥
التقليل الوارد بصورة التكثير	١٠٥
التكثير الوارد بصورة التقليل	١٠٥
من طريق المجاز العارض من طريق التركيب إيقاعهم أدوات المعاني	
على السبب ومرادهم المسبب تارة	١٠٨
وتارة يوقعونها على المسبب ومرادهم السبب ونحوه قولك: مانفعي	
كلام زيد	١٠٩
ومن هذا قول العرب	١١٠
ونحوه قول النابغة	١١٠
الباب الثالث: في الخلاف العارض من جهة الأفراد والتركيب	١١١
ذكر الآيات والأمثلة	١١٣
وجه الخلاف العارض	١١٥
وقع بين أصحاب القياس الخلاف بحسب تقدم القياس أو بحسب تأخره	١١٧
مما اختلفت فيه أقوال الفقهاء لأخذ كل واحد منهم بحديث مفرد اتصل	
به ولم يتصل به سواه	١١٧
قد ترد الآية والحديث بلفظ مشترك يحتمل تأويلات كثيرة ثم ترد آية	
أخرى أو حديث آخر بتخصيص ذلك اللفظ المشترك وقصره على بعض	
تلك المعاني دون بعض	١١٩
من هذا الباب قوله سبحانه وتعالى ﴿ أن اعبدوا الله واتقوه	
وأطيعون ... ﴾	١٢١
كم معنى يتصرف الحياة والموت في اللسان العربي	١٢٢
الحياة والموت لفظتان مشتركتان مستعملتان في اللغة العربية على ثلاثة	
عشر وجهاً	١٢٢
الحياة والموت المراد بهما مقارنة النفوس للأجسام ومفارقتها إياها	١٢٣

الموضوع	الصفحة
الحياة والموت المراد بهما الوجود والعدم	١٢٣
الحياة والموت المراد بهما العز والذل والغنى والفقر	١٢٣
الحياة والموت المراد بهما الهدى والضلال والعلم والجهل	١٢٥
الحياة والموت المراد بهما الحركة والسكون	١٢٥
الحياة والموت المراد بهما الخصب والجذب	١٢٦
الحياة والموت يراد بهما اليقظة والنوم	١٢٧
الحياة والموت يراد بهما اشتعال النار وخودها	١٢٨
الحياة والموت المراد بهما المحبة والبغضاء	١٢٨
الحياة والموت المراد بهما الرطوبة واليبس	١٢٩
الحياة والموت المراد بهما الرجاء والخوف	١٢٩
قد تتولد مقالتان متضادتان كلاهما غلط وخطأ ويكون الصواب والحق في مقالة ثالثة متوسطة بينهما	١٣٠
إذا تأملت المقالات التي شجرت بين أهل ملتنا في الاعتقادات رأيت أكثرها على هذه الصفة	١٣٠
ذكر شيء يستدل به على غيره من هذا النوع	١٣١
أمر القدر والقضاء	١٣١
وكنحو ماروي عن علي رضي الله عنه لما انصرف من صفين	١٣٦
الباب الرابع: في الخلاف العارض من جهة العموم والخصوص	١٤٣
هذا الباب نوعان . أحدهما يعرض في موضوع اللفظة المفردة والثاني يعرض في التركيب	١٤٥
الذي يعرض في موضوع اللفظة المفردة نحو (الإنسان) يستعمل عموماً وخصوصاً وأمثلة ذلك	١٤٥
قد يأتي من هذا الباب أشياء يتفق الجميع على عمومها أو على خصوصها وأشياء يقع فيها الخلاف	١٤٦
الأمثلة على ذلك	١٤٦

قد يأتي من هذا الباب ما موضوعه في اللغة على العموم ثم تخصصه
الشريعة كالمتعة .

١٥٢

الباب الخامس : في الخلاف العارض من جهة الرواية

١٥٥

ذكر العلل التي تعرض للحديث فتحيل معناه ؛ فربما أوهمت فيه
معارضة بعضه لبعض ، وربما ولدت فيه إشكالاً يحوج العلماء إلى طلب
التأويل البعيد

١٥٧

الحديث المأثور تعرض له ثنائي علل

١٥٧

العلة الأولى : فساد الإسناد

١٥٨

الإسناد يعرض له الفساد من أوجه

١٥٨

منها الإرسال وعدم الاتصال

١٥٨

ومنها أن يكون بعض رواته صاحب بدعة أو متهماً بكذب ... إلخ

١٥٨

للبخاري رحمه الله في هذا الباب غناء مشكور وسعي مبرور

١٦٣

وكذا لمسلم وابن معين

العلة الثانية : تقل الحديث على المعنى دون لفظه بعينه

١٦٤

ذكر الأمثلة

١٦٥

من طريق الغلط الواقع في اشتراك الألفاظ

١٦٩

العلة الثالثة : الجهل بالإعراب ومعاني كلام العرب ومجازاتها

١٧٠

ذكر الأمثلة

١٧١

العلة الرابعة : التصحيف

١٧٤

ذكر الأمثلة

١٧٥

العلة الخامسة : إسقاط شيء من الحديث لا يتم المعنى إلا به

١٧٧

المثال على ذلك

١٧٨

العلة السادسة : أن ينقل المحدث الحديث ويففل تقل السبب الموجب

له فيعرض من ذلك إشكال في الحديث أو معارضة لحديث آخر

١٧٨

الأمثلة لذلك

١٧٨

الموضوع	الصفحة
العلة السابعة : أن يسمع المحدث بعض الحديث ويفوته سماع بعضه ، مثاله	١٨٧
العلة الثامنة : تقل الحديث من الصحف دون لقاء الشيوخ	١٨٨
الباب السادس : في الخلاف العارض من قبل الاجتهاد والقياس	١٩١
الخلاف العارض من هذا الباب نوعان	١٩٣
أحدهما : الخلاف الواقع بين المنكرين للاجتهاد والقياس والمثبتين له	١٩٣
الثاني : خلاف يعرض بين أصحاب القياس في قياسهم	١٩٣
الباب السابع : في الخلاف العارض من قبل النسخ	١٩٥
الخلاف العارض من هذا النوع يتنوع أولاً نوعين :	١٩٧
أحدهما : خلاف عارض بين من أنكر النسخ وبين من أثبته	١٩٧
والثاني : خلاف عارض بين القائلين بالنسخ وهذا النوع ثلاثة أقسام	١٩٧
أحدها : اختلافهم في الأخبار هل يجوز فيها النسخ	١٩٧
الثاني : اختلافهم هل يجوز أن تنسخ السنة القرآن	١٩٧
الثالث : اختلافهم في أشياء من القرآن والحديث	١٩٧
الباب الثامن : في الخلاف العارض من قبل الإباحة	١٩٩
بيان ذلك	٢٠١

المسارد العامة

٢٠٣	١ - مسرد الآيات
٢١٣	٢ - مسرد الاحاديث النبوية
٢١٩	٣ - مسرد الشعر والرجز
٢٣٠	٤ - مسرد الامثال والأقوال
٢٣٥	٥ - مسرد الأعلام والأمكنة
٢٤٥	٦ - مسرد الكتب المذكورة في متن الكتاب
٢٤٦	٧ - مسرد مراجع التحقيق
٢٥٥	٨ - مسرد الموضوعات

للمُحَقِّق

في سلسلة دراسات أندلسية (٥):

- ١ - تاريخ النقد الأدبي في الأندلس - دار الأنوار (بيروت - دمشق) ١٩٦٨ . الطبعة الثانية - مؤسسة الرسالة - دمشق ١٩٨٠ . (نقد) - الإصدار الثالث تحت الطبع .
- ٢ - المعيار في أوزان الأشعار ل محمد بن عبد الملك الشنتريني - الطبعة الأولى - دار الأنوار (بيروت - دمشق) ١٩٦٨ .
- الطبعة الثانية - دمشق ١٩٧٠ .
- الطبعة الثالثة - دار الملاح ١٩٨٠ - دمشق .
- ٣ - مختارات من الشعر الأندلسي - المكتب الإسلامي - دمشق ١٩٦٩ . الطبعة الثانية ١٩٧٢ - دمشق .
- ٤ - ديوان ابن خاتمة الأنصاري - تحقيق - صدر عن وزارة الثقافة بدمشق ١٩٧٢ . الطبعة الثانية - دار الحكمة - دمشق ١٩٧٩ . نقد - الإصدار الثالث تحت الطبع .
- ٥ - الإنصاف بذكر أسباب الخلاف لابن السيد البطلوسي - تحقيق - نشر دار الفكر بدمشق ١٩٧٣ . (الطبعة الثالثة) .
- ٦ - شرح مشكل شعر المتنبي - لابن سيدة الأندلسي - تحقيق - نشر دار المأمون بدمشق ١٩٧٥ . الإصدار الثاني معدّ للطباعة .
- ٧ - ديوان أبي إسحاق الإلبيري - تحقيق - نشر مؤسسة الرسالة (بيروت - دمشق) والطبعة الثانية ١٩٨٢ م .
- ٨ - أعلام المغرب والأندلس - مؤسسة الرسالة - ١٩٧٨ . نقد - الإصدار الثاني تحت الطبع .
- ٩ - رائق التحلية في فائق التورية لابن زرقالة - دار الحكمة - دمشق ١٩٧٩ . نقد - الإصدار الثاني تحت الطبع .
- ١٠ - ديوان ابن عبد ربه - مؤسسة الرسالة - دمشق ١٩٧٨ . الطبعة الثانية دار الفكر ١٩٨٧ .
- ١١ - ديوان يحيى بن حكم الغزالي - دمشق ١٤٠٢ - ١٩٨٢ .

في سلسلة الذخائر :

- ١ - ابن خفاجة (دراسة) نشر المكتب الإسلامي - دمشق ١٩٧٢ . الطبعة الثانية - دمشق ١٩٨٢ .
- ٢ - أبو البقاء الرندي (دراسة) نشر مؤسسة الرسالة (دمشق - بيروت) ١٩٧٦ . الطبعة الثانية نشر سعد الدين . دمشق - بيروت ١٩٨٦ .

(٥) تصدر كتب هذه السلسلة من الآن بعنوان (المكتبة الأندلسية) .

في المكتبة الأندلسية :

- ١ - إحكام صنعة الكلام لابن عبد الغفور الكلاعي - (تحقيق) بيروت - دار الثقافة ١٩٦٥ . الطبعة الثانية في عالم الكتب - بيروت ١٩٨٥ .
- ٢ - نثر فرائد الجمان لابن الأحمر - (تحقيق نص أندلسي) دراسة عن المؤلف وأدبه وكتابه - دار الثقافة - بيروت ١٩٦٦ . الطبعة الثانية في عالم الكتب - بيروت ١٩٨٥ .

أعمال أخرى :

- ١ - الجمان في تشبيهات القرآن لابن ناقياء البغدادي - تحقيق بالاشتراك - نشر وزارة الأوقاف الكويت - ١٩٦٧ . نقد .
- ٢ - أعلام الأدب العباسي - تراجم واختيارات - نشر دار الفارابي - دمشق ١٩٧١ . والطبعة الثانية في مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٧٩ . نقد .
- ٣ - ابن زيدون (محاولة لإعادة النظر في دراسة شخصيته وشعره) بحث قدم إلى مهرجان ابن زيدون في ذكره الألفية بالرباط (المغرب) - منهج جديد لدراسته .
- ٤ - المنصف لابن وكيع التنيسي (تحقيق) - دمشق - ١٩٨١ .
- ٥ - تفسير ابن جزري (تحقيق بالاشتراك) بدئ بطبعته .
- ٦ - بحوث في الأدب الأندلسي - طبع جامع دمشق - ١٩٨٠ . نقد .
- ٧ - فروق اللغات لنور الدين بن نعمة الله الجزائري - بيروت ١٩٨٧ .

تحت الطبع :

- لسان الدين بن الخطيب : في سلسلة أعلام الفكر .
- ابن أبي الحصال رئيس كتاب الأندلس - في سلسلة أعلام الفكر .
- ابن زيدون : دراسة في ضوء منهج جديد - في سلسلة أعلام الفكر .
- أبو إسحاق الإلبيري الأندلسي : زاهد الأندلس الثائر . في سلسلة أعلام الفكر .
- ابن زمرك شاعر قصر الحمراء (دراسة) في سلسلة أعلام الفكر .
- ديوان أبي الحسن بن الحبيب - تحقيق ودراسة .
- أمة قد خلت (دراسة) .
- ديوان ابن زيدون .
- رحلة البلوي .
- جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتّاب لابن عبد الملك الشنتريني (تحقيق ودراسة) .
- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي .
- ترسل ابن أبي الحصال الغافقي الأندلسي - يصدر عن دار الفكر بدمشق ١٩٨٧ .
- الحماسة المغربية (مختصر صفوة الأدب) - يصدر عن دار الفكر بدمشق ١٩٨٧ .

● إن اختلاف الآراء الفقهيّة - كما يقرر الأستاذ محمد أبو زهرة رحمه الله - لم يكن في ذات الدين ولا في لبّ الشريعة ، ولكنه اختلاف في فهم بعض نصوصها ، وفي تطبيق كليّاتها على الفروع ... فهو اختلاف لا يتناول الأصل ولكنه اختلاف في الفروع حيث لا يكون دليل قطعيّ حاسم .

● ويعد كتاب (الإنصاف) هذا لمؤلفه العلامة ابن السيّد البطليوسي الأندلسي أول كتاب مستقل معروف خصص لمعالجة موضوع الاختلاف الفقهيّ .

● وهو أهم المؤلفات التي وضعت في (الخلاف) من حيث عنايته بالجوانب اللغوية والبلاغية والدلالية ، ومن حيث الاحتجاج لها والاستشهاد عليها بالأصول العربيّة من القرآن الكريم والحديث الشريف ، وأقوال العرب وأشعارهم في دقّة وبراعة وإتقان صنعة .

● وهو كتاب نفيس فريد !